إسلامية المعرفة

المبادئ العامة - خطة العمل - الإنجازات

المعهد العالمي
للفكر الإسلامي

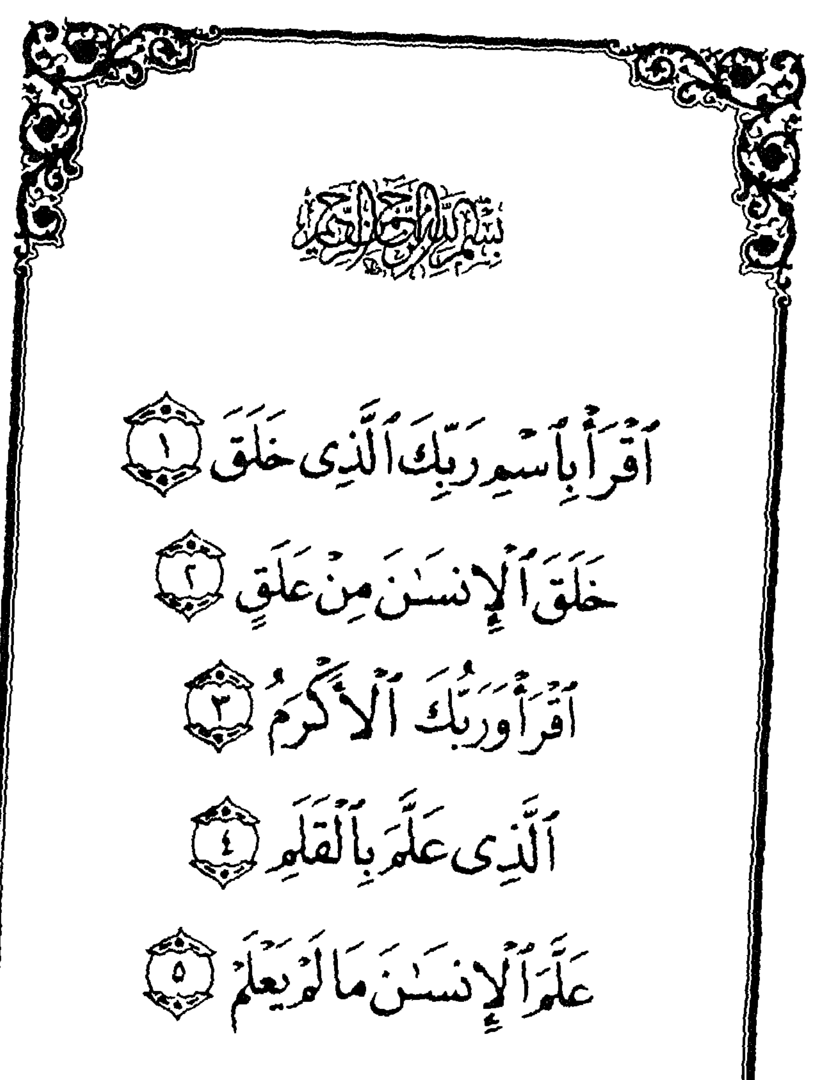
١٤٠٦هـ — ١٩٨٦م

International Institute of Islamic Thought

P.O. Box 17323, Washington, D.C. 20041
1760 Reston Ave., Suite 510
Tel: (703) 471-1133
Facsimile (703) 471-1211

رقم الكتالوج في مكتبة الكونغرس الأمريكية
٨٦ — ٠٨١١٠٣

ISBN #0-912463-04


بسم الله الرحمن الرحيم
ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾
خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾
ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾
ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾
عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾

سُورَةُ العَلَق

المحتويات


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد:

فقد تعرضت أمتنا الإسلامية منذ نشوء الدعوة وقيام الأمة إلى أشد أنواع المقاومة وأقوى ضروب التحدي والكيد ، فحيكت لها المؤامرات ودست عليها الدسائس ، وأعلنت عليها الحروب الشعواء، وسلطت عليها سائر أنواع الاعتداءات من نفسية واقتصادية وعسكرية، ولكن عناية الله كانت ــ دائماً ــ تخرجها من كل هذه الحروب والمعارك أقوى عوداً وأشد ايماناً بدينها وعقيدتها. فقد وجَّه المشركون حرابهم إليها ، ورفع الفرس والروم سيوفهم في وجهها ، وتصدت لها شياطين الأنس والجن كل يريد أن يخضعها ويفترسها ويستعبدها ، إلاّ أنها كانت دائماً تقف في وجه المعتدين في قوة وشموخ مسلحة بالإيمان والإرادة والعزم ، فدكت المعاقل وفرقت الجموع وحطمت الأوثان ، وجابت أنحاء الأرض هادية مهدية ، حتى أصبحت الدولة الأولى والأمة الوسط، «خير أمة أخرجت للناس» .

ثم أتى زمان طال فيه الأمد ، فقست القلوب وجفت كثير من ينابيع الإيمان في النفوس ، وخبت جذوة الحماس.. فأخذت هجمات

الأعداء تفعل فعلها وتترك آثارها في كيان الأمة ، فتنخر في بنائها، وتوهن من تماسكها ، إلاّ أن أعداء الأمة ـــ مع ذلك كله ـــ لم يستطيعوا يوماً أن ينتصروا عليها انتصاراً يسحق روحها ويقضي على إيمانها ، فقد بقيت الأمة ـــ مع ذلك كله ـــ قوية الإيمان ، ثابتة الجنان ، مما حمل أعداءها على أن يديموا النظر ، ويعملوا الفكر والرأي لعلهم يتوصلون إلى ما يؤثر فيها ، فيمحق مقاومتها وقدرتها على الصمود ويجردها من سلاحها الواقي ودرعها المتين ، فكان أن تمخضت دراساتهم وتوصلت أذهانهم إلى أن أقوى سلاح كان بيد هذه الأمة لم يخنها في موقف أو يخذلها في معركة، هو دينها وعقيدتها وقوام شخصيتها ودعامة كيانها ومصدر قوتها، فقرروا الإنطلاق من هذه النقطة وأجمعوا أمرهم على إضعاف صلة هذه الأمة بدينها وتغيير فهمها له لتتحول علاقتها به إلى علاقة شكلية جامدة لا ثمر لها ولا أثر في حياة وقلوب وأرواح ونفوس شبابها.

فبدأت عمليات مختلفة يمكن أن نطلق عليها اسم «الغزو الفكري» عمدت الى إدخال أبواب من الفلسفة وما وراء الفلسفة والجدل والمراء في ثنايا ما عرف باسم «علم الكلام» وما جر إليه «علم الكلام» ـــ بعد ذلك ـــ من السفسطات والتأويلات الملتوية الدقيقة ، وما استتبع كل ذلك من آثار عقيدية وفكرية وخيمة وتمزق وتشتت وظهور لشتى النحل والآراء الباطنية التي مزقت وحدة الأمة وأشغلت الأمة وعلماءها وعامتها عن الجادة المستقيمة والمسيرة السليمة وعن الينابيع الصافية من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وانتهت بهم تلك الانحرافات الفكرية الى التفرق والتمزق والتحول إلى نحل وآراء وأهواء كانت بعض نتائجها تلك الهزائم الساحقة أمام الغزاة من التتار والصليبيين.

وإذا كانت الأمة قد أقالها الله من عثرتها ، وأنهضها من كبوتها على أيدي أبنائها العثمانيين إلا أِن رواسب الإنحراف الفكري وأزمات التطبيق الجزئي المشوب بالشوائب لأحكام الإسلام سرعان ما عادت آثارها تنخر في كيان الدولة العثمانية حتى جاء عصر النهضة الأوروبية، وهنا أخذ الغزو شكلاً آخر وبعداً أعمق ، فقد أصبح أكثر تنظيماً وأشد فعالية ، وأوسع مساحة ، فقرر مفكرو الغرب وسدنة سياسته ومصالحه أن يجعلوا منه غزواً شاملاً يتغلغل — دون حواجز — في العقلية الإسلامية فيغيرها ، وإلى الفكر الإسلامي فيمسخه ، وإلى الثقافة الإسلامية فيبدلها ، وإلى الدين الإسلامي فيعزله ويحصره في زوايا كهنوتية ضيقة لتحدث عملية المسخ الثقافي الشامل ، والتبديل الفكري الكامل.

فمنذ القرن السابع عشر والغزو الفكري يمهد له الاستشراق وعمليات التنصير والاستعمار ، وتقوم على خدمته أجهزة عديدة ويناصره أعوان كثيرون ، حتى استطاع هذا الغزو الشامل أن يأخذ مواقعه في عقول الكثيرين من أبناء هذه الأمة وفي قلوبهم وأفهامهم.

ولما بلغت النهضة الأوروبية قمتها وانتهت أوروبا إلى أوج عظمتها، وهبطت الأمة الإسلامية إلى درك من الضعف كبير ، في هذا الوقت قرر المعتدون أن يضربوا ضربتهم القاضية ويشنوا حملتهم الشاملة ، فاحتلوا أجزاء كبيرة من ديار المسلمين بعد انتصارهم في الحرب العالمية الأولى ، وكان أول ما فعلوه بعد إحكام سيطرتهم ، واشتداد قبضتهم على هذه البلاد هو ان خططوا تخطيطاً دقيقاً لتنفيذ عملية التبديل الثقافي للوصول بمعركتهم مع الإسلام إلى الصفحة الأخيرة والغاية المنشودة. وليكون التبديل الثقافي الوسيلة الدائمة الباقية التي

تضمن لهم ابعاد الأمة الإسلامية ابعاداً تاماً عن الإسلام. ليتوارث المسلمون جيلاً بعد جيل ذلك الابتعاد . رأى الكفار والمستعمرون أن يعمقوا الهوة بين المسلمين وبين مصادر الإسلام الأساسية المتمثلة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فغيروا سائر أنظمة التعليم وبدّلوا برامجه وكل مناهجه ، وسخروا الإعلام والتوجيه الفكري والتربوي ووظفوها لإحداث عملية التغيير الثقافي والفكري لدى الأمة حتى يضمنوا ألاّ تقوم لهذه الأمة وللإسلام قائمة بعد ذلك ، ولكن خاب فألهم ، فإن محاولات الأمة الدائبة للتخلص من الاستعمار وآثار الاستعمار وللإصلاح شأنها لم تنقطع ولم يجف نبعها على مر العصور، وكان كتاب الله دائماً رفيقاً ودليلاً لأبناء الأمة يذكرهم صباح مساء برسالتهم ومكانتهم وأمانتهم وأنهم خير أمة أخرجت للناس ، فيحيى فيهم كوامن القوة والتضحية والخير ، وبهذا الدافع ولهذه الغاية قامت الحركات الإصلاحية والتحريرية في كل أنحاء العالم الإسلامي ، ولكن رغم ذلك كان — للأسف — نهج معظم هذه الحركات في غالب الأحيان وكذلك تصورها لقضايا الإصلاح تصوراً ونهجاً غربيين ولذلك كان من الطبيعي أن يكون نصيب تلك الحركات هو الفشل الذريع والإخفاق الشديد ؛ لأن من البديهي أن ما يصلح للغرب من فكر وعقائد لا يصلح لأمة قدر الله لها أن يبنى كيانها ويرتبط مصيرها وشأنها بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وحاول بعض آخر من دعاة الإصلاح أن يقوم بحركات اصلاحية تكتفي بجانب واحد أو جوانب محددة من الإسلام ، وتوهموا انهم بذلك سوف يستطيعون تحقيق ما أخفق فيه سواهم من قبل ، واستنهاض همة هذه الأمة ، والعودة بها الى سابق قوتها وقدرها وعزها وما الى ذلك من الأماني والطموحات ، ولكن ذلك — أيضاً —

كان وهماً وسراباً خادعاً لم يؤد إلى أثر ذي بال في تقدم الأمة ونهوضها ، وذلك كله قد جعل الكثيرين من مفكري الأمة وأبنائها يقلبون وجوه الرأي والنظر ، ويتدبرون مختلف الحلول ويفكرون بسائر الوسائل الممكنة التي يمكن أن تؤدي إلى استعادة هذه الأمة لطاقتها وقدراتها وعطائها ، ولما كانت هذه الأمة أمة رسالة لن يصلح آخرها إلا بما صلح به أولها ، كان لابد من التخطيط للعمل على إعادة الأمة إلى ينابيع الفكر الأصيل في كتاب الله وسنة رسوله الكريم لتبني بمقتضى ذلك حياة إسلامية قويمة كريمة ، ولكن التحدي الذي لم يُستطع تجاوزه وإنجازه بعد ، إنما هو معرفة معالم السبيل إلى تمثل كتاب الله وسنة رسوله ونقلهما من عالم القيم والتوجيه والمثال إلى عالم الواقع والحركة والتطبيق العملي . وخطة عمل للتحرك المطلوب للمسلم المعاصر والمجتمع المعاصر.

وقد بلغ الأمر أشده والمحنة قمتها بعد أن لجأ الغرب إلى تكوين دولة كاملة بكل كيانها لتكون له بمثابة مخلب قط لأطماعه وفكره، وتقوم بدور هام في خدمته في المنطقة الاسلامية وتمثل أبشع ألوان الاستعمار وهو الاستعمار الاستيطاني ، وبهذا بلغ الأسى غايته في قلوب المخلصين من أبناء هذه الأمة حين رأوا الغزاة المعتدين يحتلون أرضهم ويحطون من قيمهم ، ويغتصبون ممتلكاتهم ، ويستولون على مواردهم ومقدراتهم ، وينتهكون حرماتهم ، ويسخرون منهم ويهزأون بدينهم ، ولا يجد المستعمر بعد ذلك من ردود الفعل إلاّ أقلها أثراً، وأضعفها شأناً مما يثير في نفس المسلم حسرة حارقة وأسى بالغاً وأصبح المسلم فى لجة هذه الأحداث والمصائب الجسام يكاد لا يميز بين الخطأ والصواب أو الحق والباطل ، ولا يفرق بين الغث والسمين ولا المحسن والمسيء... وتفرقت الأمة أيدي سباء وذهبت شذر مذر،

فبعد أن كانت أمة واحدة أضحت أربعاً وأربعين دولة تتصارع فيما بينها وتوجه أسلحتها إلى صدور أبنائها وتكاد تغمر القلاقل والفتن سائر أرجائها ، وتهدد ثرواتها ، ويفترس الجوع الملايين من أبنائها. ولكن بفضل من الله ونعمة وتحقيقاً لوعده ظلت فئات عديدة ظاهرة على الحق لم يضرها من خالفها تعمل من خلال ومضات الإيمان ورغم حجب القهر والفساد واليأس لتخط معالم الطريق نحو النجاة والنجاح، ولقد تنادت فتية من الشباب المؤمن لفقه قضية الأمة وبذل كل الجهود لمعالجة أزمتها وكان معظمهم لا يزال على مقاعد الدراسة في الغرب .. في أمريكا وأوروبا.. وأخذوا يتلمسون ما يجب فعله للإسهام في انقاذ الأمة وإقالتها من عثرتها. كان الألم يعتصر قلوب هؤلاء الشباب وأفئدتهم ــ مثل كثير من أبناء الأمة المخلصين ــ ويزيد في إصرارهم ما كانوا يقرأونه من كتابات ومقالات ومؤلفات وتحليلات توضح مدى ما وصلت إليه حال هذه الأمة من معاناة وضعف وهوان مما جعلها في مؤخرة الأمم بعد أن كانت خير أمة أخرجت للناس ، وأخذ هؤلاء الشباب يقلبون وجوه الرأى ويفكرون ويتساءلون «من نحن ؟ .. وماذا نريد؟.. وماذا يجب أن نفعل..؟»، وبامكانات الطلاب وحماس الشباب وبقدرة الثقافة والعلم أخذوا يعقدون ندوات مصغرة يتداولون فيها همومهم وآراءهم وتصوراتهم عن مشاكل هذه الأمة وأبرز قضاياها ، وأهم أسباب تدهورها وانحطاطها ، وهبوطها عن درجة الوسطية ومرتبة الخيرية ، والشهادة على الأمم ، والعوامل التي أوصلتها إلى هذا الدرك الهابط من الضعف والذل والمهانة ، وهي التي وفر الله ــ تعالى ــ لها كل أسباب القوة والعزة من الموارد والامكانات والرجال والمثل والقيم . وبعد مداولات كثيرة، انبثق عن معاناتهم وتصوراتهم ودراساتهم ومداولاتهم يقين بأن

الأزمة الكبرى التي تعاني منها الأمة إنما تكمن في حالتها الفكرية التي أصابها الجمود والتوقف وأصبح فكرها عاجزاً عن عونها وإخراجها من أزمتها، وإن سائر الأزمات التي تعاني منها الأمة اليوم إنما هي وجوه أخرى وانعكاسات وآثار مختلفة لتلك الأزمة، فهذه الأمة حين خالطتها الأهواء والانحرافات كان أخطر ما أصابت منها هو موضع الفكر منهجاً وميزاناً ، فاختلطت أمامها الأوراق ، واختل فيها الميزان، واضطربت الأولويات واعتمت الرؤية ، وسادت الفوضى والاضطراب ، وانحلت عرى القوى والترابط ، وذابت قدرات العطاء والنمو والمبادرة مما أدى إلى تدهور مؤسسات الأمة ، وانحطاط مستوى ومحتوى شكل أداء ما بقي منها ، وأصبح انحطاط فكر الأمة وتخلف منهج فكرها سبباً جوهرياً يحول دون نجاح سائر محاولات الاصلاح المخلصة التي لم تتبين موضع الفكر ومنهجه كمصدر للتخبط والعجز والتدهور . وفي ضوء هذه الرؤية وهذه الجهود التي تجاوزت هذه المشكلة لتمحيص هذه الرؤية وهذا التصور وتوظيفه لمصلحة الأمة ، أسس هؤلاء الشباب جمعية العلماء الاجتماعيين المسلمين ضمن إطار منظمات اتحاد الطلبة المسلمين بالولايات المتحدة الأمريكية لخدمة القضية الفكرية الإسلامية ونشرها بين من حولهم من العلماء والمثقفين المسلمين. وفي نفس الوقت لم يرتضوا رغم امكانات الكثيرين منهم ثقافياً وذهنياً أن يكونوا وحدهم الحكم في تشخيص هذا المرض الخبيث وأسبابه ، فعملوا على الاتصال بالعشرات من رجال الدعوة والفكر والإصلاح المعاصرين ليطرحوا عليهم الأمر ويوضحوا لهم ما توصلوا إليه من تصورات ، وليتبادلوا معهم الرأي ويشركوهم في وجهات نظرهم وتصوراتهم التي توصلوا اليها وليستفيدوا أيضاً من تجاربهم وخبراتهم ويزدادوا يقيناً بسلامة التشخيص ودقته ، فعقدت

لذلك الغرض عدة اجتماعات وندوات ولقاءات مع العشرات من هؤلاء الرجال.

وفي عام ١٩٧٦ م قرروا أن تعقد ندوة موسعة في أوروبا كموقع وسط جمع فيها مجموعة من أهم قيادات العمل الإسلامي في الشرق والغرب ، وقد حضر تلك الندوة إلى جانب هؤلاء الشباب الذين كانوا في قيادة العمل الإسلامي في أوروبا وأمريكا ثلاثون عالماً من مختلف التخصصات ومن كبار العاملين في العمل الإسلامي ، وطرحت في ساحة هذا اللقاء مختلف الآراء والتصورات ، واستعرضت حصيلة مختلف التجارب والخبرات ، وجرت مناقشات مطولة في جوانب الأمر استغرقت اسبوعاً كاملاً أكد المؤتمرون بإجماعهم في نهاية ندوتهم تلك بأن أزمة الأمة الكبرى في الوقت الحاضر إنّما هي أزمة فكرية ، وأن العلاج ينبغي أن يبدأ من هذا المنطلق ، وأنّه لابد أن تعطى قضية الفكر ومنهجه الأولوية اللازمة كأساس لإنجاح جهود الإنقاذ والإصلاح ، وأنه لابد من تأسيس هيئة علمية متخصصة في قضية الفكر لمتابعة الدراسة العلميَّة المتعمقة المتأنية في هذا المجال ، ولفتح باب العمل الجاد الهادف المخلص المتواصل أمام المسلمين وعلمائهم لمعالجة هذه الأزمة وبناء أسس الفكر السليم، ولم يُضِع هؤلاء الرجال وقتاً وأخذوا يعملون في عزم وصبر لتدبير الامكانات لإقامة مؤسسة علمية مستقلة لهذا الغرض ، وتم بالفعل انشاء «المعهد العالمي للفكر الإسلامي» وسجل المعهد مع بداية القرن الهجري رسمياً في الولايات المتحدة الأمريكية ، وبدأ منذ ذلك الوقت أعماله في خدمة قضية الفكر الإسلامي ، وعقد المعهد أول مؤتمر عالمي يعالج قضية إسلامية المعرفة عام ١٩٨٢م في إسلام آباد بالباكستان بالتعاون مع الجامعة الإسلامية حضره مجموعة من العلماء

المتخصصين وقدمت فيه مجموعة كبيرة من الأبحاث والدراسات حول قضايا الفكر الإسلامي وإسلامية المعرفة . وكان للمؤتمر غايتان: الأولى هي دعوة هؤلاء العلماء للإدلاء بدلو بحثهم العلمي في قضايا الفكر والمعرفة ، والبحث والتنقيب العلمي في جوانبهما ، والتقدم بالعطاء العلمي في مختلف القضايا العلمية والنشاطات الاجتماعية ، والبدء بمزاولة أعمال الإصلاح العلمي والفكري وتقديم التصورات والحلول العلميّة البديلة ، وبلورة بناء المعرفة في ضوء المنظور والقيم الإسلامية في واقع العالم المعاصر . والغاية الثانية هي طلب لمزيد من التعمق في النظر والبحث في قضية أزمة الأمة وأسبابها ومظاهرها ، ولمعرفة أولويات العمل لتجديد طاقة الأمة وتحقيق خلاصها وانطلاق رسالتها . وقد أكدت دراسات المؤتمر ونتائج أعماله ومداولاته ما سبق أن توصل إليه اخوانهم من قبل ونادوا بوجوب المبادرة إلى العمل وتجنيد الطاقات الإسلامية الممكنة لخدمة قضية الفكر التي لم تنل العناية والأولوية اللازمة لها خلال الفترات الماضية ، مما ساهم في تفاقم المشكلة وزاد من أمد المعاناة وتمزق الأمة ووهن طاقتها في كل نزال ومجال.

وخطة عمل المعهد في معالجة الأزمة الفكرية تقوم على أن الأزمة التي حلت بالأمة قد أخذت بعدين:

١ ـــ الأول الغزو والتبديل الثقافي في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية بخاصة ، ذلك التبديل الذي جعل عقول أبناء الأمة الإسلامية تتخطى الفكر الإسلامي والتراث الإسلامي أو تدرسه على أنه ظواهر قد اندثرت لا علاقة لها بالحياة المعاصرة ولا حاجة اليها ، ولذلك فقد صار المثقفون المسلمون يأخذون حاجتهم من جوانب المعرفة الإنسانية المختلفة من معين الغرب الذي شاد كيان هذه العلوم وبناها على اساس

من منظوره ووفقاً لظروفه وحاجته وأهدافه وغاياته ، ولذلك فإن هذه العلوم إنما تعكس قيم الغرب ومفاهيمه ومعتقداته وغاياته وتشكل بالتالي على تلك الأسس والغايات الغربية مختلف وجوه السلوك والنشاطات والمؤسسات الاجتماعية ، وإذا كانت هذه الانعكاسات على جوانب الحياة المختلفة مما يتقبله الإنسان الغربي ويتناسب مع أهدافه وغاياته ، فإن مما لاشك فيه ان هذه الإنعكاسات تحدث لدى المسلم نوعاً من التمزق والفصام بين هذه القيم والمنطلقات والغايات الغربية ، وبين معتقداته وقيمه وأهدافه وغاياته الإسلامية ، ولذلك لو أمعنا النظر لوجدنا أن معظم ما نلاحظه من تمزق وتناقض وتناحر وفقدان للهوية وشتات في السبل والمناهج يعود في معظمه إلى تيه الفصام والتمزق والتناقض في أصل الفكر والتوجه والدافع مما يجعل عملية التبديل الثقافي في الأمة الإسلامية واسلامية العلوم الاجتماعية والانسانية واستعادة الهوية الفكرية والثقافية بمثابة حجر الزاوية في معالجة الأزمة الفكرية.

٢ ـــ والبعد الثاني كان في قطع صلة هذه الأمة بتراثها الإسلامي وتحويله إلى مجرد تراث تاريخي يفتخر به ويتغنى بأمجاده وتختار منه النماذج الفولكلورية التي تكرسها النظرة الغربية إلى التراث . أما أن يكون أساساً للبناء وقاعدة للتفاعل الحي بإبقاء المفيد ، وتنمية النافع، وإحياء الجيد فذلك موضع الرفض لا موضع التقبل والاعتبار عند الكثيرين ، ولذلك رأى المعهد أخذ الأمر مأخذ الجد وتنبيه هذه الأمة إلى أهمية تراثها الإسلامي ، وتذكيرها بأن دوره لم ينته وان فيه الكثير من الجوانب النافعة والمفيدة التي لابد من تنميتها وإحيائها ، والحفاظ عليها ، والإستفادة منها من خلال خطة عمل منهجيَّة فعالة تيسر سبل الاطلاع على التراث الثقافي والفكري الإسلاميين ، والتعامل مع

التراث وجعل أمر عرضه وفهمه من خلال تبويبه وتصنيفه على أبواب العلوم والأنشطة المعاصرة وفهرسته أمراً ميسراً ممكناً بعد أن كاد أن يسلك في عداد المستحيلات ، لا يتعامل معه إلاّ قلة نادرة من القادرين والصابرين .

والمعهد بإذن الله عازم على نشر خطة عمله في ميدان تبويب التراث وتيسيره ، ونشر دراسات تطبيقية نموذجية تمهد الطريق أمام العاملين والمهتمين بقضية التراث بإذن الله وتيسر عملهم.

وفي أعقاب ذلك المؤتمر العالمي الأول لإسلامية المعرفة الذي عقد في إسلام آباد رأى المعهد أن يقوم بنشر خطة تفصيلية تمثل دليل العمل في ميدان اسلامية المعرفة وخدمة الفكر والمفكر وطالب العلم المسلم. وقد أوكل المعهد إلى الأستاذ الدكتور اسماعيل الفاروقي مهمة إعداد وتحرير هذه الخطة باللغة الانكليزية . ثم قامت بعض دور النشر العربية بترجمة تلك الطبعة الى العربية ، ونشرها دون تنسيق وتفاهم كامل مع المعهد . فرأى مجلس أمناء المعهد أن يعهد إلى الأستاذ د. عبد الحميد أبو سليمان بإعادة تحرير هذه الدراسة باللغة العربية ، فقام بذلك مشكوراً ، وتمت مراجعتها الفنية واعتمادها خطة عمل للمعهد مع إضافة أوراق عمل الندوات الكبرى التي عقدها المعهد بعد المؤتمر الأول في اسلام آباد ، وتقرير مختصر عن أهم الانجازات التي قام بها المعهد حتى صدور هذه الطبعة بالصورة التي يراها القارىء الكريم عسى أن تأتي هذه الدراسة وسائر أعمال المعهد ووجوه نشاط المؤسسات العلمية الاسلامية ، وتكاتف جهود العلماء والمثقفين بالثمار المرجوة في التصدي لحل أزمة الفكر ، والقيام بواجبات اسلامية المعرفة وايلائها الأولوية التي تستحقها ، وكلنا أمل أن ينهض مفكرو ''الأمة'' ويرتفعوا الى مستوى التحدي.

نسأل الله تعالى أن يهدينا جميعاً سبله وأن يوفق المخلصين إلى أن يحققوا في هذا المجال ما يرضي الله تعالى ورسوله ﷺ ويحقق للأمة أهدافها ، انه سميع مجيب الدعاء.

واشنطن ـــ رجب ١٤٠٦ آذار/مارس ١٩٨٦

المعهد العالمي للفكر الإسلامي

الفصل الأول

القضية

١ ـــ علة الأمة:

تقف الأمة الإسلامية اليوم في أدنى مرتبة قياساً الى غيرها من الأمم، فلم تتعرض أية أمة من الأمم الى هزائم كتلك التي تعرضت لها الأمة الاسلامية في هذا القرن. فقد هزم المسلمون واستبيحت دماؤهم ونهبت ثرواتهم وطردوا من ديارهم وحرموا حق الحياة والأمل. وتعرضوا في الوقت نفسه ـــ وبشراسة مطلقة ـــ لكل أنواع الخداع والاستعمار والاستغلال. وحمل كثير منهم بمختلف الطرق على اعتناق معتقدات ومذاهب أخرى سواء بطريق الترغيب أو الترهيب. وأبعدهم أعداؤهم وعملاء أعدائهم في الداخل والخارج عن جذورهم وهويتهم وحضارتهم الاسلامية. وهذا ما حدث فعلاً في كل بلد أو ركن من اركان العالم الإسلامي الفسيح. فأصبح المسلمون بعد أن كانوا سادة الدنيا ضحايا الظلم والقهر والعدوان، ولم يكف أعداءهم ذلك ، بل تعدوا ذلك كله الى الحط من منزلتهم التاريخية وتشويه سمعتهم وماضيهم وأمجادهم بين الأمم والشعوب، حتى أصبحت صورتهم اليوم أسوأ صورة يمكن أن تصور بها أمة. ولعل من الأدلة على ذلك ما درجت عليه وسائل الاعلام الدولية من تصوير المسلم بصورة شخص عدواني ، هدام ، ارهابي ، متمرد على القانون ، غير

متحضر متعصب ، متزمت ، متأخر غير مؤهل لمجاراة عصره. وعلى وجه العموم فقد أصبح المسلم اليوم هدفاً للحقد والازدراء من غير المسلمين جميعاً ، سواء أكانوا من أبناء الدول النامية أو غير النامية، الرأسمالية أو الاشتراكية ، الشرقية أو الغربية ، المتحضرة أو المتخلفة. ولا يعرف العالم الاسلامي اليوم بين الأمم ألا بأنه عالم الصراع والشقاق الداخليين ، عالم الفتن والتناقضات ، عالم الحروب وتهديد السلم العالمي ، عالم الثراء الفاحش والفقر المدقع ، عالم المجاعات والأوبئة ، ومن جانب آخر هنالك اعتقاد عند السواد الأعظم من سكان المعمورة بأن العالم الإسلامي هو ''الرجل المريض'' في عالم اليوم، وبأن الدين الاسلامي هو السبب المباشر لكل جذور البلاء هذه.

وتشتد وطأة آلام العلة المتمثلة بهذا الواقع الأليم على نفس المسلم حين لا يجد مسوغاً يبرر استمرارها في ظل وجود حقيقة أن الأمة الاسلامية تعد اليوم حوالي ألف مليون نسمة ، وان رقعة أرضها أكبر وأغنى البقاع في العالم ، وان امكاناتها البشرية والمادية والاقتصادية هي اعظم الامكانات في العالم ، وأن دينها الاسلام ، على رأس هذا كله ، دين متكامل حاوٍ لكل خير شامل لكل فضيلة ، واقعي يناسب الانسانية برمتها ، ويمكن الحصول منه على أفضل الحلول وأحسن المعالجات لمشاكل العالم المعاصر كلها لا مشاكل المسلمين وحدهم.

٢ ـــ المظاهر الرئيسية للعلة:

أ ـــ على الصعيد السياسي:

إن أية نظرة على الصعيد السياسي ترينا أن الأمة منقسمة على

نفسها ، وذلك بسبب نجاح القوى الاستعمارية في تمزيقها إلى خمسين دولة قومية أو تزيد، وقد أقيمت الحدود المصطنعة بين هذه الدول بشكل يولد دائماً أجواء من التوتر والاحتكاك فيما بينها. وتغذي الدوائر السياسية الاستعمارية على الدوام تلك الأجواء بتدبير المكائد والمؤامرات لاستغلال هذه الظروف وتنمية واستمرار أسباب النفور والعداء.

أما على الجبهة الداخلية فنجد أن كل واحدة من هذه الدول القومية تعاني من الانقسام الداخلي ويشكل سكانها خليطاً قومياً غير متجانس حيث يمكن السادة المستعمرون فئة من فئاته من التسلط على الفئات الأخرى. ولم تتح لأي من هذه الدول القومية الفرصة للاستقرار وجمع شتات مواطنيها في كيان واحد متجانس. كما لم تتح الفرصة لأية دولة من هذه الدول أن تندمج مع دول أخرى من شقيقاتها في كيان أكبر ، والتجارب المحدودة التي حدثت سرعان ما منيت بالفشل والاحباط ، ومما يزيد الطين بلة ، لجوء القوى المعادية لهذه الأمة الى جلب أو ''استيراد'' الأجانب والغرباء بكثافة الى العالم الاسلامي لضمان تنمية عوامل الصراع واستمرارها والحصول على أسباب للتدخل في الشؤون الداخلية لهذه الدول ماتحتاج الى ذلك. كما قام العدو بابعاد بعض المسلمين عن دينهم وتحويلهم الى النصرانية الغربية مما يؤدي الى اضعافهم وانعزالهم عن أبناء جلدتهم. ولم يتوقف العدو عند هذا الحد بل تعداه ليشمل غير المسلمين من أبناء البلد حيث قام بغرس أفكار غريبة وخبيثة في نفوسهم تنادي بالانتماء الآخر والهوية البديلة مما يؤدي حتماً الى تأجيج الصراع مع المسلمين . وقام العدو آخر الأمر بزرع دول ''غريبة'' في جسم الأمة الإسلامية بهدف تبديد الطاقة الاسلامية وابعادها عن عملية البناء واستنزافها

في حروب لا جدوى منها، أو استخدامها كقواعد انطلاق متى ما قررت القوى الاستعمارية العودة الى احتلال أراضي المسلمين بالقوة لخدمة مصالحها الاقتصادية والاستراتيجية والسياسية . ولهذا لا توجد دولة اسلامية تنعم بالأمن الداخلي أو الخارجي فضلاً عن ان كل واحدة منها تبدد الجزء الأعظم من امكاناتها وطاقاتها عبثاً ودونما جدوى في سبيل ضمان سيطرتها الداخلية وسيادتها الخارجية . يضاف الى ذلك قيام الادارة الاستعمارية بالقضاء على المؤسسات السياسية في سائر أنحاء العالم الإسلامي، التي ابتليت بسيطرتها. وعندما بدأت الشعوب تستيقظ وحان الوقت لانسحاب هذه الإدارة سلمت مقاليد الحكم الى فئة مختارة من أهل البلاد تم ــ مسبقاً ــ اعدادهم وتربيتهم وفق الأنماط الغربية في الفكر والثقافة والحياة. ثم آلت القوة والسيطرة في معظم هذه البلدان الى قبضة العسكريين الذين استطاعوا أن يغتصبوا السلطة عند أول فرصة مواتية. ولذلك يخضع المسلمون في معظم أقطارهم للحكم العسكري لانعدام المؤسسات والهياكل السياسية المؤهلة لادارة شؤون الحكم أو تعبئة الجماهير للمقاومة وتوجيهها لأداء أي عمل سياسي بناء، أو للتعاون وتنسيق العمل فيما بينها.

ب ــ على الصعيد الاقتصادي:

نجد الأمة في هذا المجال شديدة التخلف كذلك ، حيث يشكل الأميون الغالبية العظمى من أبنائها ، وانتاجهم من المواد والخدمات أقل بكثير من احتياجاتهم التي تعوض بطريق استيراد البضائع والسلع الجاهزة من الدول الاستعمارية ، وبما في ذلك المتطلبات الأساسية للحياة من مواد غذائية وألبسة وطاقة وآلات ، فلا توجد دولة

اسلامية واحدة مكتفية ذاتياً في سائر ما تحتاج اليه ، بل ان كل واحدة منها ــ في الحقيقة ــ مهددة بالمجاعة اذا اختارت القوى الاستعمارية لأي سبب أن توقف تجارتها غير العادلة معها. وقد دأبت المصالح الاستعمارية على إيجاد رغبات وأسواق استهلاكية لمنتجاتها في كل جزء من العالم الاسلامي ، وفي الوقت نفسه ضربت عرض الحائط بحاجة المسلمين الى المكننة من أدوات انتاج وتصنيع. وينجح المستعمرون ــ غالباً ــ في سعيهم الى منافسة ومحاربة الانتاج المحلي للمسلمين وازاحته من الأسواق . وعندما يتم تطوير صناعة معينة بمساعدة المستعمرين فإنها تكون معتمدة عليهم كلياً للبقاء والاستمرار، وذلك بسبب الحاجة الماسة للمواد الخام والعناصر الأساسية الجاهزة التي لا يمكن التزود بها إلا من صناعاتهم ، وبهذا يخضع الانتاج الصناعي الاسلامي ــ حين يوجد ــ لرحمتهم. وفي أغلب الأحيان لا تكون الصناعة الاسلامية مصممة لتلبية الاحتياجات الماسة بل مقتصرة على تلبية الاحتياجات الثانوية للاستهلاك والتي توجدها وتروج لها الاعلانات التجارية الاستعمارية المكثفة. ويعتبر المستعمرون الاكتفاء الذاتي الزراعي لدى المسلمين عدوهم الأول ، لأنه يمثل في الوقت الحاضر ، والى فترة طويلة من الزمن ، المطلب الرئيسي والضروري لمقاومة أي مخطط استعماري ، ولهذا نرى في كل جزء من العالم الاسلامي المزارعين المسلمين يجتثون من قراهم وحقولهم بأساليب ووعود خادعة تمنيهم بحياة أفضل في المدينة ، باغرائهم بالوظائف المؤقتة في ميادين البناء والانشاءات العامة ، أو بالعمل في المضاربات الغذائية والمواد الاستهلاكية ، كما يهرب الكثير منهم من حقولهم نتيجة لاستغلالهم البشع من قبل اصحاب الأراضي وجباة الضرائب . وهكذا يهاجر المزارعون المسلمون الى المدن ليعيشوا في أحياء من

الأكواخ الحقيرة معتمدين على الأطعمة الجاهزة المستوردة، ومستعدين لاجابة نداء أي زعيم غوغائي يسعى لتحقيق مآربه الخاصة عن طريق استغلال ظروفهم الصعبة. وهكذا أصبحت البلدان المسلمة الزراعية المصدرة بلداناً مستوردة لسائر أنواع الغذاء.

أما الثروة المعدنية الهائلة التي قدر الله سبحانه وتعالى بحكمته أن يهبها لبعض الدول الإسلامية ، فللظروف السكانية لتلك البلاد ولتدهور أحوال مختلف بلاد الأمة الاسلامية فكرياً وحضارياً وبسبب انعدام الاستقرار السياسي في دول العالم الإسلامي لذلك لم تؤد تلك الثروة الدور المقدر لها في تنمية العالم االإسلامي وتطويره صناعياً وزراعياً بل ان دواعي الأمن الاستثماري قد اجتذبت كثيراً من رؤوس الأموال الفائضة لكي تسخر في تنمية البقاع الأخرى من العالم.

ج ــ على الصعيد الثقافي:

أدى انتشار الجهل والخرافات والأمية بين المسلمين ــ نتيجة قرون من التدهور والتخلف ــ الى دفع المسلم العادي الى النكوص والركون الى الإيمان الشكلي والتقليد الأعمى ، والتقيد بالتفسير الحرفي، والاستسلام لدعاة الخرافة مما أوجد في نفسه قدراً كبيراً من الضعف والعجز عن مقاومة التحديات والتأثيرات الخارجية . وعندما داهمه العالم الحديث أدى ضعفه العسكري والسياسي والاقتصادي الى خوفه وارتباكه . وتحت تأثير هذه الصدمة سعى الى حلول وسطية لاصلاح حاله اعتقاداً منه انها العصا السحرية التي ستعيد اليه بسرعة كل ما اضاعه وفاته. وهكذا لجأ دون وعي أو ادراك الى اعتماد الوسائل والأفكار الغربية بعد أن أغوته تجربة الغرب الناجحة وبعد

أن زين له مستشاروه الغربيون ، أو مستشاروه المحليون غربيو التفكير، محاولة تقليدها ، أما في المناطق الخاضعة للإدارة الاستعمارية فقد فرض النهج الغربي وقام الحكام بالترويج له وتشجيعه بكل ما توفر لديهم من وسائل.

وسواء كانت نية هؤلاء الحكام المسلمين الذين سعوا لحل مشاكل بلادهم باتباع النهج الغربي حسنة أو سيئة ، فانهم عجزوا عن أن يدركوا أن برامجهم سوف تزعزع وتقوض ـــ عاجلاً أم آجلاً ـــ أسس الدين الاسلامي وثقافته بين صفوف رعيتهم .وكانت العلاقة بين مظاهر القدرة على الانتاج والقوة في الغرب من جهة ، وبين الأفكار الغربية التي تتعلق بالله والانسان والحياة والطبيعة والكون والزمان والتاريخ من جهة أخرى ، من الدقة والتعقيد الى درجة ان هؤلاء الحكام عجزوا عن الانتباه لها وفهمها ، أو ان تسرعهم للإصلاح أدى الى عدم اعارتها أية أهمية ، وهكذا نشأ نظام تعليمي لا ديني يلقن القيم والمفاهيم والأساليب الغربية. وسرعان ما أخذ يغرق المجتمع الاسلامي بأجيال من الخريجين من حملة الدرجات العلمية الجاهلين تماما بأمور دينهم وتراثهم الاسلامي. وزاد في عدم ثقة هؤلاء الخريجين بالعلماء المسلمين حماة التراث الإسلامي وحملته ما كان عليه كثير من هؤلاء العلماء من حرفية ، وتشبث بالموروث جملة وتفصيلا ودون تمييز بين ما لا يجوز تجاوزه من أحكام الكتاب والسنة ، وبين ما وسع الله فيه من فقه الرجال وآرائهم . وهكذا بدأت الشقة تنمو بين العلماء المسلمين المعارضين للنهج العلماني اللاديني وبين العلمانيين اللادينيين غربيي التفكير الداعين له . ورتب الاستعمار الأمر بحيث أصبح العلمانيون اللادينيون أصحاب اليد الطولى وصناع القرار في الدولة الاسلامية.

وتعرض كل ما هو اسلامي للهجوم ، سواء من قبل المستعمرين مباشرة أو من قبل صنائعهم وعملائهم من أبناء البلاد ، ولم يستثن من هذه الهجمة الشرسة كمال النص القرآني ولا اصالة رسالة النبي ﷺ وسنته الشريفة ، ولا تمام الشريعة الإسلامية ، ولا الانجازات الاسلامية المجيدة في ميادين الحضارة والثقافة . وكان الهدف من وراء ذلك زعزعة ثقة المسلم بنفسه وأمته ودينه وسلفه الصالح ، وتشويه وعيه وافساد شخصيته الاسلامية ، ومن ثم جعله مسلوب الارادة، خائر القوى فاقداً للطاقة .والحوافز الضرورية للمقاومة والصمود. وأغرق المستعمرون وصنائعهم حياة المسلم اليومية بمظاهر الدعاية للثقافة الغربية، فأخذت الصحف والكتب والمجلات والإذاعات ومحطات التلفزيون ، والأشرطة السينمائية والاسطوانات وأشرطة التسجيل ، والملصقات العامة في الشوارع ، والاعلانات الضوئية تمطره بوابل من هذه المؤثرات الدعائية يومياً . وفي هذه الأجواء أصبحت الحكومات الاسلامية تتباهى بشق الطرق والشوارع العريضة المزينة بالأشجار في عواصمها ، وتشييد مباني سكنية وحكومية شاهقة على النمط الغربي ، في الوقت الذي لا تخجل فيه تلك الحكومات من القذارة والتخلف والتفسخ الذي يسود سائر المدن والقرى في بلادها. واعتادت نخبة من ابناء البلاد غربيي التفكير ارتياد أماكن التسلية واللهو لمشاهدة الأوبرا أو المسرحيات أو الأفلام السينمائية ، أو الاستماع الى الحفلات الموسيقية ، بينما كان ابناؤهم يقرأون عنها في المدارس والكليات العلمانية التنصيرية ، وأخفق هؤلاء جميعاً في ادراك التباين بين هذه الأمور وبين كل شيء آخر يفكرون فيه أو يقومون به . أما أولئك الذين أتموا بناء ثقافتهم الذاتية وفق الأفكار والمعايير الغربية فقد برزوا بشكل أكثر غرابة وسط بيئتهم

الاسلامية ، حيث تمزقت وحدة البنية الكاملة للثقافة الاسلامية ، وتمزق النمط الاسلامي للحياة في نفوسهم وتفكيرهم وأعمالهم ، وفي داخل بيوتهم وأسرهم . وأقحمت المؤسسات والعادات الغربية بشكل مروع ومتهور في حياتهم . وأخذت المرأة المسلمة تتهافت على مظاهر الانحلال الغربي بدلا من رفع منزلتها من الدرك الذي انحدرت اليه الى أعلى مراتب الفضيلة والتأثير الاجتماعي الذي خصها به الاسلام. وتجلى ذلك في التهافت التدرجي على العرى والتبرج ، والاستقلال المالي للمرأة بهدف الحصول على حرية ذاتية مزيفة والسعي وراء الملذات والتخلي عن الواجبات التي تفرضها روابط الأسرة الواسعة.

واندثر وانعدم في مدننا فن العمارة وتخطيط المدن الاسلامي، وأخذت مدننا ــ التي تنمو أسرع مما ينبغي ــ تكرر كل الأخطاء والنواقص التي عانت منها المدن الأوروبية في فترة الثورة الصناعية قبل قرنين من الزمن ، وكأننا عاجزون تماما عن الاستفادة من تجارب الآخرين . فبيوتنا وأثاثنا وفنون الزخرفة والتزيين لدينا ما هي إلا خليط غير متجانس من كافة الطرازات يفضح مفاهيمنا المضطربة عن حقيقة هويتنا وانتمائنا.

وجملة القول ، ان المسلم ــ رغم كل الادعاءات التي تقول عكس ذلك ــ مكن من نفسه التخلف والانحدار بقدر المدى الذي سمح لنفسه بتقليد الأفكار والأساليب الغربية . وتحولت حياته الى مزيج من الأنماط المختلفة التي لا يربطها بماضيه أية صلة. ووضعه هذا في موقع قلق شاذ ، فلا هو بالمسلم ولا هو بالغربي ، بل مسخ حضاري أفرزته العصور الحديثة.

٣ ـ جذور الأزمة في اعتلال الفكر والمنهجية:

لم يعد يوجد أدنى شك في ان أساس ''علة'' هذه الأمة هو في اعتلال فكر الأمة وفي منهجية فكر الأمة وما يترتب على ذلك من اعتلال نظام التعليم السائد فيها مما يشكل تربة خصبة للداء ، ففي المدارس والكليات يلقن ويكرس الاغتراب والابتعاد عن الاسلام وتراثه ونمطه في الحياة بحيث صار نظام التعليم الحالي هو المختبر الذي تصاغ فيه تركيبة الشباب المسلم ويجري تغذية وعيهم على أسس غربية باطلة . ففي هذا المكان ، وعن طريق الانحراف والشكوك التي يغرسها هذا النظام في أعماق وعيه ، تنقطع صلة المسلم بماضيه وتواجه رغبته الفكرية لدراسة تراث آبائه بالإحباط ، وتثبّط همته لتلمس جذور هذا التراث والانطلاق المبدع لاحيائه وتجديده.

أ ـ الحالة الراهنة للتعليم في العالم الإسلامي:

رغم التوسع الهائل الذي حدث حتى الآن نجد ان التعليم الاسلامي في الوقت الحاضر في أسوأ حالاته . فعلى صعيد اسلامية التعليم ومناهجه نجد المدارس والكليات والجامعات التقليدية منها والعلمانية أجرأ من أي وقت مضى في الدعوة الى آرائها وأفكارها اللااسلامية ، كما انها استطاعت اليوم أكثر من أي وقت اجتذاب الآذان الصاغية للأغلبية العظمى من الشباب المسلم. فقد اتخذ نظام التعليم العلماني اللاديني منذ إنشائه على يد الادارة الاستعمارية مواقع حساسة وابعاداً مهمة على حساب النظام الاسلامي وازاحته من الميدان. وبقي التعليم الاسلامي في الغالب محصوراً في نطاق ضيق ومحروماً من دعم الأموال العامة للدولة. وحتى في حال توفر الأموال

اللازمة فانها ترفق عادة بطلبات واصرار على العلمنة واللادينية بدعوتي اللحاق بالعصر والرقي الحضاري. وهكذا ينقسم منهاج الدراسة الى قسمين متناقضين أحدهما اسلامي والآخر حديث (كذا). وما جرى في بعض كبريات الجامعات الاسلامية العريقة مثال نموذجي حي على ذلك. فقد بقي الجزء الاسلامي من المنهاج دون تغيير بسبب الاتجاه المحافظ والمصالح الشخصية المكتسبة للقائمين عليه، إضافة الى ان المخطط العلماني اللاديني شجع على ابقاء تلك الجامعات بعيداً عن الواقع وعن التحديث حتى لا يشكل خريجوها أي تحد فعلي للمؤسسات العلمانية اللادينية . وقد تمت دراسة هذه الأمور كلها والتخطيط لها بعناية تامة من قبل واضعي الاستراتيجية الاستعمارية.
فقد اعطى الاستقلال الوطني القومي للدول الاسلامية قوة دافعة لنظام التعليم العلماني اللاديني فيها حيث تم تعزيزه وتبنيه وضمان استمراره نظاماً أساسياً باغراقه بالأموال. كما تم أيضاً توسيع وزيادة علمانية ولا دينية النظام باسم القومية العنصرية والوطنية الاقليمية وتمضي القوى الداعية الى المنهج الغربي والعلمانية ــ مع ما يرافق دعوتها هذه من إبعاد للطلبة والأساتذة عن جذورهم وحضارتهم الاسلامية ــ بالعمل بكل طاقاتها وحريتها في الكليات والجامعات دون أن يتخذ أي إجراء يؤدي الى ايقاف هذا الانحراف. ويعتبر هذا الواقع أسوأ مما كان عليه الوضع في عهد الاستعمار. ففي ذلك الوقت تحركت روح المقاومة داخل كل مسلم للسعي نحو التحرر وايجاد الحل الإسلامي. أما اليوم فقد سادت روح من السلبية واللامبالاة وانعدام الثقة في القادة جميعاً. ويرجع هذا في الغالب الى الوعود الزائفة وخيبات الأمل المتكررة والى المثال السيىء والمؤلم الذي يضربه القادة المفلسون أخلاقياً . ولا تقوم اية حكومة إسلامية ، او إدارة جامعية،

أو مؤسسة خاصة ، بأي عمل لمواجهة المعنويات المنهارة لدى شباب الكليات ، أو التصدي للخطة المستمرة الرامية الى ابعادهم عن جذورهم الدينية والحضارية بطريق ''التعليم''. وهناك أيضاً برامج الاعمار الواسعة في البلدان الاسلامية الغنية التي اصبحت عاملاً مساعداً في خدمة القضية العلمانية اللادينية لأنها أصبحت تسهم في زيادة اعداد الطلبة وهيئات التدريس والإدارة والمرافق العامة والخاصة التي تعد في جامعات الغرب أو في الجامعات المحلية العلمانية اللادينية. وقلّما تخصص أية نسبة من المال في سبيل ''التحديث'' بمعناه الحقيقي، أي في سبيل تطوير الصفة الإسلامية للتعليم ، أو التوجه الاسلامي للطلبة وأعضاء الهيئة التدريسية ، ففي كل مكان يجري سباق جنوني نحو اتباع النمط الغربي في التعليم .

ب ــ الافتقار الى الرؤية الصحيحة:

على الرغم من كل الادعاءات بعكس ذلك فما تحقق حتى الآن لم يكن اطلاقاً النموذج الغربي بل صورة ممسوخة عنه ، فالنموذج الغربي مثله مثل النموذج الاسلامي ــ رغم الاختلاف بينهما ــ يستند في النهاية على رؤية محددة تتطلب ارادة لتحقيقها. فالمباني والمكاتب والمكتبات والمختبرات وقاعات المحاضرات هي ممتلكات مادية لا قيمة لها بدون رؤية واضحة للغاية منها. وإلا تحولت الى تقليد لمظاهرها غير الأساسية فقط. ولهذا السبب لم يتمكن المسلمون خلال ما يقرب من قرنيين من التعليم العلماني اللاديني القائم على النموذج الغربي أن يحققوا أي شيء ، فهم لم يستطيعوا أن يؤسسوا مدرسة أو كلية أو جامعة واحدة ، أو أن يخرجوا جيلاً واحداً يستطيع أن يبرز المقدرة الأوروبية في الابداع والتفوق . أما مشكلة المستويات المتدنية في

معاهد العالم الاسلامي والتي يصعب حلها فهي نتيجة حتمية لانعدام هذه الرؤية ، فلا يوجد بحث حقيقي عن المعرفة بدون روح، وهذه الروح هي بالضبط ما لا يمكن تقليده. فهي تتولد عن رؤية كلية في الإنسان والكون والحياة ، وباختصار تنبع عن العقيدة. والتعليم في العالم الاسلامي يفتقر الى هذه الرؤية ، فقيادته لا تملك رؤية الرجل الغربي كما انها فقدت طواعية الرؤية الاسلامية بسبب الجهل والكسل واللامبالاة. أما الزعامة التربوية في العالم الاسلامي فقد اتسمت بالروح المادية وافتقرت الى الثقافة اللازمة والهدف الواضح. وخلال المائتي عام المنصرمة كانت العقيدة والشعور القومي هما المسيطران والملهمان في جامعات الغرب لأن الرومانسية [1] حلت محل اله النصرانية الميت. واعتبرت ''الأمة القومية'' على انها ''حقيقة مطلقة'' أصيلة . أما المسلم فلا يعرف غير الايمان بالله حقيقة مطلقة ولهذا فإن ولاءه المطلق للدولة القومية اللادينية ليس مستحيلاً فقط بل هو كفر. ومهما كان ارتباط المسلم بتراثه وماضيه ، لا يمكنه أن يكون ''قومياً لا دينياً'' بمفهوم الفرد الأوروبي الذي فقد نصرانيته واستغنى عنها بقوميته.

ولننظر الآن الى أعلى مرتبة يصلها مدرس جامعي مسلم حصل على الدكتوراه خاصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية من جامعة غربية، الا وهي لقب أستاذ. فقد تابع تعليمه في الغرب وتدرب فيه، وتخرج بمعدل وسط أو دون ذلك. وبما أنه لم ينطلق ــ في الغالب ــ في سبيل هدفه من دوافعه الاسلامية، أي انه لم يسع في طلب

(١) الرومانسية: حركة فلسفية وأدبية وفنية نشأت في القرن الثامن عشر كرد فعل ضد ''الكلاسيكية المحدثة'' وقد تميزت بالتأكيد على الخيال والعاطفة وبالنزعة الى تصوير الخبرات الذاتية وتمجيد الانسان العادي وبحب للطبيعة الخارجية.

العلم في سبيل الله — تعالى — بل سعى الى ذلك — غالبا — من أجل هدف مادي أناني (وفي أفضل الأحوال قومي) ، لذا لم يكن له ان يحصل على مجمل المعرفة التي توفرت له في الغرب . كما انه لم يستطع أن يتفوق على أساتذته الغربيين في مجال اختصاصهم ، ولم يتمكن من هضم ما تعلمه ولم يسع إلى صياغته مجدداً من خلال الرؤية الإسلامية للمعرفة والحقيقة كما فعل من قبل أجداده الذين درسوا علوم القدماء وعملوا على وضعها في صيغة اسلامية . وبدلا من ذلك قنع باجتياز امتحاناته والحصول على الدرجة العلمية المنشودة والعودة الى وطنه ليتبوأ مركزاً هاماً مرموقاً . وتمثل الكتب التي قرأها خلال فترة دراسته منتهى ما يمكن ان تصل اليه معرفته العلمية ، حيث يعوزه الآن الوقت والطاقة والحافز لكي يوسع آفاق معرفته التي وصل اليها بطريق دراسته . وتزيد ظروف عمله ومعيشته من ابتعاده عن بلوغ هذا الهدف الأعلى عزيز المنال. وبطبيعة الحال ، فإن طلبته سيكونون حتماً أقل كفاءة وأقل اندفاعاً منه للحصول على المعرفة لأن المثل الغربي الأعلى قد تقهقر بالنسبة اليهم بصورة أكبر. وهكذا بالتدريج تتدنى المستويات باستمرار ويصبح النموذج الغربي للتعليم في العالم الاسلامي مسخاً مشوهاً للنموذج الأصلي في الغرب.

ان المواد والمناهج التي تدرس حالياً في العالم الاسلامي هي نسخ عن المواد والمناهج الغربية لكنها تفتقر الى الرؤية التي حركتها في الغرب . وافتقارها الى هذه الرؤية جعلها أداة للتعليم القاصر. وبدون وعي تمضي هذه المواد والمناهج الخالية من الروح في تأثيرها الضار لابعاد الطلبة المسلمين عن جذورهم وحضارتهم فارضة نفسها كبدائل للمواد والمناهج الاسلامية على انها عوامل للتقدم والتحديث. لكنها في الواقع تجعل من الخريج الجامعي في العالم الاسلامي نموذجاً

حياً للطالب المغرور الذي تماثل قدراته قدرات الطالب الذي لا زال في المرحلة الأولية من دراسته الجامعية ولكنه يعتقد انه القدير العالم بكل شيء وهو في الحقيقة لا يملك الا القليل من القدرة والعلم.

وهكذا يحرم الطالب المسلم الاستفادة من الميزات التي يمكن أن تتوفر في المعارف الغربية. حيث ان امكانية الاستفادة من هذه الميزات تتطلب أولا المقدرة على استيعاب المعرفة كلها التي تتوفر في ذلك الميدان ، وثانياً وجود فكرة معينة تشكل حافزاً لهضم هذه المعرفة كاملة ومن ثم تجاوزها والتفوق عليها. وتعتمد امكانية الاستفادة على وجود مثل هذا الحافز ، حيث ان اكتساب المعرفة المتوفرة تتطلب وجود فكرة محركة لا يولدها الا الالتزام بقضية عقيدية معينة. وبدون وجود القضية فلن يندفع المسلم حقيقة للتضلع في معرفة فرع من الفروع ، كما انه من المستحيل عليه تجاوز المدى الذي وصلته المعرفة في ذلك الفرع. وبالنسبة للمسلم فإن القضية الوحيدة التي يمكن ان تكون قضيته حقاً هي الاسلام . ولهذا لم يتمكن الأساتذة المسلمون الذين تلقوا تعليمهم في الغرب من الحصول على مجمل المعرفة التي توفرت لهم لأن الاسلام لم يكن قضيتهم وحافزهم. وكأساتذة جامعيين عجزوا فيما بعد عن نقل هذا الشرط الأساسي للابداع الى طلابهم. ولأنهم قنعوا بنقل وترجمة جزء من مجمل هذه المعرفة فقد حكموا مسبقاً على طلابهم بالأداء القاصر والمستوى المتواضع من الكفاءة في أفضل الأحوال.

والكارثة الكبرى التي تواجه التعليم الاسلامي هي بالتأكيد افتقار اساتذة الجامعات في العالم الاسلامي الى الرؤية الاسلامية ، حيث انهم لا يتحركون بتأثير دوافع هذه الرؤية العقيدية الاسلامية. وفي العالم الاسلامي كله يبدأ الطلبة مرحلتهم الجامعية في وقت لا تتجاوز الرؤية

الاسلامية لديهم معرفة قليلة بالاسلام اكتسبوها اما في البيت أو في المرحلة الابتدائية أو المتوسطة أو فيها جميعاً. ومن الواضح ان هذا لا يشكل ''رؤية'' أو ''قضية''. ومن الناحية العقيدية يبدأ الطالب مرحلة التعليم الجامعي وفكره خال تماما من هذه الرؤية ومنفتح لأية تأثيرات. وقد يبدأ دراسته وفي داخله بعض المشاعر أو العواطف ولكن تعوزه الأفكار ، وهذه المشاعر ، ان وجدت ، تتحطم حالما تجابهها ''الأفكار'' و ''الحقائق'' و ''الأحكام'' الموضوعية ''للعلم'' والتي تقدمها له الفروع التي يدرسها . ومن الواضح أيضاً ان هذا الطالب لا يملك وسائل الدفاع ولا الرؤية التي تمكنه من مجابهة هذا المستوى من التصور. ولهذا فان لم يتخرج ملحداً أو علمانياً لا دينياً أو شيوعياً ملحداً فإن نظرته الى الإسلام لن تتجاوز الارتباط الشخصي والعاطفي بأسرته وأبناء بلده. كما يفتقر هذا الطالب الى جزء ولو يسير من العقيدة الاسلامية الحية التي تتضمن أفضل الأفكار المتعلقة بالمشاكل التي قد تواجهه. وعلى المستوى الفكري يواجه الطالب الجامعي في العالم الاسلامي العقائد الغربية التي تقدم له في الكتب المقررة وقاعات المحاضرات بدفاع هزيل بائس ، مثله تماما مثل جندي متسلح برمح وسيف في مواجهة دبابة ومدفع. ولا يوجد مكان في العالم الاسلامي تدّرس فيه بالمعنى الصحيح الرؤية الاسلامية لكافة الطلبة كما تدرس التقاليد الغربية لطلبة المدارس الثانوية في الغرب ، أي بترابط وشمولية وجدية والتزام من قبل الجميع . ولكن الرؤية لا تشكل جزءاً من البرامج الدراسية ''الأساسية'' أو ''الجوهرية'' التي يجب على الطلبة جميعاً دراستها واستلهامها في أية جامعة في العالم الاسلامي.

الفصل الثاني

المهمة

ان أصعب مهمة تواجه الأمة الاسلامية في القرن الخامس عشر الهجري في سبيل حل أزمة الفكر والمعرفة الاسلامية هي ايجاد حل لمشكلة التعليم ، اذ لا يمكن ان يكون هنالك أي أمل في احياء حقيقي للأمة ما لم يصحح نظامها التعليمي وتقوّم أخطاؤه. بل ان ما نحتاج اليه ـــ في الحقيقة ـــ هو اعادة تشكيل هذا النظام من جديد. فالازدواجية الراهنة في التعليم الاسلامي التي تقسمه الى نظامين أحدهما اسلامي والآخر علماني لا ديني يجب أن تلغى الى الأبد بل يجب أن يكون النظام التعليمي نظاماً واحداً ينبع من الروح الإسلامية ويعمل باعتباره وحدة متكاملة مع برنامج الاسلام العقيدي. ويجب أن لايبقى نظام التعليم في العالم الاسلامي مقلداً للنظام الغربي أو أن يترك هائماً ليجد مخرجاً بنفسه. كما يجب ألاّ يقتصر على تلبية الحاجات الدنيوية والرغبات المادية للطلبة ، أو على تحقيق احتراف لحقل من حقول العلم والمعرفة واحراز نجاح شخصي ومادي . بل يجب أيضاً ان يعطى للنظام التعليمي رسالة ، وهذه الرسالة لا يمكن ان تكون سوى اضفاء الرؤية الاسلامية وشحذ الارادة لتحقيقها على

أوسع نطاق. ومثل هذه المهمة بالنظرة الجزئية القاصرة تعتبر مهمة صعبة الانجاز وقد تكون باهظة التكاليف قياساً الى ما تنفقه على التعليم في الوقت الحاضر . لكن الأمة الاسلامية بمجموعها تنفق على التعليم من ''مجمل الانتاج الوطني'' ومن ميزانيتها السنوية نسبة تقل كثيراً عما تنفقه معظم الدول الأخرى المتقدمة التي تعرف جدوى العناية بالتعليم والانفاق عليه. وحتى في الدول الاسلامية الغنية حيث تكون ميزانية التعليم فيها كبيرة فان معظمها ينفق على الأبنية والإدارة بدلا من الأبحاث والنشاطات التربوية المناسبة. فيجب ان تنفق الأمة الاسلامية على التعليم وتعنى به نوعاً وكماً أكثر مما تفعل حالياً كي تستقطب النخبة من أصحاب الكفاءات وتساعدهم على تحقيق المطلوب منهم ، وبلوغ المنزلة الرفيعة التي حباهم الله بها ''كرجال معرفة'' و ''طالبي علم''.

١ ــ دمج نظامي التعليم:

ولإيجاد نظام تعليمي موحد تهيمن عليه العقيدة الاسلامية، وتسيطر على سائر جوانبه الروح الإسلامية يجب أن يدمج نظام (التعليم الديني) مع نظام التعليم العام بما يتبعه من مدارس وجامعات ، ويجب أن يعطى النظام الموحد مزايا كلا النظامين ، أي الأموال التي توفرها الدولة والالتزام بالرؤية الاسلامية . كما يجب أن يوفر هذا الاندماج الفرصة المناسبة لازالة نواقص كل من النظامين ، وبالتحديد: قصور المقررات القديمة وعدم خبرة كثير من المدرسين في النظام التعليمي الديني والتقليد الأعمى للأفكار والأساليب الغربية العلمانية في النظام العام.

ويمكن جني ثمار النظام الجديد اذا ما وافقت الحكومات المعنية

على اعتماد المبالغ اللازمة لهذا النظام ، هذا ان لم يتم اعطاؤه الاستقلال الذاتي التام بطريق انشاء أوقاف لتمويله كلياً أو تمويل بعض أقسامه. وهذا الوقف هو بالضبط ما أقرته الشريعة الاسلامية ورعته من أجل خير ورفاهية الأمة ، وهذه الأوقاف نفسها التي مكنت كل مدرسة اسلامية في الماضي من التمتع بالاستقلال الذاتي ومكنت أساتذتها وطلبتها من طلب العلم ابتغاء وجه الله . وهذا هو الشرط الضروري لأي مسعى ناجح للوصول الى الحقيقة والاتقان ، كما ان الأوقاف هي التي منحت المدرسة أول كيان شرعي مشترك في التاريخ . وكانت المدرسة الاسلامية القائمة على نظام الوقف هي النموذج الذي احتذاه الغرب وقلده حين أسس جامعاته الأولى قبل ثمانية قرون.

وبسبب التكاليف الباهظة للتعليم في الوقت الحاضر ، نتيجة التوسع الهائل في ميادين المعرفة من جهة ، وازدياد أعداد الطلبة من جهة أخرى ، فقد لا تكفي أموال الوقف للإنفاق عليه . لذا ربما يتوجب أيضاً تخصيص نسبة من الأموال العامة لنفقاته . وعلى أي حال يبقى على الدولة أن تتحلى بالحكمة والدراية المطلوبة لتتفاوض مع المربين حول كمية المبالغ التي يجب أن توفر لهم ، كما تخولهم استخدامها بأفضل طريقة متاحة . واذا كانت الجامعات في الغرب تتمكن من القيام بمثل هذه الترتيبات فمن باب الافتراض المحض الادعاء ان المسلمين الذين يعملون بهدى القرآن عاجزون تماماً عنه. فلا حياة لأمة ، ولا مستقبل لها ، ان لم تحترم أبناءها وبناتها من طلبة العلم و لم تعمل باستمرار على نقل تراث آبائهم الحضاري والروحي لهم ، أو تمكنهم من اغناء هذا التراث وتعميقه . وانه لمن مظاهر الطغيان أن لا تثق الدولة بامكانية قيام المربين فيها بواجبهم التربوي دون فرض رقابة مشددة على المؤسسات التربوية . كما انه من مظاهر

التخلف ان يفرض الحكام السياسيون طرق ومواد التدريس عليهم والأسلوب الذي يجب ان يتبعوه في ادارة شؤون مؤسساتهم التعليمية.

٢ ــ غرس الرؤية الاسلامية:

من المتوقع أن يؤدي توحيد النظامين التعليميين الى أكثر من ايجاد الدعم اللازم للنظام التعليمي الاسلامي ، وتحقيق الاستقلالية للنظام التعليمي العام ، وذلك عن طريق نقل المعرفة الاسلامية الى النظام العام والمعرفة الحديثة الى النظام التعليمي الاسلامي . أما بالنسبة للتعليم الابتدائي والثانوي ، فإنه من الحماقة والاجرام ايكال أمر الشباب المسلم الى المنصرين أو المربين غير المسلمين ، وهذا ما يجب أن يتوقف فوراً . فلكل شاب مسلم الحق في أن يتلقى تعليماً كاملاً في الدين الاسلامي وقيمه وغاياته وأخلاقياته وتشريعاته وتاريخه وحضارته . وتقع على عاتق الأمة كلها بقطاعاتها وقادتها المسؤولية الشرعية اذا قصروا في تعريف كل طفل مسلم المبادىء والمفاهيم والغايات الأساسية للاسلام . وسيكونون عرضة للحساب العسير أمام الله ــ تعالى ــ ان لم يقوموا بأداء هذا الواجب .

وهذا ينطبق ــ ايضاً ــ بصورة أشد على تعليم البالغين من الطلبة، فالأبوان وأولياء الأمور هم الذين يرعون حياة الطفل وشخصيته ويتولون توجيهه وحمايته من القيام بأي عمل منكر يتنافى مع الشريعة الاسلامية . أما البالغون من الشباب فهم ــ عادة ــ أحرار في تصرفاتهم وهدف للدعاية المعادية للإسلام داخل وخارج الجامعة . ففي قاعات الدرس ومن خلال الكتب المقررة يتعرضون باستمرار الى مفاهيم غريبة تقدم اليهم باسم العلم والمدنية الحديثة مدعية ان الأفكار والخيارات المعادية للاسلام هي حقائق علمية تقوم

على أسس موضوعية. وفي سني حياته الغضة عرف الطالب المسلم الاسلام عن طريق السلطة الأبوية ، وبما أن مستوى تفكيره من النضج لا يكفي لاستيعاب وتقدير الادعاءات ''الموضوعية'' ، لذا كان ارتباطه بالموقف الاسلامي وليد عاطفة لا قناعة واعية . ومن هنا يصبح التزامه بالاسلام أضعف من أن يصمد أمام الهجمة العنيفة لما يقدم زيفاً على انه الحقيقة ''العلمية'' أو ''الموضوعية'' أو ''العصرية'' . لهذا ، وفي غياب أية مفاهيم وحجج اسلامية مقابلة تطرح بنفس القوة من الموضوعية والعلمية وبنفس الروح العصرية ، يستسلم الطالب الجامعي المسلم الى الادعاءات اللادينية ويتقبلها . وهكذا تبدأ عملية ابعاد الطلبة عن جذورهم الاسلامية في الجامعات. وبعد سنوات من هذا التأثير داخل الجامعة ، اضافة الى تأثير مساو ان لم يكن أقوى من جانب وسائل الاعلام ومن أقرانه ومجتمعه ، يكون الوعي الاسلامي لدى الطالب المسلم قد تعرض للتخريب . ولا غرابة بعد ذلك في أن يصبح ذا نزعة مادية وساخراً بما حوله، لا هو بالمسلم ولا هو بالغربي ، ويقع فريسة سهلة لكل من يرضى نزواته الآنية.

أ ــ فرض دراسة الحضارة الاسلامية:

إن من أهم جوانب العلاج الممكن لظاهرة نزع الروح والجذور الاسلامية في المرحلة الجامعية هو التدريس الاجباري للحضارة الاسلامية لسائر سنوات المرحلة . فعلى كل طالب دراسة هذه المادة بغض النظر عن مجال تخصصه ، وتفرض عليه حقيقة كونه مواطناً وواحداً من أبناء هذه الأمة أن يكتسب قدراً ملائماً من المعرفة بتراث أمته والماماً مرضياً بروحها وحضارتها . فلا يمكن أن يكون المرء

متمدناً بدون هذه المعرفة . وحتى لو كان الطالب من أبناء أقلية غير اسلامية فهذا لا يعفيه من الالتزام بهذا المطلب الأساسي، حيث انه هو الذي قرر أو قرر أبواه ، أو كان القرار مشتركاً ، أن يكون مواطناً في دولة اسلامية . لذا وجب عليه ان يكون ملماً بالحضارة التي تنتمي اليها الدولة التي يعيش فيها ، وبالروح والأمل الذيْن يحركان هذه الدولة ومواطنيها . ويجب ألا يترك أي شخص بدون ثقافة اسلامية و ''تأهيل اجتماعي'' وصهر في بوتقة المجتمع الاسلامي . فمثل هذه الدراسة من أهم ما يحصنه ضد العقائد الساعية للتأثير عليه ، لأنها تمكنه من أن يواجه الحجة بالحجة ويقدم الدلالة الموضوعية للرد على مثيلاتها . ومثل هذه الدراسة فقط هي التي تهيؤه للمشاركة الصادقة الفعالة في الحياة الثقافية وفي تقدم الأمة ، وبواسطتها فقط سيتعرف على جوهر الحضارة الاسلامية ومنطق الاسلام ، والاتجاه الواضح الذي تختطه الأمة في مسيرتها ، أو الذي تأمل أن تسلكه . ومن خلالها فقط يمكنه أن يميز بين أمته ، وبالتالي نفسه ، وبين الآخرين ، ويشعر بالفخر لهذا التميّز وبرغبة عميقة للحفاظ عليه ودفع الآخرين لتقبله والانتماء اليه.

إنّ دراسة الحضارة هي من اهم الطرق لتنمية شعور الانتماء لدى الفرد ، فلا يكون المرء قادراً على ادراك ذاته دون أن يعرف اسلافه، أي دون أن يعرف الروح التي حركتهم وما أنجزوه في ميادين الفنون والعلوم ، وفي حياتهم السياسية والاقتصادية ، وفي نظامهم الاجتماعي، وفي تجربتهم الجمالية. كما لن يكون له هذا الادراك اذا لم تؤثر فيه آلامهم ومعاناتهم ، وأمجادهم وانتصاراتهم وآمالهم وتطلعاتهم . ولا يتحقق الوعي بالكيان الذاتي إلا حينما تقارن معرفة الانسان هذه بأصله وبتراثه بمعرفته بالشعوب والتجمعات الأخرى وحضارتها .

ولكي يعرف الانسان نفسه عليه أن يعرف مدى اختلافه عن الآخرين ، لا في الحاجات المادية أو المنافع الشخصية ، بل في النظرة الى العالم والحكم الخلقي والتطلع الروحي . فهذا هو عالم الاسلام كله ، عالم الثقافة والحضارة الذي أقامه الاسلام وعزّزه عبر الأجيال. وهذا لا يمكن تحقيقه إلا بدراسة الاسلام وحضارته ، وبالدراسة المقارنة للأديان والحضارات الأخرى . واذا أراد المرء أن يكون ''عصرياً'' هذه الأيام فيجب أن يكون لديه وعي حضاري ، أي أن يكون واعياً بطبيعة تراثه الحضاري ، وبالروح التي جسدت مظاهره المتنوعة ، وبالفارق الذي يميزه عن بقية التيارات الحضارية التاريخية ، إضافة الى تحرك هذا التراث وتوجهاته نحو المستقبل . وبدون هذه المعرفة لا يمكن أن يكون المرء سيد نفسه ، وبالتأكيد لا يستطيع حتى العيش في هذا العالم . وخلافاً لما كان عليه الحال في الماضي فإن القوى الحضارية المتحاربة في هذا القرن يمكنها بسهولة الوصول الى أي انسان وجرفه دون الحاجة الى أي غزو أو احتلال عسكري . ويمكنها بذلك افساد أفكاره وفرض نظرتها الى العالم عليه، وتحييده واحتواؤه كألعوبة ، سواء أدرك هذا أم لم يدركه . ومن المؤكد ان هذه القوى تتصارع فيما بينها للسيطرة على العالم . وعلى المسلمين أن يقرروا اليوم فيما اذا ستكون الغلبة للإسلام في الغد أم لا ، أو ما اذا كانوا سيصبحون هم أنفسهم قادة للتاريخ أو عبيداً له. ومن المؤكد ان المعركة الحضارية التي تدور الآن في الساحة العالمية لن تترك أحداً دون أن تمسه بآثارها فكل انسان معرض لأن يتغير بتأثير طرف أو آخر من أطراف الصراع ، الا اذا كانت حضارته احدى الحضارات المتنافسة ، ومن ثم الحضارة الغالبة ، وبهذا يتمكن هو من تغيير الآخرين.

وعلاوة على ذلك فمن غير اللائق أن يعتقد المسلمون بأنه يمكن المحافظة على جذوة الحضارة الاسلامية متقدة ما دامت الثقافة الاسلامية تدرس في أقسام ومعاهد الدراسات الاسلامية الموجودة في جامعات أو كليات الشريعة. ففي الواقع ان تأسيس ''اقسام الدراسات الاسلامية'' في جامعات العالم الاسلامي لهو أبلغ دليل على تفسخ حال المسلمين وتخلفهم. فهذه الأقسام لا تعدو أن تكون نسخة طبق الأصل عن أقسام الدراسات الشرقية في الجامعات الغربية، حيث يتخصص في دراسة الاسلام قلة من الأجانب الذين تحتاجهم دولهم ومجتمعاتهم من أجل ادارة وتوجيه علاقاتها مع العالم الاسلامي. ومن ناحية اخرى ، فرغم ان الحاجة الى متخصصين في احكام الفقه الاسلامي للقضاء في النزاعات التي تنشأ بين المسلمين سوف تتطلب دائماً ذلك المستوى المتخصص الرفيع من التدريب والتأهيل الذي توفره كليات الشريعة ، فمعرفة الشريعة الاسلامية يجب أن تتاح لأبناء الأمة جميعاً ، ويجب أن تسري في وجوه المعرفة كافة والنشاطات الاجتماعية والانسانية . ويجب على كل مسلم ان يكون لديه اطلاع علمي جيد بالمبادىء والقيم الاسلامية ومصادر المعرفة الشرعية بوصفها الطريقة المنهجية أو القاعدة الأساسية التي يرتكز عليها الدين الاسلامي والرؤية الاسلامية.

وعلاوة على ذلك فمعرفة الاسلام لم تكن لتقتصر على القلة من الناس ، كما ان الرؤية الاسلامية والحاجة لها لم تكن لتقتصر على المتخصصين وحدهم بل هي للناس جميعاً ، لأنها تهدف الى السمو بكل الذين يمتلكونها الى أرقى درجات الوجود . فالإسلام يمقت تقسيم الناس الى خاصة وعامة ، أي بكلمة أخرى الى طبقتين طبقة رجال الدين وطبقة عامة الناس ، ويؤكد على ان الناس جميعاً يجب ان يكونوا

سواسية في اكتساب المعرفة وادراك الحقيقة ، ''فطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة''. والرؤية الاسلامية ضرورية لحماية الناس من المبادىء والعقائد الغريبة التي تغزو وعيهم وأفكارهم . وما لم يتحصن كل مسلم في وجه هذا الداء الخطير بالرؤية الاسلامية فستصبح الأمة الاسلامية هي الضحية . فالإسلام هو دين الحياة الشامل الذي توجد لرؤيته صلة وثيقة بكل نشاط ومسعى انساني، سواء كان مادياً أوروحياً أو فكرياً أو ثقافياً أو اجتماعياً أواقتصادياً أو سياسياً . فهو ليس دين الحياة الآخرة فقط كالنصرانية والبوذية يرضى بأن يدير الشؤون ''اللاهوتية'' ويترك ما عدا ذلك للحكام من البشر ، أي ان ما لله لله وما لقيصر لقيصر . وحسبنا انه لا يتم شيء أو يقال في أي حانوت أو مصنع أو مكتب أو منزل أو حقل ، وبالذات في أي قاعة دراسية أو مختبر علمي ما لم يكن له صلة وثيقة بالإسلام. ولذلك فإن الرؤية الإسلامية ستبتر وتذوى اذا ما نشأت ونمت داخل علم واحد أو قسم واحد أو كلية واحدة . بل يجب أن تكون هذه الرؤية المرشد والأساس الأول الذي يحدد كل منهج وعمل يقوم به الجميع.

فالحاجة هي الى نظام تعليمي يرتكز في منطلقاته على أسس وقيم وغاية اسلامية ، والحاجة أيضاً الى مقرر دراسي في أسس الاسلام وقيمه كجوهر للفكر والحضارة الاسلامية وذلك لمدة أربع سنوات يشكل جزءاً من البرنامج ''الأساسي'' أو ''الرئيسي'' لكافة الطلبة بغض النظر عن مجال تخصصهم أو علمهم . ومما يجب أن يقدم هذا المقرر الى الطلبة المسلمين ــ الى جانب المبادىء والقيم الأساسية للإسلام بوصفها جوهر الحضارة الاسلامية ــ الانجازات التاريخية للحضارة الاسلامية بوصفها شواهد في عصر الفضاء ــ هذا ــ على

المبادىء الاسلامية، وكيفية تماثل او تباين الحضارة الاسلامية مع الحضارات الأخرى في الجوهر و المظهر ، وكذلك يجب أن يقدم الحضارة الاسلامية بوصفها الخيار العلمي الوحيد للتعامل مع المشاكل الأساسية للمسلمين وغير المسلمين في العالم المعاصر.

ب ـ إسلامية المعرفة الحديثة:

إنها لخطوة عظيمة حقاً الى الأمام إذا قامت الجامعات والمعاهد الاسلامية بإعطاء دروس اجبارية في الحضارة الاسلامية لكل الدارسين ، باعتبارها جزء من مناهجها الدراسية الأساسية . فمن المؤكد ان مثل هذه الخطوة الإيجابية ستمنح هؤلاء الطلبة ايماناً أعمق بدينهم وتراثهم وتعطيهم الثقة بأنفسهم وتمكنهم من مواجهة مصاعبهم الحالية والتغلب عليها ، والاندفاع الى الأمام لتحقيق الهدف الذي اختاره الله (سبحانه وتعالى) لهم ، ولكن هذا كله غير كاف.

فلكي نشق الطريق نحو هذا الهدف الاسلامي ، وبالتالي تكون كلمة الحق سبحانه وتعالى هي العليا في كل زمان ومكان ، فإن معرفة هذا العالم معرفة دقيقة ضرورة حتمية لا غنى عنها . وهذه المعرفة هي الهدف الذي تنشده الفروع كلها . وكان المسلمون قبل ان يغطوا في سباتهم العميق وتضمحل حضارتهم قد طوروا مناهج فروع المعرفة، ورسموا بوضوح علاقة الاسلام ونظرته الشمولية العالمية وقيمه بكل فرع منها. واستطاعوا وبكل نجاح ان يدمجوها في الهيكل الرئيسي للمعرفة الإسلامية . وحقق المسلمون أيضاً انجازات رائعة في كل الحقول والميادين ، وطبقوا هذه المعرفة بكفاءة ليعززوا مثلهم الاسلامية العليا. وخلال فترة سباتهم قام غيرهم بانتحال تراث العلماء المسلمين وأهل المعرفة فيهم وحازوه الى أفكارهم بعد أن طوروا فروعه

وأضافوا اليها اسهامات كبيرة ، واستغلوا المحصلة النهائية في تحقيق مصالحهم . واليوم نجد ان غير المسلمين قد أصبحوا أسياد فروع المعرفة كلها بدون منازع . ونتيجة لذلك يدّرس المسلم اليوم في كل جامعات العالم الكتب والانجازات والنظرة العالمية والمشاكل والمثل العليا من منظور غير اسلامي . وكذلك يقوم الأساتذة المسلمون في الجامعات الاسلامية اليوم بتدريس الشباب المسلم الثقافة والأفكار الغربية وبالتالي يبعدونهم عن اصولهم الحضارية وجذورهم الدينية .

وهذا الوضع يجب أن يتغير دون تأخير، وبلا ريب.يقع على عاتق المربين والعلماء من أساتذة وأعضاء الهيئات التعليمية والتدريسية المسلمين مسؤولية التضلع في أصول الفروع الحديثة. كما يجب ان يسيطروا سيطرة تامة على كل ما يمكن أن تقدمه هذه الفروع وهذا هو المطلب الأول لتحقيق كفاءة عالية . وعليهم بعد ذلك دمج هذه المعرفة في البنية الأساسية للتراث الإسلامي ، بعد عملية غربلة دقيقة يتم فيها حذف بعض عناصرها وتصحيح وتعديل وإعادة تفسير البقية منها بما ينسجم ويتماشى مع نظرة الاسلام العالمية وكل ما يمليه الاسلام من قيم ومفاهيم . كما يجب تحديد علاقة الاسلام بكل وضوح بفلسفة هذه الفروع ، أي بطرقها وأهدافها . كما يجب أيضاً أن تستحدث طريقة جديدة يمكن بموجبها أن توجه هذه الفروع ، بعد اعادة تشكيلها ، لخدمة المثل الاسلامية العليا . وأخيراً ، يتعين على هؤلاء المربين والعلماء ، بالقدوة التي يضربونها بوصفهم رواداً في هذا العمل، أن يعلموا الأجيال اللاحقة من المسلمين وغير المسلمين اتباع آثارهم في توسيع نطاق المعرفة الانسانية واكتشاف أسرار جديدة للسنن الالهية في الخلق ، وكذلك ايجاد مفاهيم جديدة تفضي الى تحقيق مشيئة الخالق ومجموعة أوامره ونواهيه ووصاياه بين البشر.

ومهمة اسلامية المعرفة ، وأعني بصورة محددة اسلامية فروعها وبمعنى أوضح وضع كتب دراسية جامعية بعد اعادة النظر في حوالي عشرين فرع منها بما ينسجم والرؤية الاسلامية فإن ذلك من أصعب المهام . و لم يفكر أحد من المسلمين ــ فيما نعلم ــ حتى الآن بهذه القضية أو يتلمس متطلباتها ، ويوضح الخطوات والاجراءات اللازمة لتحقيقها . فكل ما فكر به المصلحون المسلمون السابقون هو اكتساب المعرفة والقوة من الغرب. بل انهم لم يدركوا تعارض المعرفة الغربية مع الرؤية الاسلامية . ان جيلنا هو الذي اكتشف هذا التناقض عندما عاشه في حياته الفكرية ، على ان العذاب النفسي الذي ولده هذا التناقض فينا جعلنا نستيقظ مرعوبين ومدركين تماماً ما تتعرض له ــ أمام أعيننا ــ الروح الإسلامية من انتهاك في جامعات العالم الإسلامي . ولهذا فنحن ننبه العالم الإسلامي الى هذا الشر ، ونسعى ولأول مرة في التاريخ الى تطوير خطة توقف سريانه وانتشاره ، وتتصدى لنتائجه ، وتعيد التعليم الاسلامي الى نهجه القويم الذي سيؤدي بالتالي ــ إن شاء الله ــ الى تحقيق هدفه الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى .

ومما يؤسف له بشدة ان العالم الإسلامي لا زال يفتقر الى مركز يتم فيه مثل هذا المستوى الرفيع من التخطيط والتفكير . وما نحتاج اليه في الواقع هو جامعة تكون بمثابة مركز رئيسي للفكر الإسلامي تتم فيه اسلامية فروع المعرفة ، ومن ثم يجري اختبار النتائج في قاعات الدروس والحلقات الدراسية على مستوى مناهج الدراسة الجامعية والدراسات العليا . وقبل قيام المعهد العالمي للفكر الاسلامي وحتى اليوم لم يتصد معهد تربوي واحد في العالم الاسلامي لرسم خطة عمل لمواجهة قضية اسلامية المعرفة واعداد الكتب الإسلامية الجامعية

المنهجية في مختلف فروع المعرفة ، وتوفير وسائل البحث الضرورية لاعداد مثل هذه المناهج والكتب الدراسية . ومع ذلك يظل المرء يستمع في كثير من بقاع العالم الإسلامي الى الحاجة الى اسلامية التعليم واعداد كوادره ومؤسساته ومناهجه وكتبه . اما على الصعيد الرسمي في كثير من الجامعات والمؤسسات العلمية ، حيث القوة التي تصنع القرار الحقيقي ، لا يجد المرء أكثر من الكلام الذي لا يبدو انه يستهدف إلا مخاطبة العواطف دون أن يكون له كبير محتوى من واقع العمل والتنفيذ والممارسة في حلقات البحث والدرس.

ان هذا الواجب من أنبل الواجبات ، وأهم الفرائض ، كما انه الخطوة الأولى على طريق تحقيق الذات ، واستعادة الهوية . فأديان العالم ونظمه العقيدية لم تبدأ ، كما لم يبدأ الغرب وتبدأ الشيوعية بالنمو والتطور وتحقيق الانجازات بدون مثل هذه القضية التي تنشط همم المؤمنين بها وتحركهم . وليس أمام المسلمين إلا أن يتحركوا بتأثير قضيتهم اذا ما أرادوا أن يصبحوا سادة للتاريخ لا عبيداً له . وفوق ذلكِ فالإسلام ليس مذهباً آخر يتساوى مع هذه النظريات ، كما ان الاسلام لا يقدم قضيته وعقيدته ولا يعرض دعواه كقضية خاصة أو كعقيدة ناجمة عن تجربة شخصية أو اختيار ذاتي ، وبهذا يمكن قبولها أو رفضها بصورة اعتباطية . بل ان دعوة الاسلام دعوة تخاطب العقل ، ضرورية وحاسمة تصلح لكل زمان ومكان ، وجديرة بأن يتقبلها جميع البشر ويستسلموا لها ويتخذوها شعاراً . وبذلك لا يمكن مواجهتها إلا بالحجة العقلانية التي يجب على المسلم أن يتقبلها ويرد عليها بالبينات والأدلة الإسلامية . كما لا يصح أن يقبل أي جزء من الدعوة الإسلامية ، أو صلة الاسلام الوثيقة بأي فرع من فروع المعرفة، بدون أدلة مقنعة . ولكن كل هذا لا يكون إلا عندما تكون

الرؤية الإسلامية قد طرحت دعوتها ووطدتها استناداً الى أكثر الدراسات دقة ، وجسدتها أمام أكثر مشاعر الوعي تمحيصاً ، عندئذ يمكن رفضها أو مقاومتها ، أو كلاهما ، بدافع اللاعقلانية أو الحقد. والأولى خاصية الجاهل ذي العقلية المشوشة ، والثانية صفة العدو المتأصل العداء ، وكلاهما يمثلان ما يدعوه الاسلام بالجاهلية.

هذه اذن المهمة الشاقة التي تواجه المفكرين والقادة المسلمين التي تتمثل بإعادة صياغة تراث المعرفة الإنسانية برمته وفقاً لوجهة النظر الإسلامية . فالرؤية الإسلامية لا يمكن أن تكون رؤية إلا اذا كانت رؤية لشيء معين ، وبالتحديد رؤية للحياة والواقع والكون . وذلك المحتوى هو هدف الدراسة لمختلف فروع المعرفة . وإعادة صياغة المعرفة على أسس علاقة الاسلام بها تعني اسلاميتها ، أي إعادة تحديد وترتيب المعلومات ، وإعادة النظر في استنتاجات هذه المعلومات وترابطها ، وإعادة تقويم النتائج ، وإعادة تصور الأهداف ، وأن يتم ذلك بطريقة تمكن الفروع من اغناء وخدمة قضية الاسلام . ومن أجل تحقيق هذه الغاية يجب أن تأخذ التصنيفات المنهجية للإسلام — أي وحدة الحقيقة ، ووحدة المعرفة ، ووحدة الإنسانية ، ووحدة الحياة ، وخصوصية الخلق الهادفة وخضوعه للإنسان ، وخضوع الانسان لخالقه — مكان التصنيفات الغربية ، وتحدد تصور الحقيقة وتنظيمها . ويجب أيضاً أن تحل القيم الإسلامية — ونعني بالقيم الاسلامية هنا قيم توجيه فائدة المعرفة لسعادة الانسان — مكان القيم الغربية وتفتح وتطور ملكات الإنسان العقلية، وإعادة صياغة الحياة بحيث تتجسد فيها السنن الالهية ، وقيم الاسلام في بناء الثقافة والحضارة ، والمعالم الانسانية وفي المعرفة والحكمة ، والبطولة والفضيلة ، والتقوى والورع.

ولمزيد من الوضوح والدقة سنقوم في القسم الثاني إن شاء الله بتناول ما سبق ذكره من المبادىء بشكل أوسع وأكثر تفصيلا.

الفصل الثالث

المنهجية التقليدية

١ ـــ قصور المنهجية التقليدية:

كان من نتائج الدمار الهائل الذي ألحقه غير المسلمين بالأمة الاسلامية أبان الحروب الصليبية وغزو التتار بعد ذلك الفرقة والانقسام وتعدد الدول والحكومات الإسلامية ، مما جسد المخاوف لدى علماء المسلمين من تلاعب ضعاف النفوس من الحاكمين بأمور الدين ، فنادوا بغلق باب الاجتهاد ، وعدم جواز أخذ العلم والدين والفقه والتفسير إلا عن صلحاء علماء السلف الذين شهدت لهم الأمة بالقبول ، وأرادوا بذلك الحفاظ على هويتهم وعلى دين الاسلام الذي هو أعز ما يملك المسلمون . وللوصول الى هذه الغاية تطرف بعض هؤلاء ومنعوا الأخذ بكل رأي جديد ، ونادوا بالالتزام الصارم بالنصوص الحرفية للشريعة وأقوال متقدمي الفقهاء، وأعلنوا غلق باب الاجتهاد ، وبذلك فقد المسلمون المصدر الرئيسي للإبداع في فقه الشريعة الاسلامية . وبما أن الفقه الاسلامي قد أصبح ـــ في نظرهم ـــ بالغاً حد الكمال من خلال فقه السلف الصالح ، لهذا اعتبروا ان كل فقه جديد زائد على فقه السلف أو مخالف بدعة وكل بدعة ضلالة. وأصبح الفقه جامداً على الصورة التي بلغتها اجتهادات المذاهب الفقهية المعروفة وقد فعلوا ذلك حماية للإسلام ووجوده .

ولم تتمكن الانتصارات الاسلامية اللاحقة في ما بين القرنين الثامن والثاني عشر للهجرة التي تمت في روسيا والبلقان ووسط وغرب أوربا من القضاء على هذه النفسية وإزاحة هذه القيود . وأدى الاندفاع العام نحو الطرق الصوفية الى مساعدة المسلمين على التغلب على مشاكلهم رغم غياب الاجتهاد كمصدر للإبداع عند المسلمين . وهكذا بقي الفقه الإسلامي نظاماً ودائرة مغلقة حتى الوقت الحاضر في حين أعطت العلوم والتكنولوجيا الحديثة الغرب القوة لتحدي المسلمين وهزيمتهم.

واستطاع الغرب في الأزمنة الحديثة القضاء على كل ما حققته الفتوحات العثمانية في أوربا ، بل انه استعمر واحتّل وقسّم العالم الاسلامي كله ، فيما عدا ما يطلق عليه اليوم تركيا حيث تم طرد القوى الغربية منها بالقوة ، وكذلك اليمن ووسط وغرب الجزيرة العربية حيث لم يكن فيها حينئذ ما يحفز الدول الغربية على استعمارها. واستغلت القوى الغربية ضعف المسلمين الى أقصى حد ممكن وأسهمت اسهاماً أساسياً في علة الأمة الحالية التي سبق شرحها فيما سبق. وكرد فعل لهذه الهزائم والمآسي والأزمات التي فرضها الغرب على العالم الاسلامي خلال القرنين الماضيين حاول القادة المسلمون في تركيا ومصر والهند ان يغّربوا الأمة بطريق تطبيق النهج الغربي فيها على أمل تمكينها من أن تنمو سياسياً واقتصادياً وعسكرياً. وقد فشلت هذه المحاولة في كل مكان وضعت فيه موضع التطبيق كما انها — في الواقع — واصلت اثبات فشلها حتى اليوم ، كما اتضح انه كلما كان الاندفاع في سبيل تطبيقها أشد وأقوى كلما كان الفشل أعظم وأعمق، كما حدث في تركيا ومصر . ففي تركيا هيأت المجال لقيام كمال اتاتورك بإلغاء ورفض كافة المؤسسات والمبادىء والمعتقدات

الإسلامية التي تؤثر في الحياة العامة . كما تم ابدال النظام الاسلامي فيها بنظام وتشريع غربيين . واليوم وبعد مضي جيلين (ستين عاماً) على عملية التغريب الشاملة هذه نجد أن تركيا ما تزال على ضعفها وفقرها في كافة المجالات مثلها مثل البلدان الاسلامية الأخرى . وأهم ما نجحت عملية التغريب فيه في تركيا الى حد ما هو نزع الروح الاسلامية لدى الطبقة المتعلمة من طبقات المجتمع ولكن لم تحقق — الى جانب مزيد من التدهور والضعف — أي شيء آخر . أما في مصر حيث كان السعي الى التغريب أقل دأباً فقد تم زرع نظام غربي لكنْ سمح في الوقت نفسه للوجود والنظام الاسلامي التقليدي بالبقاء الى جانبه . وهكذا قام الصراع بين النظامين ، وعلى الرغم من الامتيازات الكبيرة التي يتمتع بها النظام الغربي ، من تخصيص الأموال العامة والدعم الحكومي له ، فقد فشل النظام الغربي في تحقيق أي تقدم أو تفوق بل أدى الصراع بينهما الى مزيد من إضعاف الأمة وإضعاف بعضهما بعضاً.

٢ — الفقه والفقهاء:

إنّ كلمة ''فقه'' تعني في اصطلاح الفقهاء: ''معرفة الأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية'' ، والفقيه هو المجتهد والممتلك لهذه المعرفة ، والفقه: بمعناه اللغوي والعرفي المعاصر يدل على التمكن من المعرفة بالأحكام الشرعية كافة . وتتوقف هذه المعرفة على تضلع في اللغة العربية ، وفي نصوص الأحكام في القرآن الكريم والسنة النبوية مع القدرة العقلية والبراعة الذهنية في الوصول الى المراد منها. ومن الواضح ان معنى كلمة فقه بالمعنى الاصطلاحي محددة بدرجة كبيرة اذا ما قورنت بالاستعمال القرآني العام لمادة (ف.ق.هـ)

والتي تتكرر في آيات عديدة مشتملة على معنى التفكير والفهم ، وادراك الجوهر والتفسير ، بحيث يمكن أن يفهم المراد بها: المعرفة التامة والشاملة بالإسلام . وقد فهم الأئمة المسلمون جميعهم ــ الشافعي وأبو حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل ــ المعنى الشامل لتعبير ''أصول الفقه'' على انه يعني أدلة الأحكام الشرعية والمبادىء الأساسية للفهم الاسلامي للجياة والواقع ومنها ــ بطبيعة الحال ــ المبادىء العامة لأحكام الفقه الإسلامي.

إضافة إلى ذلك ، فإن فقهاء الأمة الأوائل ــ أي صحابة الرسول ﷺ ، وتابعيهم وأئمة المذاهب (رضوان الله عليهم) ــ كانوا على درجة واسعة من الاطلاع على كل الأمور التي تؤثر في حياة المسلمين. وكان فقهاء القرون الأولى رجالاً موسوعيين حقيقيين متضلعين بسائر حقول المعرفة من الأدب والشريعة وفكر الفرق الى الفلك والطب وغيرها . كما كانوا هم أنفسهم رجالاً متمرسين عرفوا الاسلام ليس كأحكام فقط بل كغاية ونظرية ونظام للفكر والحياة التي يعيشها ملايين البشر في ممارسة حقيقية . ولقد كان هؤلاء الفقهاء يتحلون بفطرة سليمة وبأهم وأسمى مؤهل للنظر الإسلامي ألا وهو حسن التذوق الشرعي وإدراك غايات ومقاصد الشريعة الاسلامية . وإذا كان هؤلاء الفقهاء هم النماذج المثلى للمعالجة الخلاقة لقضايا حياة المسلمين نظراً لسلامة فكرهم وقدرتهم العلمية الفائقة فإن تكوين فقيه اليوم وجملة كبيرة من خريجي ما يسمى بالكليات الشرعية والاسلامية لا تؤهلهم مناهج هذه المدارس بما يكفي من المعرفة والمناهج العلمية لما يمكنهم من حمل المسؤوليات التي كان يضطلع بها الفقهاء الأوائل وبقدر من حظ النجاح الذي كان يحققه أولئك الفقهاء في توجيه حياة المسلمين .

وقد قامت محاولات للإصلاح الذاتي داخل النظام التقليدي نفسه ، كان أجرؤها تلك المحاولات التي قام بها كثير من الأئمة في مقدمتهم شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وتابعهم بعد ذلك كثير من العلماء والدعاة حتى القرن الثاني عشر الهجري حيث قام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالدعوة نفسها وتابع دعوته تلك محمد عبده واستاذه جمال الدين الأفغاني وغيرهم من أهل العلم ، ولكن على الرغم من ان المسلمين المتيقظين في كل مكان أيدوا دعوة محمد عبده والأفغاني الى فتح أبواب الاجتهاد الا ان هذه الدعوة فشلت لسببين: أولاً ، لأن المؤهلات التقليدية التي يجب توفرها في المجتهدين بقيت على حالها، وبذلك حصرت صفة الاجتهاد في الأئمة السابقين الذين يحمل علمهم وفقههم خريجو المدرسة التقليدية ، أي الذين لم تتوفر في مناهجهم مؤهلات الاجتهاد ولم يؤمنوا أصلاً بوجود حاجة لمثل هذا الاجتهاد ، مقتنعين — بسبب نوعية تعليمهم — بأن النهج التقليدي القائم مناسب تماماً وإن مشكلة العالم الاسلامي تكمن في ضعف الإيمان وتردد الناس وعزوفهم عن الإسلام وتحكيم قيم الاسلام. أما السبب الثاني فيكمن في التصور بأن المجتهد هو بالضرورة الفقيه أي الشخص الذي مكنته دراسته لكتب الفقه والأحكام الشرعية أن يترجم المشاكل والقضايا الاجتماعية المعاصرة الى مسائل تندرج تحت أبواب الفقه الشرعي وأحكامه وفق مذهب تقليدي أو آخر ، وأصبحت قضية الاسلام في المجتمع والحياة هي مهمة تتعلق فقط بمهمة الصياغات القانونية الشرعية مما أدى الى تضييق معنى الاجتهاد وقصره على أعمال الافتاء واصدار الأحكام على أفعال المسلمين وتصرفاتهم في حياتهم اليومية . ولهذا لم يتوجه نظر الفقيه أو المجتهد بالمفهوم التقليدي أو فكره الى النظر الشامل من القاء نظرة على المسألة

الاجتماعية ودوافعها وتوجهات حركتها وتفاعلها والحلول والبدائل المطلوبة لها لكي تحقق الرؤية الاسلامية والتنظيم الاجتماعي بمفهوم وبغاية اسلامية . فإعداد الفقيه والمجتهد بالمفهوم التقليدي يشده بعيداً عن مثل هذا النظر ويبقيه سجيناً في دائرة الربط والمواءمة بين الممارسات الاجتماعية القائمة وبين الأحكام التي تتعلق بها مما سبق أن قال به مذهب أو آخر من مذاهب العصور السابقة . هذه التصورات والممارسات العلمية القاصرة في معنى الاجتهاد حتمت العمل على اصلاح المنهج العلمي التقليدي والعمل نحو منهجية علمية إسلامية جديدة لم يستطع كثير من الفقهاء التقليديين ادراك دلالتها وأبعادها في إعادة النظر والفهم الجذري في أصول مصادر الشريعة والمعرفة الاسلامية.

٣ ــ توهم التعارض بين الوحي والعقل:

ربما كانت أكثر التطورات خطورة في التاريخ الثقافي للأمة هي فصل الوحي عن العقل . وقد حدث هذا ــ على ما يبدو ــ بتأثير الفكر اليوناني والمنطق الأغريقي على بعض المسلمين الذين كانوا متلهفين للاستعانة بالمناهج التي وفرها هذا المنطق من أجل اقناع غير المسلمين بحقائق الاسلام. وهكذا قادهم هذا الفكر والمنطق الى الطريق التي أدت الى الخوض العقيم في الإلهيات من منطلقات اغريقية أدت بعد ذلك الى الفصل بين الوحي والعقل . وقد عاش النصارى واليهود الذين تأثروا بالحضارة الأغريقية قروناً عديدة في ظل هذا الانفصال الثنائي . وأصبح الكثير منهم وسيلة لنقل هذه العلل الى صفوف الأمة وعلمائها ومفكريها . وكان الفارابي هو الذي أعطى هذا الانفصال تعبيره الذي أيده الفلاسفة ضد المتكلمين . ثم قبله بعض المتكلمين

الذين جاءوا بعدهم والذين ارتضوا بأن يفسروا العقيدة تفسيراً دفاعياً. ومن ثم سيطر هذا المنطق على النقاش الفكري في عصر التخلف ، خاصة بعد ظهور التصوف المتأثر بالغنوصية [1] الذي دعى الى منهجية مقصورة على فئة من الناس ومبنية على الإدراك الحدسي، ولهذا لم يلاحظ الخطأ في الفصل بين العقل والوحي . ولم يدرك الكثيرون أن فصل الوحي عن العقل أمر مرفوض تماماً في الإسلام، فهو معاد لروح الاسلام كلها ، معارض لصريح القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية المطهرة ، فالإسلام كرم العقل ، وأناط به التكليف ، وجعله دليلاً وهادياً ومرشداً . وعلى خلاف الأديان التي سعت الى إرباك فهم الانسان وإخضاع ضميره كي يستسلم الى اللاعقلانية ، والى ما هو سخف ينفر منه العقل والذوق السليم . ان دعوة الاسلام دعوة تلقتها العقول بالقبول ، دعت الناس جميعاً الى استخدام عقولهم واخضاع كافة الدعوات الى ملكاتهم النقدية ، والتفكير مليا في البدائل والتحلي دائماً بالقدرة على الاقناع والترابط المنطقي ، وأن لا يقولوا إلا الحقيقة التي يثقون تماماً في صحتها ، وأن يسعوا دائماً الى الانسجام مع الواقع والبعد عن الظن والحدس والتخمين . ومثل هذه النصائح والوصايا والأوامر تنبث تقريباً في كل سورة من سور القرآن الكريم . انه بدون العقل لا يمكن ادراك حقائق الوحي كما لا يمكن قبولها والاقرار بطبيعتها الالهية والاعتراف بها . بغير العقل لا يمكن التمييز بين دعوى الوحي وبين الدعوات الكاذبة . وعندما لا يستند قبول الوحي الى العقل يكون الفهم

---

(١) الغنوصية: ''الغنوص'' أو ''الغنوسيس'' هي كلمة يونانية الأصل معناها ''المعرفة''، غير أنها أخذت بعد ذلك معنى اصطلاحياً هو التوصل بنوع من الكشف الى المعارف العليا، أو هو تذوق تلك المعارف تذوقاً مباشراً بأن تلقي في النفس القاء فلا تستند على الاستدلال أو البرهنة العقلية.

والقبول اعتباطاً وتوهمات نابعة من نزوة شخصية . ولا يمكن لأية نظرية دينية مبنية على النزوات الشخصية أن تدعي انها قادرة على اكتساب قناعة البشرية أو أي جزء يعتد به منها ، ولفترة طويلة من الزمن . وحين اخذ المسلمون في العصور اللاحقة يركزون بشكل مبالغ فيه على الادراك الحدسي على حساب العقل فتحوا بذلك الأبواب أمام افساد العقيدة الاسلامية وانحرافها . وحينما يسد السبيل أمام امكانية التميز عقلانياً بين العقيدة وبين ما هو خرافة وطرافة وسخافة فلا عجب حينئذ أن تتسرب الخرافة والأساطير والحكايات في ثنايا العقيدة وتتصدر كيانها . وهكذا ومثل ذلك تماماً فقد أدى التأكيد المبالغ فيه على ''العقل'' على حساب العقيدة الحدسية الى افساد ''الحياة العقلية'' عن طريق تقليصها الى مجرد حياة مادية نفعية آلية خالية من أي معنى.

٤ ــ فصل الفكر عن العمل:

في الفترة الأولى للإسلام كان القائد هو المفكر والمفكر هو القائد، وكانت الرؤية الاسلامية هي السائدة ، وحدد الحماس لتحقيقها في الحياة الانسانية والتاريخ البشري سلوك الأمة وغاية توجهها. وكانت هذه الرؤية الاسلامية شاغل المسلمين جميعاً ، ومسعى كل مسلم واع لسبر أغوار الحقيقة والواقع، يصوغ به نماذج ابداعية جديدة يثرى بها الوجود والحياة الاسلامية . في تلك الفترة الأولى كان الفقيه في ذات الوقت اماماً ومجتهداً وقارئاً ومحدثاً ومعلماً ومتكلماً وزعيماً سياسياً وقائداً عسكرياً وفلاحاً وتاجراً ومهنياً. واذا ما افتقر المسلم في أداء دوره الى خبرة إضافية في أي مجال من المجالات كانت له القدرة المطلوبة ممن حوله وكان كل من حوله على أتم

الاستعداد لسد هذا النقص. وكان كل فرد يقدم ــ متبرعاً في سبيل الله ــ كل ما يستطيعه من أجل قضية الاسلام ، كما كان كل فرد يستمد قوته من قوة الآخرين . وكان المسلمون على درجة من الترابط فيما بينهم تجعل ضعف أحدهم يتلاشى أمام تضامن الجميع وتضافر خبرتهم . وبما ان الفكر الاسلامي كان مكيفاً بطبيعته لإدراك حقائق الحياة والتعامل مع الواقع فقد أدى ذلك الترابط بين الفكر والحقائق الحياتية الواقعية الى أن يصبح واقع الحياة هو المختبر الذي يسعى الفكر الاسلامي أن يختبر من خلاله عطاءه وقدراته المبدعة ، هذا التكيف والترابط في الاسلام بين الفكر وبين الواقع هو الذي جعل الصالح العام للأمة عند كافة أفرادها رجالاً ونساء هو بؤرة هذا الفكر ومحط اهتمامه. واذا كانت تلك الفترة قد شهدت قليلاً من النظر الفكري الغيبي والتأملات التنظيرية فلم يكن سبب هذا ان المسلمين كانوا عاجزين عن ذلك ، بل لأن الأولوية كانت بالنسبة لمعظم المفكرين المسلمين هي تمكين جماهير الأمة ان تعيش حياة صحية عقلانية ملأى بالفضيلة والازدهار.

ومن ناحية اخرى فان واقع حياة جموع الأمة والذي كان شغل تفكير القادة الشاغل قد استفاد من هذا التفكير المبدع . وجاءت المبادرات والحلول مستجيبة لمتطلبات الحاجة والواقع ، فازدهرت حياة الأمة في كل ناحية من نواحي الفكر والحياة لأن افضل العقول كانت ترعى على الدوام أمر رفاهيتها ومصالحها . ولأن الحلول التي كانت تتوصل اليها هذه العقول توضع موضع الممارسة والتطبيق لأن العقول التي كانت تفكر كانت هي نفسها تتولى توجيه أمر التطبيق والتنفيذ، أو على الأقل كانت على اتصال وثيق بمن يتولى التطبيق والتنفيذ.

إلا أن هذه الوحدة بين الفكر والعمل لم تستمر واختلفت

توجهاتها وانفصمت عراها فيما بعد ، ومنذ اللحظة التي تم فيها هذا الفصام بدأ تدهور كل من الفكر والعمل ، وبدأت القيادة السياسية ورجال السلطة يواجهون أزمة بعد اخرى دون أن يستطيعوا الافادة من الفكر والرجوع الى اصحاب المعرفة للانتفاع بحكمتهم . وكانت النتيجة قيام حالة من التخبط أدت الى عزلة الحكماء والعلماء عن الواقع واعراضهم عن القضايا الهامة للأمة من ناحية ، والى عزل القيادة عن منابع طاقات الفكر والحكمة من ناحية أخرى، وإلى توسيع الشقة فيما بين الطرفين مع مضي الزمن . وساعد ذلك على دفع رجال السلطة الذين كانوا في موقف الدفاع الى ارتكاب مزيد من الأخطاء الفادحة. ومن ناحية اخرى اتجه المفكرون الذين ابعدوا وأقصوا عن المشاركة الفعلية في ادارة شؤون الأمة الى الانغماس في الفكر المثالي والنظري كفكر بديل للفكر العملي وفكر الممارسة الواقعية وكمنطلق للتنديد بالسلطة السياسية وانحرافاتها وبدأ البعض يطلق العنان لشأن اعلاء معايير النظري والمثالي مقابل معايير الواقعي والعملي وعلى حسابه . وتعرض المفكرون الذين كان لتنديدهم ومواقفهم آثار سياسية الى بطش القيادة السياسية الحاكمة . أما أولئك الذين لم يكن لتنديدهم ومواقفهم أي وزن سياسي فقد شجعوا على التحليق أبعد فأبعد في سماء الخيال والابتعاد عن الواقع . كما قام فريق آخر من المفكرين بالتهاون والتضحية بشأن المعايير والمقاصد ثمناً لمهادنة السلطة السياسية وارتباطهم بها. وقاد التوتر المتزايد الى حالة من الاستقطاب بين القيادة والعلماء أدت بدورها إلى انهيار الفكر والعمل معاً. ففي الوقت الذي أصبح العمل فيه استبدادياً ووراثة السلطة أصبحت دموية ، هجر الفكر ساحة الواقع التجريبي واستهداف المصلحة العامة الحقيقية للناس ليكتفي بالتعليق على الكتب

القديمة أو شرحها ، أو بالتحليق الغيبي من خلال التأمل الصوفي . وسرعان ما أصبحت الأمة كلها منغلقة عن قيادتها السياسية وأدى التتابع الطويل لحكم الطغاة ، والقادة الفاسدين ، ومغتصبي السلطة، والخلفاء الدمى الذين كانوا مجرد ألعوبة في أيدي أصحاب السلطات والنفوذ الحقيقي الى قتل الروح المعنوية لدى الأمة وابعادها عن الساحة السياسية . واحتضنت الجماعات الصوفية الغنوصية الناس ، وقدمت لهم التهذيب الذاتي الروحي وهيأت لهم أمر تطوير تجربتهم الغيبية ، وعوضتهم بهذا عن ما فقدوه على مسرح التاريخ . وبهذا كان الدين في ايدي هذه الجماعات الصوفية مهرباً من وطن العسف والطغيان الذي لم يعد في الطاقة مواجهته واحتماله.

وبعد أن استبد السلاطين بالسلطة دون مقاومة اتجهت أفضل الطاقات العقلية في الأمة لحو المفاهيم الروحية والشخصية والذاتية التي تمخض عنها التصوف الغنوصي واختفى التكافؤ والتوازن بين الأمور الروحية والدنيوية الذي كان خاصية الفترة الأولى للإسلام وحل محله الفصام بين ماهو روحي وما هو دنيوي ، والسعي وراء الروحانيات على حساب الدنيويات ، والسعي وراء الآخرة على حساب الدنيا. وعندما فقد الفكر الإسلامي صلته المتينة بواقع حياة الأمة أصبح فكراً محافظاً متمسكاً بحرفية النصوص في مجال التشريع ، وتخمينياً فيما يتعلق بفهم القرآن وتفسيره والنظرة الى العالم ، ومعرضاً مزدرياً للحياة في كل ما يتعلق بمجال الأخلاق والسياسة العالمية ، ومحدوداً مستغلقاً في مجال المعرفة بالعلوم الطبيعية . وكان كبار المفكرين والفقهاء والأولياء الصالحين ينظرون الى السلطة والعمل السياسي على انها دون مكانتهم وانها غير جديرة إلا بالازدراء والاحتقار . وأصبح أول شرط للفضيلة مقاومة كل ما هو دنيوي وتجاهله ليصبح المطلوب

فيما بعد هو نبذ الدنيا كلية والابتعاد عنها تماماً. وبدا وكأن الأمة قد فقدت قدرتها على الموازنة بين القيم الشخصية والقيم العامة التي كانت سيرة الرسول ﷺ تضرب لها أروع المثل.

٥ ــ الازدواجية الثقافية والدينية:

كان الصراط المستقيم ، الذي اعتبره المسلمون الأوائل جميعاً أملهم ونبراسهم ، سبيلاً مركزياً واحداً ينبع من الرؤية الاسلامية ويشمل كافة أهداف الانسان ونشاطاته في تدفق واحد مترابط من أجل تحقيق الذات الاسلامية في التاريخ. وخلال عصر التخلف وبسبب فصام الفكر عن العقل انقسم هذا السبيل الواحد الى فرعين: سبيل الدنيا، وسبيل الله والفضيلة. وانقسام الحياة الإسلامية الى هذين السبيلين بحيث يتعارض أحدهما مع الآخر على الدوام أدى ذلك الى أن يفسد كل منهما الآخر ويقضي على دوره ومعناه. وانتهى الأمر الى أن يصبح أحدهما جديراً بالإطراء ويشمل القيم الدينية، والآخر مشجوباً ويشمل الحياة المادية بكل قيمها. وتغير كل منهما فأصبح الأول روحانية خاوية شبيهة بالروحانية الفارغة في الرهبنة النصرانية والبوذية. فالروحانية التي لا تهتم بمصالح الجماهير التجريبية ، والتي لا تعمل على تحقيق العدالة في أرجاء العالم التي تسودها الفوضى والاستغلال يجب أن تكون روحانية انهزامية انانية، تنزع فقط الى خدمة المصالح الدينية لمن يمارسها . وروحانية مثل هذه تتسم بالأنانية حتى ان دعت الى خدمة ومحبة الآخرين ، لأن اهتمامها الرئيسي ينصب على حالة الوعي لدى الأتباع السالكين ، فالآخرون ومصالحهم عبارة عن وسائل وأدوات للاختبار والتطهير والسمو الذاتي . ولا عجب ولا غرابة ان استسلمت مثل هذه الروحانية الى إغراء المعرفة الروحية

والتجربة الغيبية وأصبحت فريسة للخرافات وتجارة المعجزات. ولم يخطر ببال الشيوخ الصالحين الذين أوجدوا الطرق الصوفية بادىء الأمر ، أو ببال تلك العقول النيرة التي أمدتهم بالأسس الفكرية والعقيدية ، ان طرقهم سوف تنحرف الى مثل هذه الدرجة وتقود الى تطوير أخلاقيات وتطلعات تتعارض مع الإسلام. ولكن من المؤسف ان معظم الجماعات الصوفية ــ بمختلف طرقها ــ استسلمت الى هذا الإغراء.

ومن ناحية أخرى ، أوجد سبيل الدنيا نظاماً خاصاً غير اخلاقي لا يتبع الواجبات الاخلاقية التي اعتبرها ممثلو الدين الإسلامي مسعى خاصاً بفئة أخرى من المسلمين ، وبدون قيم كامنة في النظام ومكونة له فلابد لهذا النظام من ان ينحدر، ويصبح مجرد جائزة لكل متنافس يفوز به. وهكذا اصبحت الحكومة والقيادة السياسية والمناصب مجرد أدوات لتعظيم الذات والممارسة الوحشية للسلطة أو لابتزاز المنافع المعنوية والمادية من الناس. وعندما قام العدو الأجنبي المستعمر بمهاجمة الأراضي وغزوها واحتلالها أبدت الجماهير مقاومة بسيطة لا تذكر، ومرد ذلك ان الجماهير توصلت الى الاقتناع ان المعركة لم تكن في الحقيقة معركتها. وأخيراً عندما أقامت الإدارة الاستعمارية نظاماً تعليمياً آخر وبدأت تشجع نمطاً حياتياً وفكرياً وعملياً مخالفاً لما اعتادت عليه الجماهير ، اعتبرت هذه الجماهير هذا التغيير من واقع الحال ، ورغم انه يدعو الى التنديد والازدراء إلا انه لا يستحق من الأمر انتفاضة جهاد عارمة ضده.

الفصل الرابع

المبادىء الأساسية للمنهجية الإسلامية

إنّ اسلامية المعرفة أساس ضروري للإصلاح الفكري والحضور الثقافي والعمراني للأمة، ولإزالة الفصام النكد بين الفكر والتطبيق وبين المثال والواقع وبين القيادة الفكرية والأيديولوجية وبين القيادات السنياسية والاجتماعية ، وفي نهاية المطاف فهي ضرورية لإزالة الثنائية الموجودة في النظام التعليمي. ولابد لاسلامية المعرفة أن تأخذ في الاعتبار عدداً من المبادىء الأساسية التي تكون جوهر الإسلام، وتكون اطاراً للفكر الإسلامي ومنهجيته ودليلاً لتكوين العقلية والنفسية والشخصية الإسلامية في جهودها العلمية والحياتية.

ان الخلط في الماضي ما بين قضايا علم الكلام والجدل وبين اطار الشخصية الاسلامية والعقلية الاسلامية ومنهجية المعرفة والأداء الحياتي أدى الى تشويهات للشخصية الاسلامية والمنهجية الفكرية والعلمية الاسلامية وتدمير قوة دفع الشخصية الاسلامية وجديتها في أداء دورها العبادي على هذه الأرض في العمل والاصلاح والابداع والاعمار.

ونتيجة للتحديات الفلسفية والثقافية الدينية الطارئة من جراء الفتح ودخول الأمم ذات التراث الحضاري والفلسفي العريق في الإسلام ونتيجة الغبش الذي لحق الرؤية نتيجة الصراعات والتمزقات التي قامت في جسد الأمة الاسلامية منذ عهد الفتنة الكبرى، فقد أدى

الجدل الكلامي الى الخوض الفلسفي الغريب على العقيدة الاسلامية وذلك في قضايا مثل مفهوم الذات الالهية والصفات والقضاء والقدر والسببية حيث ان العقيدة الاسلامية في هذا تتميز ببساطة البناء المبني على حقائق الوجود التي أتى بها الوحي وبالقدر الذي يستطيع العقل البشري ادراكه بعيداً عن منهج البناء الفلسفي الظني النظري البشري المحدود والفاسد في كثير من تكهناته وتناقضاته.

فالله سبحانه وتعالى هو الحق والعدل ، الواحد الأحد الذي لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفواً أحد وليس كمثله شيء، خلق النفوس وألهمها فجورها وتقواها ، وخلق الأرض والكون على نسق من السنن والأقدار ليسعى فيهما الانسان بأمانة الأعمار والإصلاح ليلقى حساب عمله وأدائه وقصده. وهذه المبادىء في حدود العقيدة الإسلامية المبنية على حقائق الوجود التي كشفها الوحي للإنسان هي المبادىء القويمة الحقيقية ، لا تلك المبادىء القائمة على احكامات البنائيات الفلسفية الظنية النظرية التي تعجز عن ادراك الكليات الالهية التي يقوم عليها الكون والوجود ، ولا ترتكز على مفهوم عدل الحق سبحانه وتعالى وجدية وجود الانسان وسعيه في العمل الحياتي والأعمار وفق مقتضى الحق الذي أودعه الله في فطرة كيان الوجود على أوفى ما تكون جدية العمل وحمل المسؤولية، وطمأنينة التوكل في ما وراء ذلك على مدبر الأسباب وخالق الكون الذي تقتضيه حقيقة محدودية الادراك البشري في هذه الحياة للكليات الالهية التي قام عليها الخلق والوجود.

هذا الاطار هو الاطار الصحيح الممثل لعقيدة الاسلام وفهم السلف الصالح وجدية أدائه وفاعليته في الحياة والوجود على عكس ما انزلق اليه الفكر الاسلامي اللاحق ومنهجيته المشوهة من خلط

وتمزق وسخرية من الحياة ومسؤولية العمل والأعمار ، ومن التخبط على غير هدى في مجال كليات وجود الكون وما وراء الكون والحياة مما لا مجال فيها للادراك البشري الكلي القطعي الكامل . وكانت النتيجة ان أدى ذلك الى الانحراف والمسخ والغبش في الفكر والمنهجية الاسلامية والى زلزلة مفهوم علاقة الأسباب والمسببات والأعمال والنتائج وضعف النظر في آفاق الفطرة الاجتماعية والفطرة الفردية وأدى ذلك بدوره الى سوء فهم دور الوحي في توجيه الغاية والسلوك الانساني وسلبية علاقة الوحي بالعقل الى الحد الذي انتهى اليه خلف الجدليين والفلاسفة حين اسقطوا الراية ليتسلمها نظراؤهم المفكرون والقادة والأمم التي رأت من البعد ما غمت رؤيته على أهل الجدل والفلسفة من المسلمين من قرب ، ولذلك لابد من ابعاد منهجية الفكر الاسلامي والتربية الاسلامية عن مناهج الجدل والفلسفة الفاسدة وانغماساتها النظرية الفاسدة في أمر التفسيرات العقيمة بشأن الكليات الالهية وادخالها في أمر المنهجية الفكرية والتربية الاسلامية التي أفسدت على الأمة حياتها ومسؤولية سعيها في هذه الحياة وأدت الى عجزها عن القيام بدورها في الهداية والقيادة ومجابهة التحديات ، والمطلوب الآن هو القيام بعملية اسلامية المعرفة وإعادة تشكيل العلوم الحديثة ضمن هذا الإطار الاسلامي ومبادئه وغاياته حتى تستعيد الرؤية الاسلامية والمنهجية الاسلامية والتربية الاسلامية والشخصية الاسلامية صفاءها وتتبين معالمها ومسالكها ويستعيد الوجود الاسلامي الفردي والجماعي جديته وفاعليته في الحياة والوجود.

وفيما يلي هذه المبادىء الأساسية التي نرى أنه يجب تفهمها وتمثلها ومراعاتها اطاراً ومنطلقاً وأساساً للفكر الاسلامي والمنهجية الإسلامية وللعمل والممارسة الاسلامية الحياتية:

١ ـــ التوحيد:

إنّ وحدانية الله تعالى هي المبدأ الأول للإسلام ولكل شيء اسلامي وفحوى هذا المبدأ إنّ الاله هو الله ، وانه لا اله غيره ، وانه تعالى هو الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، وانه مطلق الكمال بكل المقاييس، ليس كمثله شيء ، وكل موجود سواه مغاير له ، ومخلوق له ، هو الخلاق ليس له شريك ، بامره توجد كل الموجودات . هو الحق ومصدر كل حق وكل خير وكل جمال ، وارادته هي التي تحدد غاية وجود الكائنات ، وهي القانون الذي يحكم الكون والمخلوقات ويقنن للسلوك والأخلاق . والتوجه اليه والرغبة اليه هي التوجه الى الخير والعدل والحق وهي اسمى الغايات وأسمى مراتب الوجود، وطاعة أمره هي بداهة تحقيق العدل والحق والخير وهي واجب على كل الكائنات، وعلى رأسها الانسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم ، وزوده بالإرادة التي بها يحمل المسؤولية والأمانة في التصرف والخيار الحر بين السمو نحو الحق والخير والاصلاح ، أو الانحطاط نحو الباطل والشر والفساد، وأناط بالانسان أمانة عمارة الأرض وابداع طاقاتها ليحقق بالإرادة الحرة المثل الالهية في إبداع معاني الخير والاصلاح وصور الحق والجمال.

ان يفكر المرء ويعيش واعياً بواحدانية الله معناه أن يعيش واعياً على ربوبية الله الحق وألوهيته في عالم غايته الخير والحق والجمال والاعمار والخيوية لأن كل شيء فيه موجود بصنعته عز وجل، ولانفاذ ارادته ، معتمد في بقائه على ربوبيته ومتجه دائماً بطبيعته نحو تحقيق الإرادة الالهية. في مثل هذا العالم لا شيء موجود صدفة أو عبثاً أو فارغاً من المعنى. فكل شيء خلقه الله بقدر. وحين يكون الانسان

جزءاً من عالم هذه صفته فإنه يدرك من العلاقات بينه وبين كل الكائنات ما لايحده عد ، وفوق ذلك كله يدرك أنه مخلوق لله ومعتمد عليه ومدين له ، هو ـــ سبحانه ـــ موضع تقديسه وحبه وولائه وطاعته. ولكي يكون المسلم مسلماً فإن عليه أن يكون وعيه دائماً عامراً بذكر الحق سبحانه وتعالى والتوجه اليه. وما دام الله هو الخالق وهو الديان فلن يكون المسلم مسلماً حقاً حتى يفعل كل شيء كما حددته ارادة الحق وجاء به شرع الله ، قاصداً به وجه الله وحده. وكما انّ الحياة والطاقة منحة من الله فكذلك كل ما يناله الانسان من الخير والسعادة ثمرة الطاعة لما أمر الله به ، وبما سخر الله من الخلق وقدر. هذا هو ما يجب أن تكون عليه الحياة الاسلامية.

ويترتب على ذلك في منهجية الفكر الإسلامي: ان الله هو الحق وهو مبدأ كل شيء، وهو غاية كل شيء، فوجود الله ـــ تعالى ـــ وارادته وأفعاله هي الأسس الأولى التي عليها يقوم بناء كل الكائنات، وكل المعارف وكل أنظمتها. وسواء أكان موضوع المعرفة هو عالم الذرة الصغير ، أم عالم النجوم الكبير ، أم أعماق النفس، أم سلوك المجتمع ، أم مسيرة التاريخ ، فإن المعرفة الاسلامية تنظر الى موضوع المعرفة من الناحية المادية على أن وراءه عوامل وملابسات تقدمته ومنها انبثق هذا الشيء ، أما خلق الأسباب والتصريف الفعلي لها الذي تقع الحوادث عنه وتنتج النتائج منه فمرد ذلك كله الى كليات أمر الله عز وجل ، ولنا منها في هذه الحياة مسؤولية الايمان واليقين والالتزام والسعي والعمل وليس القول والجدل والسفسطة والظن والعجز والتقاعس والتقصير والكسل . وبذلك فإن المعرفة الاسلامية تعتبر ان كل شيء في نطاق المعرفة انما يحقق غاية أو اخرى أرادها الله تعالى وذلك حتى يصبح نظام الأسباب في هذا الكون نظاماً من الغايات

على قمتها تقف الارادة الالهية لتحدد غاية كل موجود فرد، وغاية كل سلسلة من الغايات ، وغاية النظام العام كله . وتدرك المعرفة الاسلامية أنه ليس على وجه الحقيقية ثمة موجود أو حقيقة أو قيمة خارج النظام الالهي العام بسلاسله وتشابكاته مصدره وغايته الحق سبحانه وتعالى ، وأن أي شيء يتصور أو يعرف أو يقوم خارج النظام الذي حدده الخالق فهو غير موجود أو زائف أو لاقيمة له أو أنه مجرد تصور خاطىء في أنه خارج ذلك النظام .

٢ ـــ وحدة الخلق:

أ ـــ النظام الكوني:

إنّ وحدانية الله الحكيم المقدر سبحانه وتعالى تستلزم بالضرورة العقلية وحدة خلقه. كما قال سبحانه في كتابه العزيز: ﴿**لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا**﴾ ٢١:٢٢. فلو كان هناك اكثر من حقيقة مطلقة واحدة لما بقيت هناك أية حقيقة مطلقة. زد على هذا ان الكون حينئذ كان سيتبع توجيهات وتنظيمات مختلفة، وان حدث هذا فلن يكون ذلك هو الكون والنظام الذي نعرفه نحن البشر منتظماً كما نعرف. كذلك لن يكون من الممكن لنا ـــ نحن البشر ـــ أن نتعامل مع كون يسوده اكثر من نظام وتوجيه، ان علينا ان نتذكر ان النظام الذي يسود الكون هو الذي بمقتضاه يمكننا ان نتبين وندرك الأشياء في صورة مواد أو خصائص أو علاقات أو أحداث. إن ذلك الاتساق او الوحدة في النظام الكوني هو الذي يمكننا من ادراك استمرارية المواد كأشياء وتكرر الحوادث كعلاقات سببية. وبدون هذا النظام الكوني لن تكون الأشياء ولا الأسباب والنتائج هي ما يعرف البشر أو يتصورون من أشياء وأسباب ونتائج.

إنّ الخليقة كلّ متكامل ، والسبب الدقيق هو انها من صنعة خالق واحد سرى نظامه وتقديره في كل جزء منها. إنّ النظام الكوني يتكون من قوانين الطبيعة ، وهذه القوانين تؤدي وظيفتها في هذا العالم وتسري الى كل جزء أو جانب منه ، مادياً أو فضائياً ، جسمانياً أو نفسياً ، اجتماعياً أو اخلاقياً ، كل ما هو واقع يخضع لتلك القوانين وينفذها. هذه القوانين هي ''سنن'' الله تعالى في خلقه. إنّ الله سبحانه وتعالى في كليات الأمر والخلق ليس بمجرد مصدر تاريخي لهذه القوانين ، وإنه خلق الكون والطبيعة ووضع لها النظام والقانون الذي تسير عليه ثم تخلّى عنها ، بل ان الله هو الصمد المبدىء المعيد المقدر الذي بإرادته تدبر الأمور وبيده مقاليدها. وكل كائن يوجد وكل حدث يقع في الكون انما يتم على ما قضى به امر الله وقدرت حكمته، وبما أودع في كل كائن من طبع وقوة ، وما خص به كل نفس انسانية من ارادة وطبع وقوة تمكنها من الأداء والسعى والعطاء والتغيير وفق ما اقتضت كليات حكمة الله وارادته.

فإرادة الانسان المسؤولة وكل ما أودعه الله فيه من طبع وقوة وقدرة ، انما يتحقق وفق ما قضت به حكمة الله سبحانه وتعالى وقدرته. وكل قوة دافعة في الكون انما أوجدها الله سبحانه وتعالى وهو الذي يحفظها وتبقى وفق أمره وارادته، منه بدؤها وبه حفظها واليه مآلها.

فالأسباب في هذا الكون هي أسباب وسنن إلهية مرد وجودها وعلاقاتها وآثارها الكلية اليه، وعلى الانسان أن يسعى في مناكبها وفق طاقته. ومسؤوليته نحو أدائها انما تكون بحسب ارادته وقدرته وهو بذلك في نهاية الأمر إنما يكون منفذاً لمشيئة الله ساعياً بأمره في هذه الحياة ، ومرده وحسابه على ماكسبت يداه بعد ذلك الى الله.

والبشر على هذا الأساس مسؤوليته في هذه الحياة هي سعي بالخير والحق والاعمار وفق السنن والأسباب التي سخرها الله للإنسان ، أما الكليات الإلهية خلف مجمل هذه السنن والأسباب فذلك من أمر الله ويتعلق بعلمه المطلق الذي لا ينازع في شأنه إلا جاهل مستكبر، وتكون مسؤولية الإنسان بكرم الله هي على قدر ما يدرك عقله ويقدر جهده من تسخير الأسباب لإبداع شؤون حياته واعمار حاجات وجوده على اساس الخير والحق والعدل. فالله سبحانه وتعالى اكرم الكرماء واعدل العادلين ، لا يخدع أو يضلل ، نظم الكون ليجعله صالحاً لأن يحيى فيه البشر ولأن يفهموه، وكذلك كي يتمكن البشر من ممارسة الخيارات الخلقية التي تواجههم ويبرهنوا — من خلال الأعمال — على ما لهم من قيمة اخلاقية في هذا الوجود.

ومن هنا تتضح لنا حقيقة الإرادة الانسانية وحقيقة العمل والسعي الانساني وحقيقة سنن الوجود وترابط الأسباب والمسببات، وجدية الوجود الانساني على هذه الأرض وغايته ومسؤوليته وعلاقة ذلك بإرادة الخالق سبحانه وتعالى وقدرته وتسييره لهذا الكون وفق مشيئته وحكمته في علاقات كلية عادلة حقة هي كما ندرك من أمر الله، تتعلق بحكمته وعلمه وعدله الكامل المطلق ، ولا نكابر في أمر هذه الحقائق أو نطلب من أمر ادراكها ما ليس في طاقتنا ولا متناول ادراكنا وقدرتنا، ايماناً بعدل الله سبحانه وتعالى واستجابة لما نلمسه في انفسنا وفي الكون من حولنا من فطرة وسنن تؤهلنا للأداء والابداع والاشباع وحمل المسؤولية في ثقة وعزم وتوكل لا نلتفت فيه الى الجدل الكلامي ولا إلى المبادىء الفلسفية الظنية ولا إلى المكابرة الشيطانية في طلب ماليس الى ادراك تفاصيله من أمر الله وتدبيره من سبيل ، نعقل امورنا ثم نتوكل بعد ذلك على الله بعد

أن أدينا أمانة المسؤولية الملقاة على عاتقنا في السعي والعمل والاعمار.

إنّ هذه الرؤية الاسلامية تعني أن المسلم يأخذ الحياة ووجوده فيها بكل عناية وجدية، وان دوره ومسؤوليته ان يأخذ بأقصى الجهد في طلب الأسباب والسنن، ثم هو حين يصعب عليه الأمر ، وتغم الرؤية ، ويعيى الفهم ، وتسد السبل فلا ملجأ للمسلم من الله إلا اليه، يتوجه — بعد ان بذل الجهد — الى كليات صاحب الأمر ومسبب الأسباب ، ويتوكل عليه في أمر حاجته وغاية سعيه، وذلك أعلى درجات الجد في الطلب والسعي ، فما بعد الجهد والاجتهاد الا التوكل والتوجه الى الله اللطيف الخبير، فالتوكل على الله جائزة الاجتهاد وطلب للأسباب وليس الغاء للسعي والعمل والاجتهاد وطلب الأسباب، وخير قدوة في هذا المنهج والفهم والخلق حياة رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام . حيث كان السعي والكد والعمل والاعمار وطلب الأسباب — عندهم — من لب الايمان وصميم العبادة حملاً للمسؤولية وتحقيقاً للمشيئة الإلهية ، كما أن التوكل لا يتنافى والسعي وطلب الأسباب، وسنن الباري تعالى ومشيئته وارادته أمور عائدة له جل شأنه، وعلمه محيط بكل شيء وحكمته البالغة وراء كل شأن، وما على العبد الا السعي الجاد المخلص وانتظار لطف الله تعالى وتدبيره بترتيب النتائج . ولا مجال في هذا الفهم للتقصير في العمل او التقاعس في السعي في طلب الأسباب. وهكذا، فالاسلام ومنهجية الاسلام لا مجال فيها لفكر التهويمات والعجز والضياع، أو لاصحاب الانحرافات والكهانة والدجل، أو مبرر للسفسطة وسوء فهم النصوص وخصوصيات المواقف وترك المحكم واتباع المتشابه. إنّ منهجية الاسلام في هذا العصر وفي مواجهة تحدياته ليست الا انعكاساً مباشراً صادقاً لمحكم عقيدة الاسلام في وضوحها وبساطتها واستجابتها

لطبع الفطرة بكل القدرة والفاعلية في فطرة الانسان التي كانت أفعال الرسول ﷺ وحياته وحياة أصحابه الكرام خير قدوة ومثال واضح عليها.

وخلاصة القول ان تجدد الحياة الدائم واستمرارها منذ أن بدء الله الخلق بناء على نظام السببية وربط الأسباب بالمسببات ، والنتائج بالمقدمات ، هو في حد ذاته أهم مظاهر قدرة الله ــ تعالى ــ ودلائل ألوهيته وشواهد ربوبيته جل شأنه. وان التشبث بالخوارق والخروج على السنن الكونية والقواعد الالهية فيما وراء عزم التوكل الصحيح لا يمثل الاسلام ولا فكر الاسلام في صفائه ونصوعه بل يمثل فترة حرجة من تاريخه جاء خلالها تعبيراً عن الاستكانة والركون الى روح التقصير والعجز والخمول والتواكل.

ب ــ الخليقة:

صُنْع الله سبحانه وتعالى وابداعه ﴿**خلق كل شيء فقدره تقديرا**﴾ ٢:٢٥. هذا التقدير هو الذي يعطي كل شيء طبيعته وعلاقاته بالأشياء الأخرى، ومنهجه في الوجود. كذلك ، فإن التقدير الالهي يخضع كل شيء لنظام من الأسباب ، ولنظام من الغايات . فكل شيء له غاية، وهي المسوغ لوجوده في هذا الكون. فالله هو المنشيء للأشياء والغايات والأسباب والمسببات، وإرادته سبحانه وتعالى هي التي تعطي الكائنات كيانها، وتحدد غاياتها، وتوضح ما هو مطلوب منها ، وما هو حسن وما هو قبيح ، يرجى أو يجتنب، والعقل بما أودع الله فيه من قوة مدركة للمعاني والأسباب ، وما ارسل الله تعالى من رسل وأنزل من وحي تتكامل وتتكاتف وتتعاون في ادراك كمال الوعي على الغايات والأسباب التي تؤدي الى تحقيق

العمل الصالح على وجه الحقيقة في الحياة الدنيا، دون مماراة أو تناقض. وهذا يكون ممكناً اذا استقام فهم معنى العقل ودوره، ومعنى الوحي ودلالته وتكاملهما ـــ معاً ـــ في فهم الغايات والأسباب وعلاقاتهما في هذا الوجود كما فطره وسخره الخالق سبحانه وتعالى.

وعليه ، فإن لكل شيء موجود علاقة سببية بكل شيء آخر، وان كان هناك شبكة من العلاقات لا تنتهي إلا بالله سبحانه وتعالى. وان البشر مهما أوتوا من علم أو قدرة لن يستطيعوا أن يعرفوا سوى القدر المحدود من العلاقات بين الأسباب والغايات المترامية الأطراف. لكن واجب البشر دون غيرهم من الخلائق ان يجتهدوا دائماً في البحث عنها واكتشافها ، والتعبير عن آرائهم وارادتهم من خلالها واحداث الاعمار الصالح المطلوب منهم في هذا الكون بواسطتها . واكتشاف تلك العلاقات وتقنينها يعني وضع الأسس لمعرفة السنن الثابته التي وضعها الله سبحانه وتعالى ولتقديرها قدرها وتسخيرها لما يجب أن تسخر له.

ان وجود غاية لكل مخلوق يعمل لتحقيقها ، ووجود علاقات متبادلة بين الغايات والوسائل ، يجعل من الكون نظاماً هادفاً نابضاً بالحياة مفعماً بالمعنى. الطير في الفضاء والنجوم في السماء والأسماك في أعماق البحار والكواكب والعناصر ـــ كل تلك اجزاء متفاعلة في النظام الواحد . لاشيء منها عاطل أو عديم المعنى ، حيث ان كل كائن له وظيفته ودوره في حياة الكل. وهي معاً تكوّن بناء عضوياً تتفاعل أجزاؤه وأعضاؤه بطرق لا يزال البشر في بداية الطريق الى اكتشافها بفضل العلم ، لكن في أجزاء محددة جداً من الطبيعة. أما المسلمون فهم يعلمون جيداً أن الخليقة كيان عضوي ، وان كل جزء فيها يخدم غاية ما ، حتى ولو كانوا لا يعرفون على وجه التفصيل

خاصياتها. وهذا العلم هو ثمرة لتوجيه الوحي لعقولهم لتدرك كليات الكون على حقيقتها وفي حدود امكانات عقولهم ومنطقهم . فهو علم وادراك يمثل ثمرة الايمان الصحيح بالفهم والتصور الصحيح لكليات علاقات الكون والوجود والأسباب والأقدار كما خلقها الله سبحانه وتعالى وقدرها وأراد لها من علاقات وأسباب وغايات . وحين تواجههم أمور مثل افتراس الذئب للحمل أو أكل الطائر للفراش أو تحول الجسد الانساني الى غذاء للديدان، فانهم يعلمون من ادراك عقولهم للكليات كما يوجهها ويعينها الوحي، ان ذلك جزء من نظام الكون ، له دوره ضمن النظام وعلاقاته وأسبابه، وانه يجب ان يتم التفاعل مع الكائنات والأحداث في ضوء معطيات غاية الانسان التي حددها الله له في الحياة والكون : عبادة واصلاحاً واعماراً.

فالمسلمون لا يمكنهم ان ينسبوا شيئاً للمصادفة أو ما يسمى جهلاً بالأقدار العمياء. فكل ما على الأرض وفي الكون مما نعلم أو لا نعلم، نفهم أو لا نفهم، ومما نحب ولا نحب ، هو من خلق الله وقدره ونظامه للكون الذي يجب علينا السعي فيه بالعمل والاصلاح والأعمار في حدود الغاية من وجودنا وبقدر إدراكنا لعلاقاته وغاياته. والمسلم حين يرى الكوارث تحل به مهما تكن فواجعها وآلامها ـ بعد ان يكون قد أدى ما عليه من مسؤولية السعي والعمل والاصلاح ـ فموقفه من ذلك الطمأنينة الى العاقبة التى قد لا يدرك دلالتها وقت حدوثها بشأن حاضره ومآل أمره في الدنيا والآخرة. وما دام نظام الكون من قدر الله فإن المسلم لا ينهار أمام الأحداث والكوارث لأنه يعرف أن الله الذي قدر نظام الكون هو في نفس الوقت الحكيم الخبير العليم بالعباد. ولهذا فإن التحديات والاحداث والكوارث هي في نظر المسلم جزء من نظام الحياة في العمل والجهاد والاصلاح، ومن امتحان

الارادة وتوجهها وعلاقتها بالله، فكل ما يناله المسلم وما ينال من المسلم هو مصدر شحذ لهمة العمل والجهاد والاصلاح ومصدر للتعامل الايجابي المتفائل مع نظام الكون والكائنات، ومصدر لتوثيق التوجه والعلاقة بالله منشيء الكون ومودع السنن وموجه الكائنات ومسخرها لغاياتها. والمسلم يواجه كل ذلك بالعمل والصبر والشكر ينتظر — في كل الأحوال — النجاح والأجر، وقد يخفق في تحقيق غايته المباشرة فينتظر الأجر وتكرار المحاولة ، لأنه في كل ذلك يحقق غاية وجوده ومعنى حياته بأداء ما عليه من واجب صياغة الموجودات والأنظمة والمواد لتحقيق ارادة الله — تعالى — في الاصلاح والابداع والاعمار والعمل والبذل والسعي متحملاً أنواع المعاناة صابراً على الارزاء على صراط من الحق والعدل والخير والجمال، وبذلك تكون المحصلة النهائية للمسلم في كل الأحوال هي مزيد من السعي والبذل والثبات والايمان والتفاؤل. وهذا الجانب من العقيدة الاسلامية هو على وجه التحديد ما يميز عقيدة الاسلام وما تحتاجه البشرية لما يزلزل كيانها ويعصف بنفوس أفرادها من فراغ روحي وقلق نفسي في مواجهة الحياة وتحدياتها ومآسيها التي لا يعينهم على فهم كلياتها ومآلها مختبر ولا معمل.

وواجب الانسان على هذا النحو هو ان يكتشف السنن الالهية في الكون الذي هو منحة الخالق للانسان يحقق فيه ارادته ويقضي فيه حياته ، يعمره ويطوره ويسعى في صلاحه ويعبر عن ارادة الخير والعدل والحق ومعانيها في نفسه ، ولينعم بخيراته ويستغلها لفائدته ومصلحته في معاشه. وبأن يصونه من عوامل الفساد والتدهور التي تهدف لإفساده وتدميره.

ج ـــ تسخير الخليقة للانسان:

منح الله تعالى العالم للانسان نعمة منه ومجالاً لنشاطه في حياته الدنيا ، وجعل كل شيء فيه مسخراً له ، بمعنى أنه تحت تصرف الانسان يستخدمه لغذائه وحاجته ومتعته وراحته . هذا الاستخدام قد يكون مباشراً كما في حالة الغذاء والمتعة ، وقد يكون غير مباشر كما يحدث حين تسخر قوى الطبيعة لتنتج ما يحتاج اليه. وهناك تناسق ذاتي بين مفردات الخليقة والانتفاع الانساني. فالحاجات الانسانية جزء من بناء الخليقة، ومفردات الخليقة مصممة بقصد أن تخدم تلك الحاجات. كل مكونات الطبيعة ذات استعداد لقبول تأثير الانسان فيها ، ولتحمل التغيير طبقاً لتصرفه والتحول الى أي شكل يرغب فيه، يستطيع البشر ان يجففوا البحار ويستخدموا الشمس ويحركوا الجبال ويزرعوا الصحارى أو ان يتركوا الدنيا كلها خراباً . في امكانهم ان يملأوا الدنيا بالجمال ويجعلوا كل شيء يزدهر، أو أن يملأوها بالقبح وأن يحطموا كل شيء. ان تسخير الكون للانسان لا يقف عند حد. لقد شاء الله تعالى ان تكون العلاقات والأسباب والغايات المتبادلة بين مفردات الخليقة هي مادة هذا التسخير، وبدونها لا يكون للتسخير جدوى ولا معنى. فلو كان الانسان لا يستطيع الاعتماد على الأسباب لاحداث نتائجها، أو كانت الوسائل غير صالحة لتوصل الى الغايات لأصبح الانسان كائناً سلبياً ولفقد اهتمامه بالكون وعلاقات الكون ولكف عن أية محاولة لاعماره والسعي بالصلاح في مناكبه وبذل الجهد في منافعه واقامة الأنماط الحياتية الصالحة التي أودعها الله فطرة الانسان وحث الوحي على طلبها وأرشد الى السبل التي تؤدي اليها. ''وما دمت مكلفاً فانك مستطيع'' هذا المبدأ الذي ينسب الى ''كانت'' ، والذي يعد أول مبادىء ''ميتافيزيقيا

الأخلاق''، يعتبر مسلمة بديهية اسلامية، كان أول من عبر عنها القرآن الكريم: ﴿**لا يكلف الله نفساً إلا وسعها**﴾ ٢:٢٨٦. وبدون هذه النتيجة الضمنية الضرورية يصبح العالم اما جامداً عديم الحركة والتغير ، واما عالما للمجانين ، وهو على وجه القطع ليس عالم الجمود، وهو على وجه القطع يجب ان لا يكون عالم المجانين. بل هو عالم الخلافة عن الله في أرضه: ﴿**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة...**﴾ البقرة:٢:٣٠.

٣ ــ المعرفة ووحدة الحقيقة:

من المؤكد ان العقل تعرض له الأوهام والضلالات والشكوك ، ذلك انه وان كان قد أودعه الله القدرة على تصحيح نفسه ،هذه القدرة التي توفر له درجة لا بأس بها من الحماية ، لكنه بالنسبة للحقيقة المطلقة ــ وبسبب قصوره البشري ــ يحتاج الى تعزيز من المصدر المبرأ عن الخطأ ، وهو الوحي. وبمجرد ان ترسى القضايا المتعلقة بالمبادىء الأولية أو المطلقة ، فان العقل يكتسب عندئذ قوة بها يستطيع ان يتغلب على ما يعترضه من مشكلات. يجب ان تكون كافة افتراضات العقل الأولية صحيحة مؤكدة بشكل قاطع: بعضها يكون كذلك لأنه بدهي، والبعض الآخر لأنه عبارة عن تجارب عامة للبشرية ككل ، ولكن هنالك ضرباً ثالثاً غير ممكن ادراكه الا لأولئك الذين تتوفر فيهم الدرجة المطلوبة من الحكمة أو نضوج الرؤية الدينية أو الأخلاقية ، وأمثال هؤلاء هم الذين يتوقع منهم ــ لهذا السبب ــ ان يروا الحقيقة على وجهها الصحيح. ومن هنا فإن إدراك مثل هذه الحقائق والقيم قد لا يكون عاماً بالمفهوم الرياضي، وانما يتطلب نوعاً آخر من المؤهلات الضرورية التي يتعين وجودها. وحيثما لا يتأتى

للعقل الادراك الكامل واليقين الجازم ، فإن نور الإيمان الصحيح يمكن ان يمده بهذا اليقين، بل انه ليلقي نوراً كاشفاً على سائر الفرضيات الأولية الأخرى كما يضفي مزيداً من اليقين على النظرة الشاملة للكون المبنية على تلك الفرضيات. إنّ بين قضايا الايمان الصحيح والفرضيات العقلية الأولية التي تصل الى حد الجزم لعلاقة وتناغماً واتصالاً وتكاملاً. وان العقيدة في الاسلام ــ خلافاً للديانات الأخرى القائمة على التسليم الكامل ــ لا تنفك عن العقل سواء في وظيفتها أو فيما تسهم به. فلا هي فوق العقل، وليس العقل كذلك فوقها. ولذا، فليس من الاسلام ان نضع الادراك العقلي والادراك الايماني على طرفي نقيض ، وأن نخيّر الانسان.

أما فيما يتعلق بنظرية المعرفة ، فان خير ما يوصف به موقف الاسلام هو انه قائم على وحدة الحقيقة . هذه الوحدة مستمدة من وحدانية الله المطلقة ، ان ''الحق'' هو أحد اسماء الله الحسنى ، واذا كان الله واحداً بالفعل ــ كما يجزم الاسلام ــ فلا يمكن ان تتعدد الحقيقة . والله يعلم الحقيقة كاملة ويوحي من علمه الكامل اليقيني بالحقيقة الى خلقه ، فلا يمكن ان يجيء ما يوحيه مختلفاً عن الحقيقة الواقعية ، لأنه سبحانه هو الموحي وهو خالق الحقائق كلها الواقعية منها والمطلقة ، والحقيقة التي هي موضوع عمل العقل متضمنة في قوانين الطبيعة التي هي سنن الله في خلقه ، وهي بأمر الله سنن دائمة ثابتة ، ومن هنا يمكن أن تكتشف وتقنن ويتم التعامل الانساني معها وتستخدم للوفاء بمسؤولية الانسان في الاصلاح والاعمار وخدمة مصالح الانسان.

والوحي ــ بجانب حديثه عن وجود الله وعن الخلق ــ يبين لنا ويرشدنا الى جوهر حقيقة القوانين الطبيعية أو السنن الالهية التي يسير

الكون على أساسها والى الغاية منها . ومن الواضح أنه لا يمكن أن يكون هنالك ارشاد أو بيان أو تعبير يتعلق بتلك القوانين أصدق من بيان خالقها ومدبّرها. ومن هنا ، فان النظر العقلي والمنطقي الانساني يقتضي انه لا يمكن أن يوجد أي تناقض أو اضطراب . هذا التطابق المنطقي بين العقل والحقائق المطلقة والواقعية وما يأتي به الوحي، هو اخطر مبدأ عرفته نظرية المعرفة. هذا التطابق قائم على ثلاثة مبادىء عليها ترتكز المعرفة الاسلامية كلها:

الأول: ان وحدة الحقيقة المطلقة تفرض انه لا يوجد تعارض بين الحقائق الواقعية وما يأتي به الوحي. فكل ما يقرره الوحي لابد ان يكون صادقاً منسجماً مع الواقع موافقاً له ، اذ لا يتصور ان يكون الله ـــ تعالى ـــ جاهلاً أو غاشاً أو مضللاً لمخلوقاته . وعليه ، فان ما يبينه لهم لا يمكن ان يتعارض مع حقائق الواقع ، لأنه ما أنزله اليهم الا للإرشاد والتعليم والهداية والتوجيه . فإن ظهر أي تفاوت بين الوحي والواقع ، فان على المسلم ان يراجع دقة فهمه للوحي، كما عليه ان يستوثق من سلامة كليات وجزئيات ادراكه الصحيح لحقائق الواقع ما دام يؤمن بمبدأ وحدة الحقيقة المطلقة ، هذا المبدأ هو الذي يحمي المسلم من خطر التأويلات والتفسيرات المتسرعة أو المغرقة في المجازات أو المعتمدة على معان باطنية لا سند لها سوى الفهم الشخصي التحكمي، كما يحميه من ضحالة الفكر وسذاجة النظر في سنن الطبيعة وفطرة الكائنات وحقائق الكون. ان فهم معاني الوحي في الاسلام يقوم على ركيزتين صلبتين: العربية بمعجمها ونحوها ثم الحقائق الواقعية ، وكلاهما محفوظ منذ نزل الوحي، ولهذا السبب لم يعرف الوحي القرآني مشاكل تأويلية من حيث هو ، وانما كل مسائل التفسير تدور حول امور لغوية تتصل بالمعجم أو بالقواعد أو تتصل

بنجابة الفهم وسلامة الفكر والتجربة وغزارة العلم والمعرفة .

الثاني: ان وحدة الحقيقة المطلقة تفرض أنه لا يوجد تعارض أو خلاف أو تفاوت مطلق بين العقل والوحي . كما ترفض رفضاً قاطعاً فكرة انه لا يوجد فهم أو مبدأ أو علاقة أو حقيقة أو بعد أعلى يمكن أن يزيل التناقض. ان الإنسان يبحث في الطبيعة ويحاول ان يكتشف السنن والقوانين التي أوجدها الخالق في الكون وكثيراً ما يخطىء فيتوهم أو يظن أنه قد أمسك بالحقيقة مع انه كان على خطأ. مثل هذا الموقف قد يخلق تعارضاً ـــ في الذهن ـــ بين العقل والوحي. لكن وحدة الحقيقة ترفض هذا التعارض وترى انه وهم ، وتطالب الباحث بالعودة الى النظر ثانية في معطياته وفحصها من جديد . فقد يكون سبب التعارض الظاهر بين العقل والوحي يرجع الى تعثر أو خطأ أو فساد في فهم الوحي ، كما قد يرجع التعارض الى خطأ أو فساد فيما انتهى اليه العلم أو العقل من نتائج ، وفي مثل هذه الحالات، وان كانت في تاريخ الفكر والحضارة الاسلامية نادرة ومحدودة، يحسن بالباحثين أن يعودوا الى معطياتهم ويفحصوها ثانية، وباعادة النظر في ما توصل اليه الفكر الانساني في فهم الوحي أو فيما توصل اليه العقل الانساني في ادراك الحقائق الواقعية والسنن الكونية يتم تمحيص الفهم وشحذه ورعاية المصالح وتحقيق الغايات المقصودة . واستناداً الى وحدة الحقيقة لابد ان يتم على المدى تجلية الحقيقة وادراكها وحل التناقض الوهمي بين مفهوم الوحي ومسلماته ومدركات الحقائق الواقعية ونظرياتها .

الثالث: ان وحدة الحقيقة المطلقة ، او طبيعة قوانين المخلوقات والسنن الالهية ، تفرض أنّ باب النظر والبحث في طبيعة الخلق أو في أي

جزئية منه لا يمكن أن يغلق ، وذلك لأن سنن الله في خلقه غير محدودة ، فمهما عرفنا منها، ومهما تعمقنا في هذه المعرفة ، فلا يزال هناك المزيد منها ليكتشف ويسخر. ومن هنا ، فإن الاستعداد لقبول الجديد من المدركات والبراهين، والاصرار على متابعة البحث هي خصائص لازمة للعقل المسلم الذي قبل ووعى مبدأ وحدة الحقيقة. فالموقف الناقد لكل الدعاوى الانسانية ، والبحث الدائب وراء قوانين الطبيعة التي لا تكون نهائية أبداً ، هما في ذات الوقت شرطان لازمان للمنهج الاسلامي وللعلم الأصيل. ومن هذا المنطلق ، فان أقوى حكم يبقى دائماً مؤقتاً، ويظل صالحاً حتى تظهر أدلة جديدة تشككك فيه أو تفنده أو تؤكد صحته. ولهذا فإن اعلى حكمة ، وأوثق قرار يتوصل اليه العقل المسلم يجب أن يعقبه هذا التأكيد وهو قولهم ''والله أعلم''.

٤ ـــ وحدة الحياة:

أ ـــ ''الأمانة الالهية:

يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿**وإذ قال ربك للملائكة: إني جاعل في الأرض خليفة ، قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال : إني أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها، ثم عرضهم على الملائكة ، فقال: انبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا : سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . قال : يا آدم انبئهم بأسمائهم ، فلما أنبأهم بأسمائهم ، قال : ألم أقل لكم أني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون . واذ قلنا**

للملائكة اسجدوا لآدم ، فسجدوا ...﴾ ٢:٣٠ — ٣٤ . وفي آيات أخرى من القرآن يقول الله تعالى :**﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ، وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً﴾** ٢٣:٧٢ . ويقول: **﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾** ٥١:٥٦ . **﴿وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا...﴾** ١١:٧ . ويقول : **﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ، الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ...﴾** ٦٧:١ — ٢.

هذه النصوص السابقة من القرآن الكريم وسواها تجيب ، في كل آن ، على التساؤل عما اذا كان — أو لم يكن — هناك سبب يفسر وجود الانسان . والاسلام يؤكد كل التأكيد أن لوجود الانسان سبباً وان هذا السبب هو عبادة الله تعالى والاصلاح في الأرض وفقاً لما اقتضته ارادة الخالق الحق . ان الارادة الالهية على ضربين : ضرب من باب القدر وهو أمر متحقق حتماً ، ومن هذا الضرب السنن الالهية التي يجري الكون على أساسها ، وهي قوانين الطبيعة وفطرة الكائنات . هذه السنن ثابتة ومتحققة على مستوى الكون كله . ومن الممكن أن تفهم عن طريق العقل أو عن طريق الوحي أو عن الاثنين معاً . وقد أوجب الله على الانسان أن يبحث عنها وأن يفهمها ويقننها من أجل المعرفة ثم يستخدمها لصالحه واداء رسالته.

أما الضرب الثاني فهو من باب القضاء وهو يتحقق فقط عن طريق الحرية والاختيار ، أي عندما تتحقق في وضع يكون فيه تحقيقها أو عدم تحقيقها ، امكانيتين متميزتين . وتلك هي القوانين الخلقية . انها تتعايش مع قوانين الطبيعة ، بمعنى انها تتحقق دائماً في

سياق من الأشياء والأشخاص والعلاقات في العالم الواقعي ، لكنها تنتمي الى ضرب يختلف عن الواقع . انها عملية أولويات . فكونها تصبح جزءاً من الموقف الواقعي و تتحقق من خلاله أولاً ، أمر يعتمد على تحقق ذلك الموقف ، أو على المتطلبات الخاصة بهذه القوانين الخلقية . انها تتطلب ممارسة الشخص لارادته ممارسة حرة . ولهذا فان ''السماوات والأرض والجبال'' عجزن عن حمل ''الأمانة'' الالهية لعدم وجود هذه الارادة لديهن . وحملها الانسان لأنه دون باقي المخلوقات وهبه الله الإرادة ويتمتع بهذه الحرية الأخلاقية . وهذه الامكانية لديه جعلته في وضع أسمى من الملائكة الذين لا يتمتعون بالحرية في أن يطيعوا وألا يطيعوا . وهذا هو السبب في أمر الله لهم أن يسجدوا لآدم ، فكان انعدام حرية الارادة لديهم سبباً في انزالهم عن مرتبة الانسان . هم كاملون ويستطيعون فقط أن يطيعوا أوامر الله . انهم يقدسون الله ويسبحونه دائماً ولا يعصون له أمراً . وعلى هذا ، فان طاعة الانسان لله أعلى قيمة من طاعة الملائكة ، وما ذلك الا بسبب انها تصدر عن انسان منحه الله بحكمته وسابق مشيئته القدرة على الشر والعصيان مثل قدرته على الخير والطاعة . فاعراض مثل هذا الانسان عن طريق الشر ، أو عما هو أدنى عن الخير أو المادي النفعي الأناني البحت ، ثم اتجاهه بمحض اختياره الى فعل ما يتطلبه القانون الأخلاقي ، انما هو احراز لقيمة أسمى وغاية أصح وأشمل وأنبل. ان الحياة الأخلاقية ليست الا ضرباً من الحياة أعلى وأنبل وأعظم تتطلب في هذه الأرض السعي والاصلاح والاعمار بالحق والعدل والخير . وإنّ النمط الأعلى من الارادة الالهية يدخل التاريخ ويصبح واقعاً حين يختار البشر في حرية أن يحققوه . ومن هنا ، كان للانسان في نظر الاسلام هذه المكانة العظيمة الهامة في انه يعتبره وصلة

كونية أساسية بين الارادة الالهية والواقع الحقيقي . وواضح ان وجوده بهذا المفهوم رفيع الشأن عظيم الأهمية يحقق في هذا الكون مقتضى الارادة الالهية في الاصلاح والاعمار على نسق معاني الخير والحق والعدل .

ب ــ الخلافة: إن حمل الانسان للأمانة الالهية يجعله في مقام الخلافة أو النيابة عن الله . وتتمثل خلافته في انفاذ القوانين الأخلاقية التي تعتبر هي والقوانين الدينية الاسلامية شيئاً واحداً ، وان كانت الأخيرة تتحكم كذلك في الشعائر التعبدية وهي قليلة . لكن حتى هذه الشعائر عند المتأمل لها جوانب ليست تعبدية أو أخروية محضة، ولكن لها ــ من حيث دلالاتها وخصائصها وآثارها ــ علاقة قوية بهذه الدنيا . أما باقي التشريعات الاسلامية الدينية أو الأخلاقية فكلها عبارة عن ممارسات فعلية للحياة والوجود والعمل . وما تضيفه هذه القوانين للممارسات الفعلية انما هو الصفة أو المنظور أو الطريقة التي يتم بها تصريف تلك الممارسات المتشابهة. ومن الطبيعي أن يرغب الناس وأن يطلبوا المتع والخيرات وأن تهوى نفوسهم وأن يحبوا وأن يتزوجوا وأن ينجبوا ، وأن يسعوا في طلب المال والثروة والقوة والحكم ..الخ ، والاسلام لا يرى في هذه النزعات والتوجهات والرغبات الا تعبيراً عن أصل الفطرة في النفوس والمجتمعات ولذلك فهو يحب لكل هذه الأنشطة أن تزدهر وتستمر ، والاسلام لا يشجبها ولا يود لها أن تحد وتحارب أو أن تتوقف كما هو شأن النصرانية والبوذية. كل ما يطلبه الاسلام من الناس أن يقدموا على الأفعال بدوافع سليمة وأن يؤدوها بطرق قويمة . الدافع السليم هو أن يبتغوا بها وجه الحق سبحانه وتعالى، والاسلوب القويم هو أن يؤدوها بالعدل وبالاحسان بحيث

تؤدي الى تحقيق غاياتها النفعيّة والأخلاقيّة دون أن يلحق بها فساد وضرر ونتائج غير مرغوبة أو غير عادلة أو غير أخلاقية تعارض غاياتها السامية في الاصلاح والاعمار . ومن منطلق مبدأ وحدة الخلق يقرّر الاسلام عدم الفصل بين الدين والدنيا . فمن وجهة نظر الاسلام توجد حقيقة واحدة فقط لا حقيقتان كما هو شأن الأديان التي تقسم الحياة الى قطاعين : قطاع ديني قدسي وقطاع زمني دنيوي (لا ديني). ففي الاسلام ليس هناك شيء مقدس بهذا المعنى سوى الله . كل شيء في هذه الدنيا في نظر الاسلام مخلوق وليس مقدساً، وهو يفترض أنه وجود ووسائل مقصودة ما دامت من صنع الله. وغايتنا وطريقتنا في أداء ما نفعل هي التي تحقق أو لا تحقق المقاصد الدينية أو الأخلاقية لما نفعل . فإن أدينا الفعل بالغاية والطريقة الاسلامية الأخلاقية الصحيحة فالفعل خير ، والا فهو شر. وعلى هذا، فإن أفعال الانسان وحده هي التي يمكن أن تكون خيراً أو شراً بناء على ما نقصد اليه وما تؤول اليه من تحقيق ما امر الله به من العدل والحق والخير والجمال والسعادة أو العكس بالعكس . وعلى هذا ، فصفة ''التدين '' في الاسلام لا تعني قطعاً أن ينسحب الانسان من الممارسات المعتادة في الحياة ولا ان يقتصر على الأعمال الخالية من أي تأثير أو قيمة نفعية . انما أمر الدين الاسلامي هو ممارسة كافة الأنشطة الحياتية والعمرانية ولكن بالغاية والطريقة الصحيحة ، فكل فعل ونشاط حياتي هو فعل ونشاط ديني اسلامي اذا توجه الى الغاية الصحيحة وبالأسلوب الصحيح . وعلى هذا الأساس يبقى الاسلام ملتحماً بواقع الحياة والتاريخ . وفي خارج نطاق الحياة والتاريخ ليس ثمة فضيلة ولا تقوى ، بل ولا اسلام . قد ترى النصرانية والبوذية الدين في غير مجريات الحياة والتاريخ ، وقد تفرضان اذلال النفس والتنسك والرهبنة

والتضحية، بل تجميد تلك المجريات نفسها . انهما تفعلان ذلك لأن مجريات الحياة والتاريخ في نظرهما أهل للشجب على اساس أنها شر ومحكوم عليها بالهلاك. فالمسيحية تؤمن بأن الخليقة ''آثمة'' و ''شر'' و ''لاخير فيها'' ، وترى الخلاص من ذلك في الايمان بالمسيح وتقليده. كذلك ، فان البوذية تؤمن بأن الخليقة ''شر'' لاشيء فيه سوى الألم والمعاناة ، وتفرض انكار الذات والحياة وتعتبر ذلك باباً للخلاص من مجريات الحياة والتاريخ.

أما الاسلام فانه ينكر مثل هذه المسلمات المسبقة التي تلعن الحياة والتاريخ ، ويرى أن الله سبحانه وتعالى قد اوجد الخليقة لغاية طيبة يتأتى تحقيقها بالإخلاص لله وطلب الخير والعدالة للبشر. والمشاركة في مجريات الحياة من أساسيات نظرة الاسلام للانسان. لقد عيّن الله سبحانه وتعالى للانسان هدفين ليحققهما . الأول ، ان على البشر ان يسعوا في أرجاء الكون وما سخره الله من السنن الكونية ، وان يعمروه لكي يصبح بكل طاقاته في خدمة الارادة والوجود والابداع الانساني والاستجابة لحاجات الانسانية ، سواء كانت حاجات مادية (من طعام ومأوى وراحة وانجاب) أو خلقية أو فكرية أو جمالية . الثاني ، ان على البشر في عملية توجيه الخليقة نفسها واعمارها أن يستعلوا بالقيم الخلقية فينتقوا منها ـــ للدخول في عمليات التوجيه تلك وعلى أسس أخلاقية ـــ ما يحقق ما يقتضيه الإخلاص لله وتحقيق الخير والعدالة للبشرية .

ان مضمون ''الأمانة'' الالهية ، وبالتالي مضمون ''الخلافة''، هو بناء الثقافة والحضارة والسمو بهما ، ان محور ''الخلافة '' هو الاعمار وهو تحقيق السلام والأمن على الحياة والممتلكات وتنظيم البشرية في مجتمعات منظمة قادرة على انتاج حاجات الانسان وتوفير الطعام وعلى

معالجته وتخزينه وتوزيعه على الجميع بشكل كاف كماً ونوعاً ، وتهيئة المأوى والدفء والراحة والاتصالات واليسر ، واعداد ما يكفي من الأدوات اللازمة لتحقيق هذه الأهداف وتنميتها ، وأخيراً ، تهيئة الفرص للنمو والنضج والتعليم وتحقيق الذات ، وللتمتع الترفيهي والجمالي الذي تتطلبه فطرة الانسان . وهذا مرادف لإقامة ثقافة وحضارة مسلمة ولبناء الحياة والكون واعمارهما وترقيتهما وفقاً لمقتضى ارادة الله لتحقيق معاني الخير والحق والعدل على هذه الأرض وفي مجتمعات البشر. لقد أمر الله تعالى بأن يتم كل هذا وأعلن ان ذلك هو السبب الحقيقي لخلق العالم ، والدافع الالهي الأسمى من وراء كل هذا هو تمحيص الارادة البشرية ، وأن يبرهن البشر على أهليتهم من الناحية الأخلاقية على القيام به . وفي امكانهم ان يحققوا ذلك بأن يمارسوا أنشطتهم العادية في الحياة باسم الحق تعالى وخالصاً لوجهه وتنفيذاً لمقتضى ارادته، وأن يحرصوا على اقامة ميزان الحق والعدل خلال ذلك كله . لقد فهم المسلمون بحق ان هذه ''الخلافة'' عمل سياسي في المقام الأول، وكثيراً ما ربط القرآن الخلافة باقامة السلطان السياسي: ﴿**ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون**﴾ ١٠:١٤ . وبتحقيق الأمن والسلام: ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا...**﴾ ٢٤:٥٥ . وبمقاومة أنصار الباطل الداعين الى الفساد وأعداء الحق المحاربين لله ونوره ، وتوريث سلطانهم لعباد الله الصالحين وخلفائه : ﴿**...قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون**﴾ ٧:١٢٩ . ﴿**...فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ، ولنسكننكم الأرض من**

بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد﴾ ١٤:١٣ــ١٤ .
والعمل السياسي ، أو المشاركة في العمليات السياسية كانتخاب الحاكم أو بيعته وتقديم المشورة والنصيحة للحاكم ووزرائه وترشيد تصرفاتهم ونقدهم ومساءلتهم ــ كل ذلك ليس مرغوباً فيه فقط ، بل هي واجبات أولية دينياً وأخلاقياً (كلكم راع ومسؤول عن رعيته) [1] واهمال هذه الواجبات يعنى الوقوع في الجاهلية كما علمنا وأرشدنا رسول الله ﷺ :[لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً أو لتقصرنه على الحق قصراً ، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم بعضا [2]].

وتعتبر المشاركة في الحياة السياسية والاقتصادية للمسلمين جزءاً لا ينفصل عن العقيدة نفسها . فقد حارب أبو بكر والصحابة رضوان الله عليهم ، من رفضوا تلك المشاركة وأبوا الانضواء تحت لواء التنظيم الاجتماعي للدولة من متمردة قبائل الجزيرة وان احتفظوا بأصل العقيدة واعتبروا مرتدين مفسدين يتوجب قتالهم. فاذا كانت المسيحية تعتبر العمل بالسياسة شراً مستطيراً وتحذر من المشاركة فيه، فإن الاسلام يعتبر ذلك أمراً جوهرياً ويحرم التخلي عنه. والأمر نفسه، وبتأكيد أشد ، صادق بالنسبة للاعمار وبناء الثقافة والحضارة . فالاسلام يعتبر أن بناءهما هو الثمرة الأساسية له. ولهذا ، فإن تخلي جماهير المسلمين في عصور الضعف عن المشاركة في النشاط السياسي لمما يتناقض كلية مع معايير الاسلام ومقاصده.

---

(١) البخاري ٤٥/١٣ و ٤٦ في الفتن، والترمذي رقم ٢٢٦٣ في الفتن، والنسائي ٢٢٧/٨ في القضاة.

(٢) أبو داود. رقم ٤٣٣٦ في الملاحم، والترمذي رقم ٣٠٥٠، وابن ماجة رقم ٤٠٠٦ في الفتن

كذلك ، فان المبدأ نفسه يصدق على متطلبات السلام والأمن ، وهما أثمن جائزة يسعى اليها العالم الاسلامي اليوم. فكل مسلم يجب أن يأمن على حياته وممتلكاته وعلى كرامته الشخصية ومكانه في المجتمع. وتوفير هذا المطلب من أولى الواجبات الاجتماعية . ومن أجل هذا ، طلب الاسلام من كل مسلم أن يكون يقظاً وأن ينظم ويدفع الى أن يعمل على تحقيق هذا الهدف لنفسه، وكذلك لأفراد أسرته ولجيرانه ولكل اخوانه من المسلمين :﴿**أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**﴾ ٦:٨٢.

ج ــ الشمولية :

ان منهج الاسلام في الاعمار والاصلاح وبناء الثقافة والحضارة منهج شامل ، كما يجب أن يكون ان فهمناه حق الفهم. وهذا الشمول هو من الخصائص الأساسية للشريعة. فكل جانب من الحياة الانسانية له غايته ومقصده ومفهومه وحكمه الملائم في الاسلام. والحكم قد يكون ملزماً كما في ''الواجبات'' و ''المحرمات'' أو غير ملزم كما في الارشادات ''المندوبة'' و ''المكروهة'' و ''المباحة'' . المهم أن لا شيء يند عن أحكام الاسلام أو يخرج عنها . حقاً ان دائرة ''المباح'' في الاسلام واسعة، لكن سعتها ليست دليلاً على اخراجها من دائرة توجيه الاسلام ، وانما سببها ان المباحات تقع خارج نطاق ''المطلوبات'' المحددة ، سواء أكانت ''الزاميات'' كالواجبات والمحرمات ، أو ''افضليات'' كالمندوبات والمكروهات . وخارج هذا النطاق تقع التوجيهات والمفاهيم والقيم والثقافة وطرائق المعيشة ، وهي لا تقل أهمية في نظر الاسلام عن قطاع ''المطلوبات'' التي تعتمد

في الحقيقة على التربية الموفقة ، فهي تمثل المنطلقات الأولية وبدونها تصبح غير واردة . فلا شيء يمكن فرضه بالقوة ما لم تكن الجماهير قد تربت عليه من قبل وسبق اقتناعها به.

ومن هنا ، فان واجب المفكر المسلم أن يعمل على تحقيق اسلامية الحياة ، وان يحدد نظرياً وتطبيقياً علاقة الاسلام بكل جزئية في الحياة الانسانية . ولقد أوضح القرآن ذلك بالفعل في عدد من ميادين النشاط الانساني ، وذلك عن طريق تحديد مكانة الأفضليات والمباحات ، كما في التحية وخفض الصوت والاستئذان عند الدخول وسرعة الانصراف بعد تناول الطعام (عند الغير) واحسان معاملة الوالدين ومن يكبروننا ...الخ. وقد بذل الرسول ﷺ ما في وسعه لاستكمال التطبيق سواء بالارشاد أو بالقدوة العملية في مجالات كيفية الأكل والشرب والمحافظة على النظافة والترويح عن النفس ومعاملة الجيران ...الخ. وأسلوب الحياة الذي قرره الاسلام تفصيلياً في العصور الأولى وما تفرع عن تلك التوجيهات القرآنية والنبوية ، نراه اليوم بحاجة الى اعادة تعريف وبلورة واستكمال بحيث تغطي ما لم يكن معروفاً من الأنشطة والوسائل والامكانات حينذاك ، أو تصبح أدق تطبيقاً على ما ترتب على التمدن الحديث من مجالات تمتد من الكماليات الى الضروريات . مثال ذلك: مجالات العلاقات الاجتماعية والسفر والنقل والترفيه والفنون السمعية والبصرية ووسائل الاتصال الجماهيري وغيرها من الميادين التي تحتاج الى أن تمتد اليها توجيهات الاسلام.

٥ ــ وحدة الانسانية:

ما دامت الوحدانية صفة لله عز وجل ، وهو سبحانه الخالق ، فلابد ان تحكم صفة التوحيد الالهي علاقة الله بكل البشر لأنهم جميعاً خلقه. ومن الطرف الآخر ، لابد للبشر أن يرتبطوا جميعاً كمخلوقين بخالقهم ، ولا فرق الا بالتقوى والعمل الصالح. حقاً ، ان البشر يمكن أن يتفاوتوا في الخصائص من العنصر واللون والبنية والشخصية واللغة والثقافة ، لكن اياً من هذه الخصائص لا يمثل قيمة وجودية ، بمعنى أن يجعل من الشخص كائناً مختلفاً ، كما لا يستطيع أي منها ان يؤثر في وضع الشخص كمخلوق امام الله سبحانه وتعالى . فهي أمور وصفات ليست أساسية أو هامة في علاقة مخلوقية الشخص لله، فهذه الخصائص السلالية العرقية التي تحدد معالم شخصية صاحبها وسلوكه قد يكون لها دور في امتيازه أو انهياره أخلاقياً ، وهو أمر كثير الوقوع ، لكن دورها في تحديد النتائج الاخلاقية ليس ضرورياً ولا نهائياً ولا مطلقاً . فليس من الضروري ابداً أن شخصاً ذا تركيبة خاصة منتخبة من تلك الخصائص يكون ذا قيمة خلقية عالية أو هابطة. فجوهر بناء وجود الشخص وأدائه الانساني يجب ان يبقى حراً الى الحد اللازم لحمل مسؤوليته وعدم سيطرة تلك الخصائص على ارادته وأن يكون قادراً على الخيار في ان يتبع قوتها الموجهة أو ان يخالفها بطريق تحويل تلك القوة الى غايات اخرى.

هذا المبدأ هو السبب الذي يقف وراء الحقيقة الالهية التي قررها القرآن الكريم: **﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم...﴾** ٤٩:١٣. ان الانتماء إلى نوع (ذكر أو أنثى) أو إلى قبيلة أو أمة أو إلى سلالة دون اخرى ربما كان أوضح خصائص البشر وأيسر

عوامل التعرف عليهم . يلي ذلك عوامل اللغة والملامح الوراثية والذكاء والمهارة والقوة البدنية ، وهي أقل ثباتاً عند الميلاد وأكثر قبولاً للتغير. ثم ، تأتي الشخصية بخصائصها ذات القابلية العالية للتغيّر والتي تكون الفضائل والرذائل: من الحكمة والمعرفة والتقوى والصبر الى الجهل والحمق والكفر والتمرد . هذه العوامل كلها تشكل الشخصية الانسانية وطريقة الحياة ، على الأقل من جيث الأساس والقاعدة. أما بقية بناء الشخصية ونمط الحياة فيتكون من العادات أو الآراء، من الميل أو المزاج ، من السمعة ومن تاريخ وتقاليد هذه الشخصية عبر تراكمات أعمالها . كل من هذه العوامل له دور في بناء الفرد الانساني وفي تحديد هويته. لكنها تختلف فيما بينها اختلافاً كبيراً، فبعضها خَلْقي محدد من قبل المولد ، وهو ــ لهذا ــ ثابت لا يتغير، وبعضها مكتسب في مراحل مختلفة من الحياة ، ولذلك ينمو ويتطور، أو يتغير ويزول.

والبشر معرضون كثيراً لأن يخطئوا تقدير قيمة هذه الخصائص وطبيعة الدور الذي تقوم به في حياة الشخص. ففي التاريخ لم يكن لأي من خصائص الانسان دور في تحديد الحكم على الأشخاص والجماعات أعظم من الدور الذي قامت به المجموعة الأولى من الخصائص ، ونعني بها النوع والسلالة . ومع ذلك فهي أشد تلك الخصائص براءة من هذه التبعة نظراً لأنها أقلها اعتماداً على القرار أو العمل الأخلاقي ، وأضعفها قابلية للتغير . ان طبيعة المباشرة والوضوح فيها كثيراً ما تضلل الحكم فيأخذها على انها حقائق وجودية ويبني التفرقة والتمييز على أساسها . وهذا هو السبب في ان القرآن بدأ بها وقصد الى هدم كافة الأحكام المبنية عليها . ان هذه خصائص من صنع الله ، ضرورية ولا تتغير وقد خلقها الله لتكون فقط عوامل

تعارف . ان علينا ان نأخذها على أنها ''جواز سفر'' أو ''هوية شخصية'' لا تنبىء بشيء عن قيمة صاحبها أو طبيعته الأخلاقية .

اذن ، كل البشر خلق واحد ومتساوون : وهذا هو أساس العالمية في الاسلام . كل البشر عند الله سواء تميز بينهم أعمالهم في الفضائل الخلقية والانجازات الاعمارية والاصلاحية الحضارية والثقافية . فاذا كانت هذه الأعمال تعتمد على خصائص ثقافية موجودة تعرقل مثل هذا الانجاز ، فالواجب علينا ان نغير هذه الخصائص وننمي أخرى وهذا أمر في الامكان دائماً، والباب مفتوح أبداً أمام مثل هذا التغيير. أما حين يتم الحكم على أساس الخصائص الثابتة ، فاننا نرتكب جريمة اخلاقية ، وهي التعصب العنصري . والتورط في جريمة كهذه ينذر بشر مستطير: انتهاك وحدة البشرية والخروج على أوامر الخالق سبحانه ومصادمة تعاليمه. ولا شيء أشد مقتاً عند الله تعالى من الشرك، والتعصب العنصري من أقرب الأمور الى الشرك. ولا شيء كالعنصرية أدى الى العداوة والحروب وإراقة الدماء بين البشر. لقد ألصقت بالدين وبضروب كثيرة من الأسباب تهمة التسبب في اثارة مختلف الصراعات بين جماعات البشر . والحق ان كافة الصراعات بين الجماعات البشرية كان الدين الحق ــ الداعي الى حرية العقيدة والى العدل بين عباد الله ــ بريئاً منها ، وترجع في حقيقتها الى قرارات عنصرية اتخذت على أساس الخصائص الثابتة لأولئك الذين اتخذوا ''اعداء''. والقصد منها ظلم أولئك العباد ونشر الفساد والاستعلاء في الأرض.

ان الاسلام لا يلتقي أبداً مع التعصب العنصري الذي يعتبر التمييز العنصري والقومية من صوره السائدة. ان الصراع بينهما لا حد له

نظراً لأن ما ينزله التعصب العنصري من دمار في الروح الانسانية لا يمكن جبره.

وإدانة التعصب العنصري كما يفعل الاسلام ليست ادانة للوطنية ، اذ الأخيرة تعني موقفاً ايجابياً مفهوماً من الحب والاعزاز والتقدير لحياة الجماعة وقيمتها ، ومن الاستعداد لتحمل المرء كل بذل وتضحية، بما في ذلك التضحية بالنفس ، في سبيل الدفاع عنها. فليست الوطنية على هذا بريئة من الشر فقط ، بل انها عمل ايجابي صالح يفرضه الاسلام . فمن الواجب على المرء دينياً وأخلاقياً ان يحب أقرباءه وقومه ويخدمهم ويدافع عنهم بالحق ضد كل اعتداء وظلم، وكذلك أرضه دون ان يعني ذلك عداء لسواهم من البشر أو الأوطان بل بالعكس فإن حب المسلم واعزازه لأقربائه وقومه ووطنه جزء وحلقة من مجموعة من المشاعر الفطرية السليمة التي تبدأ بالذات وتنتهي بالانسانية قاطبة ، جزء من كل موحد ، ومصلحة واحدة ومصدر واحد وغاية مشتركة في الهداية والاصلاح والاعمار ونفع الخلائق . فما ابعد الفرق بين التعصب العنصري والوطنية . ان جوهر الأول هو الادعاء بأن مزايا الشخصية السلالية هي المعيار الأول للحب والبغض والخير والشر ، وأشيع صوره وأبشعها هي اعتبار سلالة ما أسمى من كل البشر نتيجة للخصائص الذاتية في أفرادها ثم اجلال تلك المزايا والتمسك بها على حساب كل المزايا الأخرى. والتعصب العنصري بهذا الزعم يتطلب الولاء المطلق له ممن يؤمنون به ، ما دامت الدعوى التي يقدمها هي أن العنصر هو الحقيقة المطلقة. ان الشعب الملتزم بالتعصب العنصري ، يهودياً كان أو المانياً أو فرنسياً أو روسياً ، يدعى مخلصاً أن اليهود أو الألمان أو الفرنسيين أو الروس هم الحقيقة الهامة التي تمثل معيار الخير والشر. ان ما غرسته الصهيونية

في روح الشعب اليهودي ، وما غرسه ''هيجل'' و ''فيختة'' و ''نيتشه'' وغيرهم من المفكرين الرومانسيين في روح الشعب الألماني عما هو ''الوطن الألماني'' وما غرسه ''روسو'' و ''فوستيل دي كولانج'' وغيرهما في روح الشعب الفرنسي عما هي ''الأمة'' ، قد وصل الى ما يشبه المبدأ المقدس الذي نفخ الغرور في اليهود والألمان والفرنسيين فصار عندهم أشبه بالحقيقة المطلقة للمعتقد الديني. وان مشاعر الاعتزاز والاستعلاء والالهامات والتطلعات النفسية المؤثرة التي تشعها هذه المفاهيم والأفكار الغامضة وتسيطر بها على قلوب أتباعها ومعتنقيها وخيالاتهم هي في الواقع عند هؤلاء الأتباع خصائص المؤثرات النفسية الغامضة المبهرة المسيطرة وكأنها ذات صفات شاملة أزلية مطلقة تستحوذ في قوة على مخيّلة هؤلاء الأتباع ونفسيتهم.

أما المسلم فموقفه وعقيدته عكس ذلك تماماً ، لأن ''الهه'' هو الاله الواحد وهو وحده اله كل شيء على الاطلاق، وهذا التوحيد هو المقدمة الضرورية التي تبنى عليها لزوماً كل صور وحدة الانسانية. ومن التناقض في التسمية بالضرورة أن نقول ''مسلم قومي'' أو ''عنصري''. والمسلم الذي يعلن أن ولاءه لقومية أو عنصرية فهو اما كاذب منافق أو جاهل ذو ولاء سطحي زائف لا يميز ولا يستطيع أن يقف أمام التعميات والاغراءات والمصالح الخاصة التي تلوح بها وتبذلها قوى المفاهيم والعقائد والولاءات القومية والعنصرية . وهذا هو أيضاً السبب الذي يفسر كيف أن الممارسة العملية للكثير من الزعماء المسلمين الذين يدعون الالتزام كمسلمين قد خلت كثيراً من انسجام المواقف وجدية الالتزام اخلاصاً للمبدأ المعلن.

إن مفهوم الإنسان في العصر الحاضر في ظل مفاهيم الحضارة الغربية يكاد يقوم كله على العنصر كتحديد مطلق للانسانية ،

ومفهوم المجتمع يقوم على العنصر كأساس مطلق للنظام والبناء الاجتماعي. ولم تتح أبداً فرصة تجربة وممارسة مبدأ عالمية ''عصر التنور'' قبل أن يتم رفضه لصالح المبدأ العنصري الذي دانت به الرومانتيكية . بل لقد كانت عالمية ''عصر التنور'' تجريدات نظرية وموضع شك ــ حتى على يد أمير هذه الحركة ''ايمانويل كانت'' ــ حيث تعتبر أن مختلف شعوب البشر تتدرج ما بين رفيع ووضيع على أساسين: احدهما: تصور أوربي موروث، والآخر: يتأتى من تصور دلالة الخصائص الذاتية الداخلية للشعوب الآسيوية والأفريقية والأوروبية. لقد اكتسحت الرومانتيكية الغرب كله ، وأتت على كل أثر للعالمية العقلانية أو النصرانية . وأعطت حركة الرومانتيكية هذه على أساس من مفاهيمها ومنطلقاتها ، أعظم اهتمام ودعم للدراسات الانسانية والفنون والعلوم الاجتماعية . ولقد حدد هؤلاء المفكرون الانسان على انه حصيلة لوظائف مجموعة من الحقائق والخصائص والصفات والقدرات والقوى التي تنبثق وتتغذى من تصور غيبي غامض لوطن أو لسلالة أو شعب أو دم يمتد في غموض الى أبعاد زمنية لا نهائية ومن تقاليد تمتد جذورها إلى اعماق وأبعاد لا نهائية في كل من الزمان والمكان . والأسوأ ان هذه الأمور لم يتم عرضها وفهمها على أساس من العقل ، وانما يتم عرضها وتكسب القناعة بها بأساليب عاطفية ومن خلال التهيأ الذاتي والحدس الشخصي وقد وجدت هذه المفاهيم أبلغ وأوضح تعبير عنها في الفنون، خاصة الموسيقى والرسم والأدب . حتى الدين تصوره أولئك المفكرون الرومانتيكيون ، خاصة ''شليير ماخر''، تصوراً جديداً على انه يرتكز على أساس وحيد هو التجربة الذاتية للمؤمن به التي لا يمكن وصفها ، أي أحاسيسه الشخصية ، وذلك بعد التسليم لمن تهجموا على الدين وحطوا من

قدره في أنه غير عقلاني بل اعتباطي تحكمي لا يختلف في طبيعته عن ''الأوهام'' و ''المخدرات'' .

لقد استمرت الدراسات الانسانية في الغرب تتحدث عن ''الانسان'' و ''الانسانية'' ، لكن بالمفهوم الذي يحصر مضمون هذه المصطلحات في ''الانسان الغربي'' و ''الانسانية الغربية''. وهي حين لم تستبعد تماماً من دائرة الانسانية ملايين ''السود'' و ''الحمر'' و ''الصفر'' في افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ، فلأنها عدتهم مخلوقات قريبة من الانسانية يمكن أن تستعمر وأن تستغل لصالح الانسانية الغربية . وهذه دراسات ومفاهيم ولكن يجب أن تدرس على انها عينات ونماذج لعصر مر به الغرب في فترة ما في فترات تاريخه وتطوره وبذلك تسهم هذه الدراسات في تمكين الانسان الغربي من فهم ذاته وتاريخ تطوره.

ان التعصب العنصري بطبيعته مثير للشقاق والتفرق ، اذ من الممكن دائماً ان تجد داخل أية مجموعة مجموعات أصغر تكشف عن مزيد من التركيز للخصائص الداخلية أكثر من المجموعة الأكبر ، وهذه ''الحقيقة'' يمكن أن تمهد القاعدة لمجموعة أصغر تطلق على نفسها كياناً عنصرياً مزوداً بخصوصيات أقوى. واذا كانت الرومانتيكية قد فصلت الغربيين عن بقية العالم الذي كانوا على وشك ان يحتكوا به احتكاكاً مكثفاً نتيجة لتطور الصناعة والنقل ، فانها، ايضاً قد مزقت الغرب الى قوميات متعادية متنافسة تسعى كل منها الى ''مصالحها القومية'' وكأنها وحدها معيار الخير والشر. وسرعان ما تعلمت أمم الغرب من بعضها وقبلت كل منها ما انتهت اليه الأخرى. كما انتقلت بسرعة ، النظرات والتحليلات والتعبيرات الرومانتيكية من أمة الى أخرى على أنها حقائق ثم تبنتها وطبقتها كما

لو كانت من صنعها.

وبتأثير الدفعة التي قدمتها الرومانتيكية تطورت أيضاً العلوم الاجتماعية الغربية: التاريخ والجغرافيا والاقتصاد وعلم السياسة والاجتماع والانثروبولوجيا -(علم الانسان) . وهي تقوم كلها ، كل بطريقته الخاصة ، على أساس نظرة عنصرية مؤداها ان الأمة أو الكيان العنصري، بمفهومها المحدد جغرافياً وسكانياً وتاريخياً — لكن الأخير يكون مشوشاً وغير محدد — هي الوحدة المطلقة للتحليل والتقويم. وحينما يتحدثون عن ''المجتمع'' أو ''النظام الاجتماعي'' فانهم يقصدون كيانهم ونظامهم القومي . بعضهم يذكرها صراحة منذ الصفحة الأولى ، وآخرون لا يصرحون بها على أساس انها أقوى الفروض الأساسية التي لا تحتاج الى ذكر . ويؤكد علم الاجتماع بجرأة ووقاحة على المقولة العنصرية لانه يتعامل مباشرة مع المجتمع والنظام الاجتماعي. وعلى أثره يقفو علم السياسة . أما علم الجغرافيا والتاريخ الغربيين فلا يتصوران العالم الا كتابع للغرب ، عالم يدور حول بريطانيا أو أمريكا أو فرنسا أو المانيا أو ايطاليا، التي هي بمثابة القلب والنواة له، وذلك حسب المؤلف ومكان النشر. أما علم الاقتصاد الغربي فقد كان في مراحله الأولى بعيداً عن الموضوعية العلمية بحيث ادعى لنفسه مكانة العلم العالمي. لكنه أرجع الى مكانه كتحليل غربي لأمة غربية على أيدي النازيين وهم قادة الرومانتيكية والعنصرية في أوروبا. ونفس الدعاوى الفارغة التي اسبغها''كارل ماركس'' على هذا العلم انكرها ''لينين'' و ''خروشوف'' من خلال الممارسة العملية . لكن نظام حكمهم لم يسمح حتى الآن باعلان أي شيء مكتوب بهذا الخصوص، وان سمح بقدر معقول من الاعلانات العنصرية (المدعوة هنا بالاشتراكية — القومية) ان يدرج في الدستور الجديد للاتحاد

السوفيتي عام ١٩٧٨م.

وأخيراً فان علم الانسان (الانثروبولوجيا) يعتبر أجرأ هذه العلوم الاجتماعية جميعاً . فالانسانية في نظره صراحة تعني العنصرية ، وانهما منطقيا متكافئتان كل منهما قابلة لأن تحل محل الأخرى. وفي القرنين الأخيرين كان تأثير هذا العلم يسوق البشرية الى سعار من الوعي بالعنصرية وذلك من خلال فرز مجموعات ثانوية واحدة بعد الأخرى واقامة نظام من المبادىء والقيم لكل منها ، مستقى من الخصائص الذاتية لها أو مما لفقه دعاة هذا العلم وأعلنوا أنه ذاتي ومختص بتلك المجموعة العرقية. فبدلاً من ادراك الخصائص العالمية في الانسان وتأكيدها ، اذا بهذا العلم ينمي ويضخم بشكل كبير الجوانب الخصوصية.

والاسلام وهو يرفض السلبية العنصرية يؤكد ويدعم ايجابية الأسرة وصلة القرابة ويعترف ويؤكد على مفهوم الأسرة وانها وحدة البناء في النظام الاجتماعي ولذلك فهو يدعم صورتها الممتدة بالتشريعات المتعلقة بالارث والانفاق حتى يمكّن اكبر عدد من أعضاء الأسرة أن يأكلوا من مطبخ واحد وأن يتكافلوا ، من ثم ، اقتصادياً. والغاية هي ان يصبح أفراد الأسرة الممتدة — من خلال عيشهم في تقارب، وكثيراً ما يكون ذلك تحت سقف واحد — متكاتفين في سبيل صحتهم وحاجتهم المادية والنفسية والعقلية والعاطفية والاجتماعية وصالحهم العام . أما فيما وراء الأسرة فان الاسلام لا يعترف في تنظيم الجماعة والمجتمع الانساني والنظام الاجتماعي العام على أساس قومي أو عنصري وانما على أساس أصل الانتماء الانساني لذلك فلا شيء يقف بين دائرتي الأسرة والانسانية . وهما معاً يكونان كل شيء في النظام الاجتماعي . وعضوية الانسان في هذا النظام هي ما يهتم

به الاسلام في العلوم الاجتماعية . اما سائر التقسيمات للبشر بين دائرتي الأسرة والانسانية ، كالقطر والاقليم والشعب والأمة ، فان الاسلام يعتبرها وحدات ادارية بحتة لا علاقة لها ابداً بتحديد الخير والشر ولا بفهم الشريعة أو تطبيقها . وعليه ، فان ما عند الغرب الحديث من فنون وعلوم انسانية واجتماعية يجب أن تعاد صياغتها برمتها، وأن تقوم قواعدها الأولية على أساس جديد يتطابق مع أسس الاسلام ومبادئه وعدله وسماحته وعالميته بحيث تعتبر هذه العلوم من غايات الاسلام ومقاصده وتعكس مفاهيمه وقيمه الأساسية ، تستنير الدراسات ونتائجها العلمية والحضارية بنوره. كما ينبغي أن يمدها المفكرون المسلمون بالقيم والغايات الاسلامية لتكون بمثابة أهداف عليا لترشيد وجهة البحوث والدراسات الاجتماعية والانسانية.

٦ ــ تكامل الوحي والعقل:

إنّ تكامل الوحي والعقل لدى المسلم قضية بديهية أساسية تنبع من مبدأ التوحيد في العقيدة الاسلامية ، فالعقل من خلق الله وهبه الله للإنسان ليدرك به الدنيا التي يحيا فيها ويسعى في أسبابها ومناكبها ليلبي حاجاته ويحمل أمانة مسؤولياته فيها. فالعقل خلق مقصود للإدراك والسعي وحمل المسؤولية .

واذا كان العقل هو وسيلة الانسان للإدراك وطلب الأسباب وحمل المسؤولية فان الوحي المنزل الى الانسان من لدن الخالق العظيم مقصود به هداية الانسان وتكميل ادراكاته بتحديد غايات الحياة الرشيدة للإنسان وتحديد مسؤولياته في هذه الحياة وترشيد توجهاته فيها ووصل ادراكه الجزئي بالمدركات الكلية فيما وراء الحياة وعلاقات الكون والوجود وكليات المركبات والعلاقات والمفاهيم الانسانية

والاجتماعية اللازمة لتمكين العقل الانساني والارادة الانسانية من حمل مسؤولياتها وترشيد جهودها وتصرفاتها وفق الغايات المحددة لها في هذه الحياة .

ولذلك فالوحي والعقل ضروريان ومتكاملان لتحقيق الحياة الانسانية الصحيحة في هذه الأرض.

وإذا كان العقل قد وجد بوجود الانسان كذلك صاحب نزول الوحي والرسالات بدء وجود الانسان ليمثل دعوة الانسان للإيمان بالحق والعدل والاصلاح والاعمار في هذه الأرض ،ولتجزى كل نفس يوم الحساب ما كسبت ، ان خيراً فخير وان شراً فشر ولو كان مثقال ذرة من خردل.

ولذلك فلا مجال ولا معنى لتناقض الوحي والعقل أو تعارض العقل والوحي ، فالعقل والوحي مقصودان متكاملان في حياة الانسان وفي سعيه لبلوغ حاجاته وتحقيق غايات وجوده وحمل مسؤولياته في هذه الحياة.

ولكن من المهم لادراك الموضع الصحيح لكل من الوحي والعقل في كيان الشخصية المسلمة والفكر الاسلامي وسعي الانسان المسلم أن ندرك الادراك الصحيح علاقة كل واحد منهما بالآخر حتى نحقق شروط التكامل ولا نقع خطئاً ودون قصد في وجوه وهمية من ألوان التناقض والتعارض بين الوحي والعقل .

فالعقل الانساني رغم كل مكانته وامكاناته في حياة البشر يظل محدوداً جزئياً يعتمد الاستقراء وتراكمات المعرفة والخبرة لادراك مسيرته وسبل أدائه . وجاء الوحي على أيدي المعصومين الصادقين من الأنبياء والرسل ليمد العقل الانساني بالمدركات الكليّة في علاقات الكون

وموضع الانسان منها ومهمة وجوده تجاهها وقواعد علاقاته الانسانية والاجتماعية الأساسية اللازمة لترشيد سعيه وتحقيق غاية وجوده.

والعقل سيظل رشيداً في أدائه ما دام يسعى بالعمل والاصلاح ضمن توجيهات الوحي وارشاداته في معنى العلاقات وغاية الوجود.
وما ضل المسلمون وانحرفوا إلا حين استخدموا العقل في غير موضعه وأخذوا بالظن والتخمين الباطل في أمور الالهيات وقضايا كليّات القضاء والقدر متأثرين باطار فكري اغريقي ليس له مرشد ولا ضابط ولا موجه من معرفة الوحي القطعيّة الكليّة.

فالركن الأول للتكامل بين الوحي والعقل لدى المسلم وفي تكوين شخصيته ومعطيات فكره ان مرجع كليات الوجود هي الى ما انزل الله من وحي يصول العقل ويجول في اطارها لتحقيق غاية السعي الانساني في هذه الأرض وتلبية حاجاته بكل الجد والبذل والاخلاص، وعدم صرف جهوده كبرا الى غير موضعها المثمر الصحيح الذي تتعلق بها ثماره ومسؤولياته.

والركن الثاني لتحقيق التكامل الصحيح بين الوحي والعقل هو فهم الاسلوب في التعامل مع الوحي والعقل والتفاعل بينهما. فعند واقع التعامل مع الوحي والعقل واسقاط قضاياهما على واقع الحياة الانسانية بتفاصيلها ومجرياتها يواجه الانسان بألوان من النقص والقصور تنعكس على ادراكات الانسان لقضايا الوحي والعقل والعلاقة التطبيقية بينهما.

فقد يتعارض فهم الانسان لقضيّة من قضايا الوحي وتشريعاته ومدركات العقل واستقراءاته بشأن تلك القضية . وهذا التعارض — وان كان استثناء الا انه جزء من طبيعة محدودية الادراك الانساني.

وحل هذا الاشكال في أي قضية من القضايا ينشأ فيها لا يكون حلاً عاطفياً بالانتصار لأحدهما على الآخر . لأن المصدرين صحيحان ومتكاملان ولا مجال للمفاضلة أو الانتصار بينهما ، ولا مجال للمسلم إلاّ السعي لتجلية حقيقة القضية التي لابد أن تستند في تأصيلها الى المصدرين متعاضدين متكاملين .

واذا كان منطوق الوحي في أي أمر لابد أن يمثل الحق في شأن ذلك الأمر فان الادراك العقلي السليم لابد أن يؤيد منطوق الوحي ويمثل الحقيقة في شأن ذلك الأمر.

ولكن هذا التطابق المطلق بين منطوق الوحي ومنطوق العقل في اي أمر انما يمثل المنطوق المطلق الكامل للوحي أو العقل.

أما الادراك الانساني لهذا المفهوم في أي لحظة بذاتها وفي أي امر بعينه فانه جزئي ويحتمل الخطأ، فقد يكون فهمه للوحي خاطئاً قد جانبه الصواب وقد يكون ادراكه العقلي للأمر قاصراً قد جانبه الصواب . ولذلك في حالة تعارض الفهم والادراك يجب ان يتحلى المفكر المسلم بالتواضع ويأخذ نفسه بالاخلاص والتمحيص ويدير دفة الحياة في ذلك الأمر وفق القيم الأساسية والغايات والمقاصد الكبرى الاسلامية التي تتعلق بها المصلحة في ذلك الأمر حتى يتم الاهتداء الى وجه الحق والحقيقة في الأمر ، فاما ان يصحح فهم منطوق الوحي في الأمر أو يتم تصحيح وجه ادراك الحقيقة العقلية فيه.

وهكذا يظل الوحي والعقل في الحقيقة عند المسلم على كل الأحوال متكاملين متعاونين كمصدرين للفكر والعمل والتنظيم والسعي الانساني في الحياة لا مجال للتعارض بينهما ، وكل تعارض فهو تعارض وهمي يحل بمزيد من الفكر والتدبر والتمحيص والشمول في أمر مفهومنا وتفسيرنا للوحي وفي امر منهجنا واسلوبنا في الوصول

الى النتائج العقلية حتى يتضح وجه الصواب ويزول وهم التعارض، وتتضح مقتضيات المصلحة الانسانية التي تستهدفها مقاصد الشريعة في توجيه الحياة الانسانية خلال فترة التدبر والتمحيص تلك.

وبهذا تظل الحياة الانسانية المسلمة متدفقة سليمة تسير في ايمان وقوة وقناعة عقلية كاملة نحو تحقيق غايات الوجود وحمل مسؤولية الحياة ومواصلة جهود الهداية والاصلاح والاعمار.

٧ ــ الشمولية في المنهج والوسائل:

قصر الاسلام على جانب من الحياة دون جانب أو تحويله الى قضايا غيبية تجريدية ليس من طبع الاسلام وليس على منواله . ولذلك فقصر الاسلام على ممارسات الوعظ أو قضايا نظام الأسرة أو حصره في قوالب قانونية فقهية نظرية أو تاريخية بحتة أمر تأباه طبيعة الاسلام الذي يمثل ديناً ومبادىء وقيماً وفلسفة اجتماعية حياتية شاملة.

ولذلك فحصر الاسلام بشكل عام في دراسات لفظية نظرية لغوية استنباطية بحتة لا تتعلق بدراسة الأحياء والمجتمعات وتفاعلاتها أمر يأباه الاسلام لأنه يدل على عدم ادراك الحياة وقضاياها ووسائلها وامكاناتها ومتغيراتها فلا يتيح فرصة لتوجيه دفة الحياة والمجتمعات والأنظمة والأفراد في كل شأن من الشؤون وفق قيم الاسلام وغاياته مثل ذلك الحصر وضيق الأفق يأباه الاسلام ويرفضه الضمير المسلم وينبو عنه النظر المنصف في تعاليم الاسلام ورسالته.

فاذا كان الاسلام ديناً شاملاً لتوجيه الحياة الانسانية عبادة وسعياً وتنظيماً وتعلماً وقضاء وتربية وموعظة وتدبيراً وحكماً فوسائل الفكر الاسلامي والمنهجية الاسلامية هي ــ بالضرورة ــ وسائل شاملة لكل

الوسائل والامكانات البشرية التي تحقق غاياتها ، وغايات منهجيتها أيًّا كانت هذه الوسائل والامكانات استنباطية واستقرائية ، لغوية وتحليلية، نظرية وتطبيقية ، نوعية وكمية وتجريبية بحسب حال أمر كل مجال من مجالات المعرفة والبناء والعمل وتداخلاتها وكل ما يتصل به من توجيه الوحي وادراك العقل.

الفصل الخامس

خطة عمل المعهد

ورغم أن الخطة ــ التي نتناولها في هذا الكتاب ــ هي في جوهرها خطة يهدف المعهد الى السير على هداها ، وتنفيذ اكبر قدر ممكن منها الا انها في الواقع خطة عامة شاملة يمكن أن يشارك في انجازها وانجاحها كل مخلص يهتم بالقضية العلمية والفكرية من رجال الأمة ومؤسساتها العلمية والحضارية . هي خطة لاسلامية المعرفة ، واصلاح مسارات الفكر الاسلامي المعاصر ، وتجديد مناهجه ، واستعادة طاقته الأصيلة في العطاء والابداع، لا تقتصر على المعهد وجهوده الخاصة، ولكنها خطة عامة يستطيع أن يشارك المعهد فيها ويتعاون معه عليها بإذن الله كل مجاهد مخلص ، وكل مؤسسة اسلامية معنية ممن يسعون لنصرة دين الحق واقامة حضارة الاسلام هداية وسعادة للإنسانية وتحقيقاً لمسؤولية الانسان المسلم في الأرض.

١ ــ أهداف الخطة:

تهدف خطة عمل المعهد لاسلامية المعرفة الى العمل على تحقيق الأهداف العامة التالية:

أ ــ توعية الأمة على الأزمة الفكرية:

توعية الأمة على موقع أزمة الفكر الاسلامي ومنهجيته من أزمة وجود الأمة الثقافي والحضاري.

ب ـــ تحديد معالم العلاقة بين قصور الفكر الاسلامي وقصور منهجيته من ناحية وبين غياب الأمة ومؤسساتها ونظمها وتخلفها علمياً وثقافياً وحضارياً من ناحية ثانية ، وبين ذلك القصور ، وبين ضعف الأمة وفشل جهودها في التحرر والتقدم من ناحية اخرى.

ج ـــ تفهم طبيعة أزمة الفكر الاسلامي المعاصر وأسبابها والسبل والوسائل المطلوبة لمواجهتها والتغلب عليها وعلى آثارها.

د ـــ العمل على تجديد فكر الأمة ، وتجديد طاقاته وتطوير مناهجه وبلورة منطلقاته ، وربطه بمقاصده الاسلامية الأصيلة.

هـ ـــ العمل على تأصيل شمولية المنهج الاسلامي في ميدان الدراسات الاجتماعية والانسانية وتأصيل الدراسات العلمية الاسلامية في ميدان الواقع الحياتي والفطرة الانسانية والاجتماعية.

و ـــ البدء بأعمال تمكين الفكر الاسلامي والثقافة الاسلامية المعاصرة من استيعاب الأصول الاسلامية والتراث الاسلامي ومن العلوم والمعارف الحديثة وتيسيرهما على الدارسين المسلمين .

ز ـــ العمل على تقديم الأبحاث والدراسات والكتب المنهجية بقصد بلورة المفاهيم والمنطلقات الاسلامية وارساء أسس العلوم الاجتماعية والانسانية الاسلامية .

ح ـــ اعداد الكوادر العلمية اللازمة لريادة مجالات اسلامية المعرفة وذلك من خلال برامج المنح الدراسية والاشراف

العلمي والبرامج الدراسية الاسلامية في مجالات العلوم الاجتماعية والانسانية المعاصرة كافة .

٢ ــ خطوات العمل:

واذا كان الهدف الأسمى هو أن يحل مفهوم ''الاسلامية'' محل مفهوم ''التغريب'' ومفهوم ''التحديث'' كمفهوم اسلامي وانساني شامل وأن يصبح اطاراً حضارياً وثقافياً مبدعاً أصيلاً يستوعب طاقات العصر وامكاناته تجسيداً للغايات والقيم الاسلامية الاصلاحية الأعمارية السامية ، فلابد اذن لهذه الجهود أن تعمل في مسارات متعددة متوازية ومترابطة تنظم جهود المعهد وجهود كافة العلماء والمفكرين والمثقفين والهيئات العلمية الاسلامية ، وان تتم تلك الجهود في تنسيق وتعاون مع كافة الجهود والتوجهات الاسلامية في مختلف مجالات العمل والاصلاح الحياتي . فرغم ما لإصلاح الفكر ومناهجه ــ اذا اضطرب عقده ــ من أولوية الا ان ذلك لا يتعارض مع اهمية بذل الجهود في مختلف الجبهات الحياتية التطبيقية والتنظيمية والجهادية، بل ان الجهود الحقيقية تتكامل ولا تتعارض وتتساند ولا تتناقض اذا اردنا حقاً دفع عجلة الحياة الاسلامية على الطريق الصحيح.

وجهود اصلاح الفكر الاسلامي ومناهجه وتحقيق المعرفة تتطلب مسارات العمل ومجالاته المترابطة المتكاملة التالية:

أ ــ التوعية:

مهمة اصلاح الفكر واسلامية المعرفة ليست قضية من القضايا التي تحل لمرة واحدة وتنفض منها اليد ، كما انهّا ليست القضية التي تخص نفراً محدوداً من الناس تنحصر في دائرتهم ولا تهم أحداً سواهم.

ان اصلاح الفكر واسلامية المعرفة هي مهمة دائمة ومستمرة في حياة الأمة تبقى ببقائها سليمة قادرة تجدد بها مسيرتها وتطور وتستوعب بها طاقاتها وامكاناتها وواقعها المتطور المتغير.

كما ان قضية المعرفة والفكر تتعلق بكل علماء الأمة ومفكريها ومثقفيها وقياداتها يشاركون في بنائه وتجديده والانتفاع به وتقديمه موجهاً لجهود الأمة وجهود بنائها الحضاري.

ولذلك فإن الخطوة الأولى لتحقيق الاصلاح والاسلامية هي توعية المعنيين به والمستفيدين منه وشرح القضية لهم ليبدأوا في أخذ مواقعهم في كتائبها ومد آثارها الى أعمالهم وجهودهم العلمية والفكرية.

ولذلك يجب توجيه الخطاب الى جموع هؤلاء العلماء والمفكرين والمثقفين والقادة وطلاب العلم والمعرفة في مؤسساتهم وتجمعاتهم ونواديهم وعلى منابر الاعلام الاسلامي.

والتوعية لا تقتصر على الخطاب التوضيحي المباشر لهم ولكن تمتد إلى تقديم الأعمال والبرامج والأدوات التي تخدم الفكر وإسلامية المعرفة وتستجيب لتطلعاتهم وتخدم جهودهم كما تمتد إلى دعوتهم إلى المشاركة بمختلف الصور في أعمال الاصلاح والتطوير والتعليم والنشر. والمعهد يستخدم لهذه الغاية الندوات والمؤتمرات والاعلام والنشر ويسعى الى التعاون مع كافة المؤسسات العلمية والاعلامية من أجل شرح هذه القضية وتوضيح جوانبها ودعوة الجميع إلى المشاركة والابداع فيها.

وقد عقد المعهد عدداً من المؤتمرات العالمية وعدداً من الندوات العلمية في مختلف مجالات المعرفة ، دعا ويدعو إلى المشاركة فيها

المفكرين والعلماء وطلاب المعرفة المسلمين ، ويسعى الى تكوين حلقات دائمة للتوعية على قضايا الفكر الاسلامي واسلامية المعرفة في كافة الحواضر العلمية في العالم قاطبة والاسلامي على وجه الخصوص.

كما ان المعهد لا يتوانى في دفع عجلة حملة متصاعدة لإشراك وسائل الاعلام الاسلامي لشرح هذه القضية ورعاية مسيرتها لتصبح قضية علماء الأمة ومفكريها وطلابها واطار جهودهم العلمية والفكرية.

ويتطلع المعهد الى وعي القادة والمفكرين والمؤسسات العلمية بحيث يدفعون بامكاناتهم الوفيرة جهود التوعية حتى تتضح للأمة وتتمثل كافة الجهود العلمية والفكرية في مسيرة مبدعة متجددة.

ويرجو المعهد أن تأتي نراكات ثمار أعماله وندواته ودراساته ومنشوراته مع ما تحققه المؤسسات العلمية والمخلصون الذين يتبنون هذه القضية لتضع امام أبناء الأمة النماذج والبدائل الجيدة المطلوبة التي تعطي القدوة والمثال الذي يلمسه الناس ويجيدون العمل على غراره.

ب ـــ بلورة منطلقات الفكر الاسلامي ومفاهيمه ومناهجه:

ولما كانت معالجة أزمة الفكر الاسلامي لتحقيق اسلامية المعرفة غاية لاطلاق جهود الأمة الناجحة في الحضارة والاعمار فإن هذه المعالجة لا يمكن أن تتم الا ان تسبقها جهود علمية جادة لبلورة منطلقات الفكر الاسلامي وتجلية مفاهيمه واصلاح مناهجه.

ولذلك لابد للمعهد وكل معني مخلص أن يعمل على تجنيد طاقات المفكرين والعلماء والمثقفين وطلاب العلم المؤهلين في الثقافتين الاسلامية والغربية القادرين على العمل في مجال اسلامية المعرفة خاصة

وان هذا النوع ــ من اهل العلم ــ محدود العدد في العالم اليوم.

ويعمل المعهد على تجنيد المفكرين والعلماء بكافة الصور الممكنة من الدعوة الى الكتابة والانتاج العلمي في القضايا المتعلقة ببلورة الفكر واصلاح المنهج الى الدعوة الى المؤتمرات والندوات والحلقات الدراسية لتبادل وجهات النظر واجراء الحوارات العلمية واثراء المفاهيم المشتركة.

كما يعمل المعهد على توفير الموارد لتوفير الامكانات اللازمة للعلماء والمفكرين لقضاء الاجازات الدراسية وما يتعلق بذلك من خدمات مكتبية وعلمية ولقاءات وحوارات فكرية ينتج عنها أعمال علمية رائدة نحو تحقيق غايات اصلاح الفكر واسلامية المعرفة.

وبانتهاء أعمال مباني ادارة المعهد وأعمال سكرتاريته ومكتبته الكبرى وقاعات اجتماعاته ولقاءاته العلمية سيبدأ ــ باذن الله ــ برنامج قضاء التفرغ العلمي للأساتذة الجامعيين والعلماء والمفكرين وذلك بدءاً من شهر سبتمبر عام ١٩٨٦.

كما يعمل المعهد على توفير الموارد المالية اللازمة لحمل نفقات التفرغ العلمي الكامل لبعض المفكرين والعلماء أصحاب القدرة الفذة الريادية في مجالات اسلامية المعرفة.

ان جهود بلورة الفكر واصلاح المنهجية هي جهود اساسية تعنى بدراسة محتوى الفكر الاسلامي ومناهجه كما نعرفها اليوم ، ونقدمها، واعادة صياغة قضاياهما الأساسية الكبرى في صورة متكاملة وترابط علمي رصين ومن خلال وسائل تعيد اليهما طاقتهما الذاتية وفاعليتهما المفقودة وتعيد عرضهما على الأمة في صورة واضحة وفلسفة دافعة مؤثرة ومناهج واضحة شاملة ، ووسائل عملية فاعلة تقوم في كل ذلك على قاعدة صحيحة متينة من عقائد الاسلام وقيمه ومنطلقاته

كما جاءت اصولها القرآنية والنبوية، وليؤدي الفكر الاسلامي دوره من جديد على وجه أشبه بفهم جيل الرواد وتفاعلهم مع عالمهم وطاقاتهم وامكاناتهم فيما واجههم من امور وتحديات.

وهذه الجهود الرائدة لبلورة منطلقات الفكر الاسلامي المعاصر ومناهجه تستدعي تمكنا من اصول الاسلام الكبرى وهي : الكتاب والسنة وعلوم الشريعة المتعلقة بهما وعلوم اللغة العربية ، وتاريخ الصدر الأول للاسلام، ودراية بقضايا العصر الحاضر ومعارفه ووسائله وتحدياته، وذلك لتوفير القدرة على النظر الفاحص الناقد الذي يستطيع ـــ في اداء معاصر ـــ أن يستهدف قضايا العصر وتحدياته ، وان يبلور غايات الاسلام ومقاصده وفلسفته الأساسية في كل مجال هام من مجالات الحياة والمعارف المعاصرة ، وأن يقدم تصوراً شاملاً متكاملاً منطقياً لما ألم بالفكر الاسلامي ومناهجه من ثلمات أدت به الى القصور والجمود ويبين أسباب ذلك ويوضح المفاهيم ويبين المؤسسات والتنظيمات والوسائل والاصلاحات الأكاديمية والتربوية والاجتماعية المطلوبة لتحقيق الاصلاح في واقع الأمة بحيث يستعيد الفكر الاسلامي دوره في توجيه جهود الأمة في الاعمار والحضارة .

فبلورة مفاهيم الاسلام الأساسية وفلسفته المتميزة في كل مجال مع مناهجه العلمية المتكاملة هي حجر الأساس الذي يجب ان يأخذ أولوية الانجاز في هذه المرحلة الأولية من مراحل التجديد والاصلاح. وهي الجهود التي يستهدفها المعهد في تجنيد طاقات القلة القادرة النادرة من العلماء والمفكرين الاسلاميين في هذه المرحلة.

هذه الرؤية الفلسفية المنهجية الاسلامية العامة هي التي يرجى أن تعطي ضوءاً كاشفاً أمام العلماء في كل حقل من حقول الدراسات العلمية من أجل اعادة صياغة مجالاتهم وفقاً للعقائد والمفاهيم والقيم

والغايات الاسلامية وتحقيق ما اسميناه باسلامية المعرفة في كل مجال من مجالاتها.

ان تواصل العمل ومتابعة التطبيق مع التقويم والمراجعة المستمرين سوف يزيد الرؤية وضوحاً وشمولاً ، وتتوالى جهود تطوير اسلوب عرضها ووسائله لتواكب حركة الأمة وتطوير قدراتها وامكاناتها وما تواجهه من تحديات الاعمار والحضارة.

ج ــ التمكن من التراث:

تمكين المثقف المسلم من أصول الفكر الاسلامي ونفائس التراث هو الدعامة الرئيسية لبناء اسلامية المعرفة . فليس من الممكن لجهود الأمة اليوم أن تؤتي ثمارها المرجوة في البناء والاعمار والحضارة الا أن يكون أساسها في المنهج والفكر أساساً سليماً. والمنهج والفكر السليم لا غناء فيهما اذا كانا قاصرين على عدد قليل من القوم تكونت قدراتهم بشكل عفوي وبمؤثرات خاصة. بل لابد ان يكونا منبثقين من كيان الأمة ومكوناتها الثقافية بحيث يتحولان الى سيل من ينبوع معارفها، ينهل منه كل متعلم ومثقف من ابنائها.

فإذا كانت اسلامية الثقافة والتمكن من أصول الفكر الاسلامي ومن نفائس تراثه أمراً لا يتمكن منه إلاّ بعض الأفراد من المفكرين والعلماء لأسباب خاصة بنشأتهم وطاقاتهم والظروف الاستثنائية المتاحة لهم فإن هذا وضع لا يحقق كثيراً في مجال اصلاح الفكر واسلامية المعرفة.

لابد لبلوغ الاصلاح وتحقيق اسلامية المعرفة ان تكون وسائلها في متناول المثقفين كافة وجزءاً طبيعياً في مجالات معارفهم وملكاتهم

العلمية ومناهجهم الثقافية . ومن أهم الوسائل الثقافية لتحقيق الاصالة واسلامية المعرفة هو تمكين المثقفين من اصول الاسلام ومن نفائس تراثه.

وخطة المعهد لتمكين المثقفين من أصول الاسلام ونفائس التراث وتيسيرهما لهم هي في جوهرها رسم الطريق وتقديم النماذج ودعوة العلماء والهيئات العلمية للمساهمة في انجاز هذه المهمة الهائلة.

والتراث المطلوب تيسيره وتبويبه على انواع ثلاثة:

النوع الأول: وهو نصوص أصول الاسلام الكبرى وهي القرآن الكريم والسنة المطهرة.

النوع الثاني: وهو آثار السلف الصالح من أصحاب الرسول ﷺ وسيرتهم وفكرهم ومنهج عملهم.

النوع الثالث: وهو فكر علماء الأمة ومفكريها وقادتها المصلحين على مر العصور وتأملاتهم في مختلف مجالات المعرفة. وهذه آثار على نوعين ، نوع من الكتب الموسوعية التي تتناول كل وجوه المعرفة بشكل استطرادي متداخل ومن أهمها كتب التفسير وشرح الحديث النبوي ، وكتب أخرى متخصصة في موضوع أو مجال بعينه ومن أمثلتها كتاب السياسة الشرعية وكتاب الأحكام السلطانية وكتاب الكسب.

ومن الواضح إن أي ادعاء بالقدرة على الأصالة الاسلامية وامتلاك ناصيتها وجعلها جزءا من كيان الأمة وفكرها وضميرها ومخيلتها وعطائها العلمي والحضاري لا يمكن أن يتم اذا كانت ثقافة المثقفين من رجال الأمة ومعارفهم تقوم في معزل عن أصول الاسلام

الكبرى وهي القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وعن الروافد الشارحة الموضحة من سيرة الرسول ﷺ وأصحابه الكرام وتاريخ الصدر الأول للاسلام.

أما خطة عمل المعهد فتهدف الى بذل الجهود العلمية المركزة لتحقيق أمرين:

الأمر الأول:

توفير الوسائل المساعدة لتسهيل تبويب التراث على نهج يتفق وتقسيمات المعرفة والعلوم الاجتماعية والانسانية المعاصرة وأهم قضاياها مما يسهل مهمة العلماء والمثقفين والمفكرين المشتغلين بالعلوم المعاصرة وقضايا المجتمعات في الرجوع الى التراث ووصل فكرهم وقضاياهم بمنابعه وغاياته وتوجيهاته.

كما ان تيسير التراث لا يقتصر على توفير الوسائل المطلوبة لتبويب التراث بل يقتضي أمراً آخر وهو تيسير فهم التراث وتيسير التعامل مع مادته المبوبة، الأمر الذي يقتضي العمل على تيسير جوانب المصطلحات التراثية ووضعها في صور وقوالب يسهل على عامة العلماء والباحثين والمفكرين التعامل معها والاستفادة منها وخاصة علم الحديث ومصطلحاته.

فلابد لتيسير التعامل مع التراث من تقديم المصطلحات التراثية بشكل موحد وبلغة واضحة ميسرة يتم على أساسها فهم النص ودلالته وحجيتّه دون كبير عناء.

الأمر الثاني:

القيام بتبويب نماذج من النصوص التراثية وتقديمها الى العلماء

والهيئات العلمية تسهيلاً للتصور والعمل في انجاز التبويب الذي يتناول كميات هائلة من كتب التراث الجيد المنتقى الذي كونته عقول الأمة على مر العصور والأجيال والذي يستوجب جهود أجيال من عمل علماء الأمة وباحثيها لاعادة نشر هذه الأعمال مبوبة ميسرة. والى جانب النماذج المبوبة فسيسعى المعهد الى تيسير جهود المعنيين بالعمل في مجال تبويب التراث الى التعريف بألف من أهم كتب التراث الجيد السليم الموسوعية وتوضيح أهميتها لمن شاء القيام بتبويبها.

الموسوعة التراثية:

وعمل المعهد في مجال التراث وتيسيره سيأتي باذن الله في شكل موسوعة علمية مكونة من عدة أجزاء ، وتقدم الوسائل والنماذج المطلوبة على الوجه العام التالي:

الجزء الأول:

يتناول وسائل تيسير التبويب وتتعلق باستخدام الحاسب الآلي وتسخيره لتسهيل العمل في التبويب وذلك بتكوين نظام مفاتيح في كل مجال من مجالات المعرفة المعاصرة يناسب ذلك المجال وبالاسلوب الذي يمكن الحاسب الآلي من استخلاص المادة الخاصة بذلك من الكتاب المقصود.

وبالطبع فان فصل المادة المطلوبة في كل مجال ولكل قضية بواسطة الحاسب الآلي سوف يوفر قدراً كبيراً من الجهد والوقت دونه يصعب تصور عمل واسع فعال في تيسير التراث. وقد بدأ المعهد بالفعل العمل لاعداد المفاتيح المطلوبة لتسخير الحاسب الآلي.

وباستخدام هذه المفاتيح سوف يصبح جهد العلماء منحصراً في

تدقيق المادة العلمية التي قام الحاسب الآلي باستخلاصها واعدادها للنشر أو التخزين على برامج تراثية باستخدام الحاسب الآلي.

والحاسب الآلي كما هو واضح سوف يساعد في وجوه ثلاثة:

١ ــ تسهيل تحقيق كتب التراث بتسهيل مقارنة نصوصها المختلفة.

٢ ــ تيسير استخلاص المادة العلمية التراثية في كل موضوع وقضية باستخدام مفاتيح كل علم ومجال وقضية علمية.

٣ ــ تخزين المادة العلمية التراثية المبوبة على شكل برامج يسهل رجوع الباحثين اليها.

ويلاحظ ان استخدام الحاسب الآلي لتيسير تبويب أعمال التراث لا يقتصر على تأليف نظام المفاتيح بل يقتضي أولا تطويع نظام الحاسب الآلي العربي الكترونيا لأعمال التبويب.

والمعهد يقوم ببذل الجهود مع شركات انتاج وتطوير الحاسب الآلى العربي لاحداث التطوير المطلوب ، والذي يتلخص بالدرجة الأولى في ادخال نظام التصوير الالكتروني والموجود فعلا في أنظمة الحاسب الآلي بلغات أخرى. وادخال هذا النظام الى الحاسب العربي سوف يسهل مهمة العمل في ادخال المادة التراثية المطلوب تحقيقها أو تبويبها ونرجو أن يتم ذلك قريباً وفي مدى زمني يواكب اكمال نظام مفاتيح التبويب.

الجزء الثاني:

ويتناول تيسير مصطلحات التراث وعلومه، وهذه تتناول في الأساس مجالات ثلاثة هي:

ــ مجال علم الحديث ونقد سنده ومتنه وتعديل وجرح رجاله والمصطلحات المستخدمة فيه.

ــ مجال مصطلحات علم الفقه وأصوله.

ــ منهجية علم التاريخ الاسلامي ومصطلحاته.

والمطلوب هو تقديم دراسات توحد المصطلحات وتيسرها وتشرحها وتوضح خلفياتها وتقدمها بأسلوب واضح ميسر منسق بشكل يسهل على الباحثين والمثقفين والمفكرين تداوله واستخدامه والقياس عليه وبناء الأحكام السليمة بمقتضاه.

وفي ضوء هذه الدراسات والصور الجديدة الميسرة للمصطلحات وفهم خلفيات المادة التراثية والمناهج التي سارت عليها واتبعتها فان عمل الباحث والدارس سيكون ميسراً وسوف تتوفر له بذلك منابع التراث بشكل صحيح سليم.

الجزء الثالث:

وتتناول فيه الموسوعة نماذج من كتب نصوص الاصول والكتب الموسوعية وتقوم بتبويبها واعداد المقدمات اللازمة لها التي توضح الخلفيات الضرورية لفهم النصوص المبوبة ونقدها كما تذيلها بالحواشي الشارحة والموضحة للمادة والمصطلحات التي تحتاج الى شرح أو تعليق ، وتلحق تلك الأعمال بالفهارس اللازمة والضرورية لحسن وسهولة استخدام تلك المادة.

الجزء الرابع:

وتقدم فيه الموسوعة دراسة لألف كتاب من كتب التراث تقوم

بانتقائها من كتب التراث وتنهل بها من الفكر الصحي السليم لعلماء الأمة ومفكريها من رجال السلف وتتجنب كتب فكر الانحراف والتخلف والغلو والتطرف الذي مثل أمراض الأمة وتدهورها وأفقدها شموليتها وتوازنها وجديتها وفاعليتها.

وفي هذا الجزء يتم التعريف بكل كتاب وخلفيته ومؤلفه وعصره ومنهجيته الأساسية والقضايا الكبرى التي يهتم بها ووجوه التبريز والابداع أو القصور والمآخذة على الكتاب مادة ومنهجاً وانجازاً مع تقديم كافة المعلومات التي تسهل مهمة الحصول عليه لمن شاء خدمته وتبوييه.

الجزء الخامس:

ويقصد بهذا الجزء من خطة العمل في خدمة التراث اصدار مجموعة سلاسل من الكتب التراثية المتخصصة في المجالات المختلفة، فالكتب التراثية كما سبق أن وضحنا ان منها ما هو موسوعي تسترسل فيه الكتابة وتتداخل مجالاتها، وهذه كتب لابد من اعادة تبويبها وفق مجالات العلوم والمعرفة المعاصرة. أما الكتب التي بطبعها اقتصرت على قضية واحدة أو مجال واحد فالأولى بهذه الكتب والأيسر هو اصدارها كاملة مع تحقيق جيد يسهل استخدام تلك الكتب.

والمعهد يعتزم ــ باذن الله ــ اصدار سلاسل من الكتب التراثية في مجالات العلوم والمعارف المختلفة تمثل نماذج لهذا اللون من الاصدار مكملاً لأعمال الموسوعة التراثية في توضيح طبيعة الجهود المطلوبة لخدمة نفائس التراث وتيسيرها لعلماء هذا العصر وباحثيه ومثقفيه.

والمأمول ان شاء الله أن يتمكن المعهد من أن يضع أمام المثقف

المسلم من خلال كتب هذه الموسوعة وما يصدر عنه وعن سواه من العلماء والهيئات العلمية الاسلامية من مجموعات أهم الكتب المتخصصة وغير المتخصصة مع ما يصحبها من دراسات نقدية وتحليلية توضح رؤية الأسلاف الاسلامية ومنهج بلورتهم لتلك الرؤية على عصورهم وعلاقة ذلك بقضايا تلك العصور والقوى المؤثرة فيها وكيف حركت تلك الرؤية أولئك الأسلاف وكيف ترجموها الى أعمال حضارية ومناهج تطبيقية في الأفعال والسلوك ، وكيف أعانتهم تلك الرؤية على حل ما واجهوه من مشاكل وصعوبات وتحديات.

اننا نرجو أن تضع هذه الموسوعة المثقف المسلم على طريق ممهدة الى التراث ليصل كل الى ما يريد في مجال تخصصه، اذ ستقدم له ــ في منهج موضوعي مألوف عنده ــ أفضل ما ساهم به التراث في مجموعة القضايا التي تشكل الموضوعات الرئيسية لمجال دراسته وتتخطى به نقص خبرته ودربته وعدم ألفه للغة التراث وكنوزه.

ومن خلال هذه الجهود العلمية المنهجية في التعريف بالتراث وتحقيقه وفهرسته وتبويبه وشرحه يصبح المثقف والعالم باذن الله مؤهلاً للإجابة على ثلاثة أسئلة هامة هي:

الأول: ماهي مساهمة التراث الاسلامي ابتداء من القرآن الكريم وانتهاء بالمجددين المسلمين المحدثين في جملة القضايا التي يثيرها هذا العلم؟.

الثاني: كيف تتطابق أو تتعارض مساهمات التراث الاسلامي مع ما أنجزه هذا العلم؟ وأين وصل التراث الى مستوى رؤية هذا العلم وآفاقه؟ وأين يتفق معها وأين يخالفها ويتميز عنها؟ وفيم تخطاها أو قصر عنها؟

الثالث: في أي اتجاه يحسن أن تبذل جهود المسلمين لكي تستوعب

الجيد من المعارف الحديثة ولكي تحدث التعديل المطلوب في مسار هذه المعارف لكي تؤدي أهداف الرؤية الاسلامية؟ وكيف يجب أن توجه جهود المسلمين لكي تواجه التحديات المعاصرة وتسد وجوه النقص وتعيد صياغة القضية وتوسع مدى الرؤية الاسلامية حتى تصبح الرؤية الانسانية الحضارية الحاكمة التي أرادها الله للناس في هذه الأرض؟

د ـــ التمكن من المعرفة المعاصرة:

تمكين الفكر الاسلامي والمثقف المسلم من استيعاب المعارف الحديثة أمر ضروري لتحقيق اسلامية المعرفة ، فانه اذا كانت قد تميزت أعمال التراث الاسلامي في مجالات دراسات الفطرة الاجتماعية والفطرة الطبيعية بالتأملات الفردية العميقة الا أن الفكر المعاصر غير الاسلامي بعد أن استوعب المعارف الاسلامية والمنهجية الاسلامية الاستقرائية والتجريبية دفع بها في قوة الى مجال دراسات الفطرة الاجتماعية والفطرة الطبيعية وانتقل بها من دور التأملات الفردية الى الدراسات المتعمقة المنظمة بمعايير ومناهج للقياس كون بواسطتها تراكمات هائلة تكون ما نعرفه لدى غير المسلمين من معارف وعلوم اجتماعية وانسانية وطبيعية وتطبيقية يعتد بها وتجني الانسانية كثيراً من حلو ثمارها ومره في كل مجال من مجالات الحياة.

وبهذه المناهج والعلوم وثمارها خاصة في مجالات التنظيم السياسي والتعليمي والاقتصادي والعسكري والتكنولوجي تمكن الغرب من احراز سبق هائل في البناء المادي الحضاري وفي غزو العالم الاسلامي سياسياً واقتصادياً وعسكرياً وثقافياً وحضارياً، وذهل المسلمون من جراء هذه الهجمة الساحقة وتسابقوا الى بلاد الغرب ومعارفه يطلبون

فيها العلاج لادوائهم والقدرة لضعفهم والانتصار لهزيمتهم، ورغم مر العقود والقرون فما زال عجزهم يتنامى ومعاناتهم في ازدياد ، لم يملكوا ناصية المعرفة والقدرة التي ينكفأ في طلبها أبناؤهم يوماً بعد يوم وجيلا بعد جيل رغم استظهارهم لها حرفاً حرفاً ، وكأنها شيء من نفائس التراث وعيون الشعر.

ومن أسباب هذا العجز عن بلوغ التحصيل المطلوب انهم يأخذون هذه العلوم والمعارف والتنظيمات في تجزئة وعلى علاتها دون تمحيص ولا غربلة ولا ادراك لما يخالطها من غايات وقيم ومفاهيم تتعلق بأصحاب تلك المعارف وقيمهم وغاياتهم وتكوينهم النفسي.

وهذه التجزئة والحرفية في منهجية معارفنا المتأخرة التي بها أخذنا في تلقي معارف الغرب هي التي منعتنا من القدرة على الدراسة العميقة النقدية الشاملة التي يمكن أن ندرك بها كليات معارف الغرب ولباب حضارته والفلسفة التي بنيت عليها والغايات التي تستهدفها والقيم التي تعكسها.

ولذلك لم نتمكن من ناصية تلك العلوم ولم نحقق القدرة الابداعية في مجالاتها وبقينا تبعاً وعالة على تلك المعارف لا يستقيم لنا صرح علمي ولا تزدهر لنا حضارة علمية ونعود نرسل الى بلاد الغرب وحواضر الغرب النابهين من أبنائنا جيلا بعد جيل وفوجاً أثر فوج.

وحتى يمكن ان نضع حداً لهذا العجز وهذه المرارة ، وحتى يمكن أن ننمي في كياننا طاقات المعرفة وقدرات الابداع فلابد لنا من استيعاب المعارف الحديثة وهضمها وتمثل طاقاتها المبدعة بشكل سليم. وهذا يتطلب أولا أن نعي وأن نزود بالفهم الشمولي والدراسة النقدية الموضوعية للحضارة الغربية أصلاً ومنبعاً وغاية وفلسفة وانجازاً.

ان القبول الجزئي الأعمى والرفض الشامل المتشنج لا يفيداننا شيئاً في مواجهة التحديات المعاصرة التي لا يمكن ان نتغلب عليها الا ان نتمكن من امكانات الحضارة الحديثة وطاقاتها ثم نتقدم الى ما ورائها مما هو أشمل في الدلالة وأزكى في العطاء.

هذا لا يعني اننا حين ندرس معطيات الحضارة المعاصرة ونتمكن منها اننا سنقوم بأعمال الدعاية وفتح الصدور للغزو الثقافي والمستعمر الأجنبي. ان التمكن من هذه الحضارة وطاقاتها العلمية والحضارية يجب أن يتم في الاطار الصحيح الذي يفتح العين ويوضح الرؤية على ما دانت به الحضارة المعاصرة للاسلام والحضارة الاسلامية ، هذه الحضارة التي بنيت انجازاتها العلمية والتكنولوجية على ما قدمناه لها من مفاهيم ومناهج وانجازات لم تكن معروفة قبلها مما يجعل هذه الحضارة تراثاً انسانياً المسلمون من بناته وأولى الناس بالتمكن منه وباستنقاذه وتناوله من جديد بالترشيد والاصلاح والتنمية . وفي الوقت نفسه يجب التنبه للشوائب العقيدية والاخلاقية التي شابت الحضارة الانسانية على يد غير المسلمين وتحولت الى عائق عن القدرة على التلقي المباشر المفيد منها. فالتقليد والتناقض العقيدي الذي يدخل على كياننا اذا لم نفهم معنى ما نأخذه عن غير المسلمين وننقيه من شوائبه ومستنقعاته سيزيد ويضاعف من عوامل ضعفنا وقصورنا وتمكين قوى التسلط والغزو من ديارنا وامكاناتنا .

وللمساعدة على تحقيق هذه النظرة الناقدة الشمولية للحضارة الغربية المعاصرة، يعمل المعهد على تقديم دراسات مسح شمولية للعلوم الحديثة، خاصة العلوم الاجتماعية والانسانية الأساسية، تبين الخطوط الأساسية لكل علم من تلك العلوم وقضاياها الرئيسية ومناهجها وانجازاتها العلمية وأهم الكتب والمصادر الأساسية له ، وأهم أوجه

النقد التي تتعلق به من وجهة نظر رجال ذلك العلم ومن وجهة النظر الاسلامية ، ويقدم مثل هذا مرجعاً أساسياً شمولياً يزود العالم المسلم في ذلك الحقل باحاطة شمولية ناقدة تمده بالقدرة والاستقلالية الفكرية الضرورية لأي نمو علمي ومساهمة فكرية اسلامية في ذلك المجال.

ويأمل المعهد بعد ذلك اصدار دراسة شاملة مختصرة هي خلاصات لتلك الدراسات تعرض الحضارة المعاصرة عرضاً شمولياً علوماً وتاريخاً وجذوراً وفلسفة وقيماً ومناهج ونقداً تحليلياً موضوعياً يزود العالم المسلم والمثقف المسلم بالنظرة الشمولية الاستقلالية ليس فقط تجاه القضايا والعلوم وانما تجاه الحضارة والغزو الحضاري وتساهم في اعادة بناء الشخصية الاسلامية العلمية وبلورتها واستقلاليتها .

ان تمكن العالم المسلم من ناصية العلوم الحديثة وبلورة وعيه الشمولي النقدي الموضوعي تجاه الحضارة المعاصرة ووصل جذوره بقيم الاسلام وغاياته وزبدة فكر اسلافه ونفائس تراثه أمر أساسي وشرط مسبق وأدوات ضرورية وأساسية لتملك ناصية الابداع الاسلامي والقيام بأداء واجب اسلامية المعرفة في فكر وعطاء علمي وحضاري اسلامي قادر يوسع آفاق الحضارة الانسانية ويزود الانسان بالقدرة على الخلاص مما يطبق على آفاقه من مخاطر وما يلاحق كيانه من مشاكل ومعضلات.

وخطة المعهد لتمكين المثقف المسلم من ناصية الثقافة المعاصرة تتألف من الخطوات التالية:

الخطوة الأولى:

استكتاب ثلاثة في كل علم أو مجال علمي اجتماعي عن العلم بشكل شامل في حدود ألف صفحة.

الخطوة الثانية:

يقوم عالم بمقابلة النسخ واستخلاص نسخة موحدة يستبعد فيها التكرار بكل ألوانه .

الخطوة الثالثة:

اعداد ملف علمي من تلك المادة مع مقدمة عن المشروع وغاياته في خدمة العالم المسلم للتمكين والمعرفة والشمولية والتعامل المستقل وأسس النقد الاسلامي، ويوزع هذا الملف على مكتبات الجامعات الاسلامية (حوالي ١٨٠ ـــ ٢٠٠) صفحة. ثم ينظر فيما بعد اذا كان هناك طلب يبرر طبع ذلك في كتاب واعداده للبيع.

كذلك لا مانع من محاولة الدخول في مشروع مشترك مع الهيئات العلمية لترجمته الى اللغات الاسلامية لتوسيع دائرة المعرفة والتمكن.

الخطوة الرابعة:

يكلف عالم متخصص بدراسة الملف والخروج بكتاب يتكون من بعض أجزاء المادة واختصارات لأجزاء أخرى ويقع الكتاب في حوالي ١٥٠ صفحة أي بحجم مقروء دون كبير عناء ، وليس القصد من هذا الكتاب التفصيل العلمي والفني بل يقصد به بالدرجة الأولى النظرة العامة والشمولية التي يستفيد منها الفني وسواه معرفة عامة وشمولية ايضاً مع ادراك لأسس النقد الاسلامي . ويطبع الكتاب ويترجم.

الخطوة الخامسة:

دفع العلماء المسلمين الى كتابة مقالات ومناقشات لقضايا هذه

الكتب وفكرة الشمولية وآثارها في الاستقلالية الفكرية كجزء من قضية اسلامية المعرفة.

الخطوة السادسة:

يقوم فريق علمي بكتابة كتاب كامل مقارن عن الحضارة الغربية ككل ، جذورها وأسسها الفلسفية وغاياتها ومنطلقاتها وخصائصها الزمانية والمكانية وتاريخها العام وانجازاتها ومناهجها ونقدها الغربي ونقدها الاسلامي. مع مقدمة توضح الغاية من الدراسة في الفهم الشمولي واستقلالية التعامل وفهم وجوه القوة والضعف ووجوه الاستفادة ومحدوديتها الزمانية والمكانية مع نظرة مقارنة موجزة مع فلسفة ومفهوم الحضارة الاسلامية واختلاف الغايات والجذور الفلسفية .

ويقوم الكتاب على الكتب السابقة عن العلوم الغربية مع بعض الكتب عن الحضارة الغربية عامة.

ويعتبر هذا الكتاب الزبدة والخلاصة في التغيير والاعداد الفكري للعقل المسلم ولشمولية العمل وموضوعيته وعرض الفكرة في أمثلة ونماذج وحديث محدد عن التاريخ والمنطلقات والمجالات والمنجزات

وتأكيد فكرة الاستعلاء العقيدي والأخلاقي الاسلامي وأثره في بدء التغيير الغربي والأسس التي يلبس بها ثم انهياره العقيدي والأخلاقي بعد نجاحاته المادية وبعد تأثره بالمؤثرات الاسلامية وتنكره لها — ووجوب الاستمساك بالمنطلقات العقيدية والاخلاقية الاسلامية أساساً ضرورياً للإنطلاق الحضاري واطاراً للاستفادة من الانجازات العلمية المادية والمنهجية الغربية.

ويكون هذا الكتاب في حدود ٢٠٠ — ٢٥٠ صفحة ليكون

مقروءاً وسهل الترجمة ان شاء الله.

هـ ـــ الكتب العلمية المنهجية:

وكما سبق ان ذكرنا فإن خطة عمل المعهد تقتضي المساهمة بتوضيح الرؤية ومساعدة رجال الأمة ومؤسساتها على البناء على أسس سليمة والسير على الطريق القويم وذلك بتقديم نماذج من الأعمال المطلوبة لاعداد العالم المسلم والمثقف المسلم واصلاح الفكر الاسلامي واقامة أسس العلوم الاجتماعية الاسلامية وتحقيق اسلامية المعرفة وذلك بتقديم نماذج من أعمال التراث تضم بطاقات مصنفة حسب تقسيمات كل علم من العلوم في مجالات اصول الاسلام (القرآن الكريم والسنة النبوية وآثار السلف)، ومن الجيد من نفائس التراث وذلك لاقامة الصلة بين المثقف المسلم وجذوره التراثية.

وكما سبق أن ذكرنا فان المعهد يعمل على اصدار دراسات شمولية نقدية للعلوم الحديثة والحضارة المعاصرة وذلك لتمكين المثقف المسلم من التمكن الواعي من ناصية العلوم الحديثة والحضارة المعاصرة وتحقيق الاستقلالية الفكرية والنفسية تجاهها.

والى جانب هذين المجالين وهذين النوعين من أنواع الأعمال الأساسية النموذجية فان المعهد يعمل على استكتاب المفكرين والعلماء المسلمين المتمكنين من التراث والمتمكنين من العلوم الحديثة الذين يتميزون بالابداعية والاستقلالية الفكرية مما يؤهلهم للعطاء في مجال اسلامية المعرفة.

والمقصود من عطائهم أولاً ريادة مجالات اسلامية المعرفة وارساء اركانها بتوضيح المنطلقات الأساسية الاسلامية وعرض قضايا العلوم

الحديثة ومناهجها الأساسية ودراستها دراسة مقارنة توضح الرؤية الاسلامية في تلك المجالات وكيفية معالجة قضايا ذلك العلم في ضوء المنطلقات الاسلامية واجراء دراسات نموذجية تطبيقية في تلك المجالات مما يساهم في تيسير الأمر للعلماء المسلمين في تلك المجالات ليدركوا المقصود باسلامية المعرفة والمطلوب منهم موالاته واستكماله ولينسجوا على منوالهم ويوسعوا دائرة البحث والدراسة فيما بدأوه وشقوا طريقه.

ومن هذه الأعمال العلمية الأساسية تتكون ثمرة الاستكتاب في شكل مقالات وأبحاث وكتب تتم من خلال التعاون مع دعوات المعهد وخطة ندواته ومؤتمراته ودورياته ونتيجة للتفرغ الجزئي أو الكلي الذي يتم في المعهد وباشرافه وحسب ظروف وامكانات كل عالم ومفكر وما يتوفر لدى المعهد من موارد لمن لا يستطيع حمل نفسه من العلماء.

وبتراكمات الأبحاث والكتابات وبتزايد وعي العلماء والمثقفين وانصرافهم لامتلاك ناصية مؤهلات اسلامية المعرفة يأمل المعهد ان يتمكن من انجاز كتب علمية منهجية في مجالات المعرفة المختلفة من منظور اسلامي رفيع أصيل.

فجهود المعهد في النهاية انما يقصد منها بلورة كتابات علمية منهجية تخدم الساحة العلمية الاسلامية كنماذج رائدة للكتابات المنهجية العلمية من منظور الاسلام ينسج على منوالها علماء الاسلام ومفكروه ومثقفوه وتصبح اسلامية المعرفة قضيتهم ومنوال ممارساتهم العلمية والفكرية.

و ــ أولويات البحث العلمي:

وأولوية المعهد في البحث والاستكتاب والتأليف خلال السنوات الخمس التالية ، هي كما يلي:

أولاً : علم المنهجية:

وهو أساس للعمل والبحث في كل علم عداه، فلابد من تمحيصه وتطويره واصلاحه ليأخذ الشمول الذي يتسم به الاسلام ويصبح متصلاً بمصادر الفكر الاسلامي في الوحي والعقل بشكل سليم، وليستفاد منه في قضايا الحياة واحتياجاتها الفكرية والتربوية والتنظيمية كافة.

ثانيا: العلوم السلوكية:

والمقصود بهذه العلوم علم النفس ، وعلم الاجتماع ، وعلم الانسان وأهمية هذه العلوم التي تجعل أولويتها تأتي مباشرة بعد علم المنهجية هو أن هذه العلوم تضم الأسس الفكرية التي تبنى عليها كافة العلوم الاجتماعية والانسانية ومنهجية العلوم الطبيعية ، فهذه العلوم وفرضياتها هي التي تحدد مفهوم الحضارة الحديثة لمعنى الانسان وغايته ومغزى وجوده وانجازه ، فكانت هذه العلوم في الجوهر هي التنظير في أصل كل علم اجتماعي، وان العلوم الاجتماعية والانسانية الأخرى انما هي تطبيق لتلك الفروض والمفاهيم والنظريات.

ولذلك فان اسلامية هذه العلوم وبلورة المفاهيم والمنطلقات الاسلامية في مجالات قضاياها الكبرى تحتل أولوية هامة في جهود اسلامية المعرفة ، وانجاز الكتب المنهجية الأساسية في مجالاتها أساس

لانجاز الكتب العلمية المنهجية في سواها من العلوم ، ودون ذلك تظل هناك حلقة مفقودة في اسلامية العلوم الاجتماعية والانسانية الأخرى لا تتم دون استكمالها.

ثالثاً: علم التربية وعلم السياسة:

ويأخذ العلمان أهميتهما في انهما يمثلان الحلقتين الأساسيتين اللتين تكونان كيان الأمة ، فالأول يمثل علم تنشأة الفرد والثاني يمثل علم بناء نظام الجماعة ، وهما من أهم وألصق العلوم بالعلوم السلوكية، ويمثلان تطبيقات مباشرة لفرضياتها ومفاهيمها كما يمثلان في نفس الوقت نقطة ضعف ووجه قصور ملموس في كيان الأمة الاسلامية، فواقع تكوين الفرد في الأمة الاسلامية وواقع تنظيمات المجتمع العامة في البلاد الاسلامية هي النقيض لكل ما يهدف اليه الاسلام ويأمله المخلصون ، وتمثل قاعدة الضعف والفساد والهدم في كيان الأمة الاسلامية ، ولذلك فمن المهم المبادرة الى اصلاح هذه العلوم وبلورة المفاهيم الاسلامية في مجالاتها ودراسة هذه المجالات بعمق وامتحان فرضياتها ووسائلها والعمل على ان يأتي التنظير والتنفيذ الاسلامي البديل علمياً محققاً للدعاوى والفرضيات التي نرفعها ونبني عليها.

رابعاً: علوم الاقتصاد والادارة والاعلام والفنون:

وهذه العلوم هي في مجملها وسائل هامة في تسيير حياتنا وتوجيهها تتكاتف مع ما سبق من مجالات في تكوين هيكل البنية الأساسية للمجتمع المسلم ، كما انها ترتبط معها برباط مفاهيم العلوم السلوكية مما يسهل مهمة العمل ويهون الجهد المطلوب لأسلمة هذه المجالات.

وقد بدأ المعهد جهوده في أسلمة هذه العلوم العشرة وبلورة المفاهيم الاسلامية الأساسية فيها بعقد المؤتمرات العلمية الدولية والحلقات الدراسية العلمية ، يجمع لها العلماء المسلمين من شتى بقاع الأرض ، كما بدأ أعمال الاستكتاب واصدار الأبحاث والمؤلفات في هذه المجالات التي بدأت تتوالى في أيدي القراء من العلماء والمثقفين. وخطة المعهد في هذا الجانب واسعة طيبة الثمار متعددة الجوانب بفضل الله ثم بفضل وعي العلماء والمفكرين والمثقفين وتعاونهم مع المعهد لانجازها تفهما منهم لأهمية قضية اسلامية المعرفة وأولوياتها في ارساء القواعد والمنطلقات.

ز ــ تكوين الكوادر العلمية:

من الواضح أن قضية أزمة الفكر الاسلامي ومنهجيته وقضية اسلامية المعرفة وازدواجية نظام التربية والتعليم وضرورة اسلامية هذا النظام وتوحيده هي ما تزال الى حد كبير حتى اليوم في الحقيقة مجرد فكر ورؤية.

كما ان من الواضح ان العناصر العلمية والمثقفة المستوعبة للثقافتين الاسلامية والمعاصرة والقادرة على الأداء والابداع في مجال الفكر الاسلامي واسلامية المعرفة عددها محدود، وأقل منه عدد العناصر الراغبة أو التي تسمح لها مسؤولياتها الحياتية بمزاولة العمل الفكري التعليمي التربوي في هذه المجالات .

ولذلك لابد للمعهد أن يبذل الجهود الممكنة كافة ، مستفيداً من سائر أقنيته ووسائله لاعداد الكوادر العلمية المطلوبة للقيام بالأدوار اللازمة لاسلامية المعرفة وايصالها الى الشباب.

وسبب اهتمام المعهد باعداد الكوادر العلمية الرغبة في تلافي الفشل

أو التخبط والقصور الذي ينشأ لا لسبب الفكر أو ضعف التصور ولكن بسبب عدم وجود الكوادر المطلوبة للأداء أو التقصير في اعدادها وتكوينها التكوين الصحيح المطلوب بالمواصفات والأعداد المطلوبة لحمل الفكر وتنفيذ المطلوب وهذا السبب كان في تصورنا من أهم أسباب فشل عدد من المؤسسات العلمية والتعليمية التي تبنت بشكل أو بآخر جانباً أو آخر من قضايا اسلامية المعرفة التي رفعت لواءها جمعية علماء الاجتماعيات المسلمين وذلك ان تلك المؤسسات لم تدرك أهمية تربية الكوادر العلمية بالشروط الصحيحة.

ولذلك فان المعهد لم ير مهمته قاصرة على مجرد البلورة الفكرية والدعوة والحوار والنشر ولكنه يرى انها تتعدى ذلك الى اعداد الكوادر العلمية المؤهلة المطلوبة لحمل طلائع الرسالة وأداء العمل الريادي المطلوب بكل الوسائل الممكنة.

وخطة المعهد في اعداد الكوادر المطلوبة تتم على عدة وجوه ومستويات هي : التفرغ العلمي والتفرغ التعليمي ودراسات الاستاذية وما بعد الدكتوراه والدراسات الجامعية والعليا والمنح الدراسية والاشراف على الرسائل الجامعية . ونوضح هذه الجوانب كما يلي:

أولا: التفرغ العلمي:

والتفرغ العلمي هو وسيلة هامة من وسائل اعداد الكوادر العلمية وتنمية قدراتها في وجه أو آخر من وجوه البحث والدراسة.ويبحث العلماء والدارسون عادة عن المراكز العلمية التي توفر لهم الخدمات المكتبية والأجواء العلمية لقضاء فترة تفرغ علمي كثيراً ما تكون فترة

صيف أو عام كامل ، وفي قاعات هذه المراكز يتم البحث العلمي وتدور الحوارات العلمية التي تترك أثرها في الأبحاث والدراسات التي يقوم بها هؤلاء الدارسون.

وبالطبع فان المعهد من خير المراكز العلمية التي يستطيع العلماء المسلمون قضاء فترات تفرغهم العلمي فيها لما توفره مباني المعهد ومكتبته من خدمات فنية جيدة للأساتذة المتفرغين من ناحية ولحسن اختيار الموقع في منطقة هامة آمنة على مقربة من عدد من أكبر مكتبات العالم وعدد من أهم الجامعات العلمية في هذا البلد ، ولما تتميز به المنطقة من اعتدال المناخ وسهولة الاتصال بكافة ألوانه بالداخل والخارج. ولوجود نخبة متميزة من الأساتذة الذين لهم قصب السبق في مجال اسلامية المعرفة وباع الريادة فيها.

وامكانية المعهد للتفرغ العلمي الذي يقوم به الأساتذة المسلمون بنفقتهم الخاصة أو بنفقة جامعاتهم ومؤسساتهم العلمية للبحث العلمي فيما يختص بقضايا اسلامية المعرفة تتسع لعدد وافر منهم ، ويستطيع المعهد أن يقدم إليهم ما يحتاجون اليه من خدمات مكتبية وفنية وحوارات علمية بشأن مواضيع بحوثهم العلمية التي تتصل بقضايا الفكر الاسلامي واسلامية المعرفة.

أما الوان التفرغ العلمي الأخرى التي تقتضي مساهمة مالية من المعهد بشأن توفير نفقات اقامة العالم أو المفكر وما اليها فان امكانية المعهد في توفيرها تتوقف على اهمية المشروع العلمي الذي يرغب العالم أو المفكر في القيام به ومدى أولويته لدى المعهد ومدى تأهيل المتفرغ للبحث الأصيل المبدع في مجاله الى جانب مدى توفر الميزانية المطلوبة لذلك التفرغ لدى المعهد.

والمعهد يأمل أن يتلقى من أصحاب القدرة من المسلمين ومن الهيئات الاسلامية المهتمة باسلامية المعرفة واصلاح الفكر الاسلامي الهبات والمنح الدراسية لتوفّر نفقات التفرغ العلمي للأساتذة في هذه المجالات.

ثانيا: التفرغ التعليمي:

وهذا اللون من الدراسة يقصد به خريجو الدراسات العليا الذين تحصلوا على درجة الدكتوراه وقد تم اعدادهم فنياً في حقول المعرفة التي تخصصوا فيها ويرغبون في استكمال قدراتهم في المعرفة الاسلامية من ناحية وفي الدراسة العلمية لمفاهيم اسلامية المعرفة على يد كبار الأساتذة الذين يضمهم برنامج المعهد.

وهؤلاء الدارسون يعد لهم برنامج دراسة علمية يتتلمذون فيه على يد عدد من العلماء العاملين في المعهد على شكل حلقات دراسية وقراءات وحوارات ومناقشات علمية يتم فيها استكمال إعداد هؤلاء الدارسين في جوانب المعرفة المطلوبة للتمكن من مصادر الفكر الاسلامي وقضايا ومفاهيم اسلامية المعرفة، ويقوم كل واحد منهم خلال ذلك باعداد عمل علمي تحت اشراف أحد هؤلاء الأساتذة في قضية من قضايا اسلامية المعرفة لتنشر في عمل علمي رائد في مجال اسلامية المعرفة.

وهذا البرنامج من أكثر البرامج فائدة وأقصرها في اعداد الكوادر العليا أمداً واسرعها نتيجة إلا أن الأعداد التي يمكن أن يتبناها المعهد تحدها امكانية المعهد في تقديم المنح الدراسية والتسهيلات اللازمة لتحمل نفقات هؤلاء الدارسين.

ثالثا: الدراسات العليا:

وهي أكثر الصور شيوعاً في اعداد الكوادر العلمية حيث يتم اختيار العناصر النابهة من الخريجين الجامعيين في مختلف الاختصاصات الاجتماعية والانسانية وضمها الى برامج للدراسات العليا يتم فيها صقل هؤلاء الطلاب في اختصاصاتهم وتنمية استعداداتهم . ويضيف المعهد الى البرامج برنامجاً اسلامياً يمكن هؤلاء الطلاب من مصادر الفكر الاسلامي والأدوات العلمية اللازمة لذلك ، ويساعدهم على فهم التراث الاسلامي واسهاماته، وحسن التعامل معه ، كما يمكنهم من مفاهيم اسلامية المعرفة بمختلف جوانبها وأدواتها العلمية على يد أساتذة المعهد ثم يعينهم على توجيه رسائلهم العلمية نحو خدمة اصلاح الفكر الاسلامي ومنهجيته واسلامية المعرفة في فروع تخصصهم وبذلك يتم تأهيل هؤلاء الشباب ليكونوا كوادر علمية ذات اختصاص رفيع تتميز بالقدرة والتفوق العلمي والمعرفة الاسلامية ، كما تجيء رسائلهم العلمية مساهمة في أعمال اسلامية المعرفة وبلورة مفاهيمها وتطبيقاتها العلمية المعاصرة.

وبالطبع فان المعهد يملك القدرة الفنية على انشاء هذه البرامج التي تشتد اليها الحاجة لا بسبب توجه المعهد نحو اسلامية المعرفة فقط ولكن ايضاً لتزايد الصعوبات أمام الشباب المسلم وتفاقم الضغوط العلمية عليهم لتبني مفاهيم أجنبية معادية لأمتهم تنبع من موقف تاريخي حاقد طامع في أمتهم لم تعد تخفى عليهم آثاره، كما يملي عليهم قضايا ومنطلقات كثيراً ما تكون ضارة بنموهم العلمي الاسلامي وبمصالح أمتهم الحضارية .

وقد قام المعهد العالمي للفكر الاسلامي بتسجيل معهد علمي

للدراسات العليا سيكون برنامجه ـــ باذن الله ـــ من أقوى وأفضل البرامج العلمية في مجال العلوم الاجتماعية والانسانية الى جانب مادته في اعداد الطالب في مجال الثقافة ومصادر الفكر الاسلامي وأدواته ومناهجه مما لا يتمتع به أي معهد علمي للدراسات العليا في هذا البلد ، كما سيتميز بما يختص به من الأساتذة العلماء والمفكرين الرواد في مجال اسلامية المعرفة الذين لا يتوفر نظائرهم في سواه من المؤسسات العلمية.

ويظل هذا البرنامج كما سبقه من البرامج يعتمد في شأن طاقته وتوسع أعماله على مدى ما يتوفر له من الموارد المالية لتقديم المنح الدراسية للنابهين من أبناء الأمة الذين لا يجدون النفقة اللازمة لمواصلة الدراسة.

رابعاً: الدراسات الجامعية الأولية:

يستوجب الاعداد الصحيح للطلاب وشباب الأمم والكوادر العلمية تغذية أبنائها بمبادئها وقيمها وفلسفتها واهتماماتها ومصالحها الحياتية منذ نعومة أظفارهم لكي تتغلغل هذه القيم والمفاهيم والمنطلقات في نفوس هؤلاء الأبناء وتصبح طبيعة في هؤلاء النشأ.

ولذلك كلما بدأ اعداد الطلاب في مرحلة أبكر من مراحل حياتهم كلما كان الأثر أعمق والجهد أيسر.

واقامة برنامج للدراسة الجامعية على أساس المنهج الاسلامي الذي يبني كيان المعرفة ومناهجها منذ البداية على أساس غايات الاسلام وقيمه ومصادر معرفته أمر طبيعي ومطلوب. ولا تقوم لأمة قائمة اذا لم تكن محاضن تربية أبنائها وتعليمهم في المرحلة الجامعية تمثل عقائد الأمة وغاياتها وفكرها ومنهجها واهتماماتها.

ولكن من الواضح ان البرامج العلمية المطلوبة لمرحلة الدراسة الجامعية في مختلف مجالات المعرفة على أساس المنطلق الاسلامي وعلى أساس منهجية علمية اسلامية أصيلة لا تتوفر اليوم وذلك لأن ارساء قواعد المعرفة الاسلامية العلمية الأصيلة لا يزال في بداياته ، كما ان الكوادر العلمية المطلوبة للأداء في تلك المستويات لم تتوفر بعد.

إن الأمل مستقبلاً ان تتسع امكانات المعهد للمساهمة في هذا السبيل مع بقية جامعات العالم الاسلامي ، وسيكتفي المعهد في هذه المرحلة بالمشاركة بارساء قواعد المعرفة الاسلامية والعمل على توفير الكتب المنهجية في مختلف مجالات المعرفة مما ييسر المهمة على الجامعات والمؤسسات التي تستطيع مواردها أن تمكنها من اقامة البرامج الدراسية الاسلامية لمثل هذه المرحلة.

خامساً: الكتب المنهجية الجامعية وأهميتها:

واذا كانت مزاولة التدريس الجامعي الأولى ليس مما يشغل بال المعهد في هذا الوقت فان خدمة هذه المرحلة من مراحل التعليم الجامعي تعتبر من أهم أولويات المعهد ، ومن أهم ثمرات جهوده المختلفة في الاعداد والتمكن من التراث والمعرفة الحديثة، وفي الاستكتاب والتفرغ والحوار والنشر والبرامج الدراسية خاصة توفير الكتب المنهجية وذلك في سبيل بلورة الفكر الاسلامي ومناهجه وجعل المعرفة الاسلامية حقيقة واقعة.

وأهمية الكتب المنهجية الجامعية لاصلاح الفكر الاسلامي واسلامية المعرفة لا تنحصر في انها كتب أساسية تدرس لمرحلة أساسية هامة في تكوين العقلية المسلمة وقدراتها العلمية والفنية ، بل تتعدى ذلك

الى تكوين نماذج منهجية علمية متكاملة ضرورية لوضع جهود اسلامية المعرفة على أساس سليم.

فالكتاب المنهجي الجامعي يعني في حد ذاته تصوراً متكاملاً دقيقاً وناقداً بشكل منظم ومنتظم في المجال العلمي الذي يتعرض له . وبذلك فالكتاب المنهجي الجامعي يعني في صورته الصحيحة الواسعة خطة أساسية متكاملة في بناء التصور العلمي والفكري المعاصر الذي يمثل أساس التصور الحضاري للأمة.

وهكذا ، فان المعهد باهتمامه البالغ بالكتاب المنهجي العلمي الجامعي لن يكون باذن الله غائباً عن ساحة هذه المرحلة الأساسية من مراحل التعليم الجامعي.

سادساً: المنح الدراسية والاشراف العلمي:

من أهم ما يجب التنبه له ــ في تشكيل مستقبل الأمة الاسلامية ومسيرة اصالتها الحضارية ــ ما يجري من تكثيف صياغة عقلية مثقفي الأمة الاسلامية وقياداتها الفكرية والسياسية والاجتماعية على نمط غربي في البلاد الغربية.

فبتأثير السيطرة السياسية على العالم الاسلامي واضطراره للتقليد والمحاكاة ، ولتخلفه الحضاري ، ورغبة في مواجهة التحدي، ورد كيد الطامعين ، لذلك كله ولغيره شحنت جموع الشباب والمثقفين ووجهت بأعداد كبيرة الى العواصم الأوربية خلال القرنين الأخيرين. وكانت أهم هذه المراكز هي لندن وباريس عواصم القوى الاستعمارية التقليدية الكبرى التي حكمت العالم الاسلامي من المحيط الباسفيكي وبحر الصين الى شواطىء المحيط الأطلسي.

ومنذ سيطرة الدولتين الأعظم أمريكا وروسيا في هذا القرن على مقاليد النظام العالمي تغيرت أساليب السيطرة والتوجيه وصاحب ذلك التركيز على السيطرة الفكرية والثقافية والاقتصادية واستخدام النظم السياسية لتحقيق مصالح تلك القوى في صراعاتها العالمية . وقد تحول مئات الالوف من مثقفي العالم الاسلامي وشبابه خارج الكتلة السوفيتية بوجوههم الى الولايات المتحدة وجامعاتها لتتكون منهم القيادات الفكرية والسياسية على نمط النموذج الغربي ومصالحه وغاياته واهتماماته.

وادراكاً من المعهد لهذه الحقائق الهامة كان لابد من الالتفات الى هذه الجموع من المثقفين وعونهم على الاستفادة الصحيحة من ارتيادهم للجامعات والمؤسسات العلمية في هذه البلاد وذلك باقامة مشروع للمنح الدراسية تكون مهمته الوصول الى الدارسين في المراحل العليا للماجستير والدكتوراه والعناية بهم من جانبين:

الأول: تجنيد العلماء المسلمين في الجامعات الغربية وسواها للمساهمة في الاشراف العلمي على هؤلاء الشباب وترشيد جهودهم العلمية ومساندتهم بكافة الوسائل لكي يستكمل هؤلاء الشباب الجانب الاسلامي اللازم لهم للتعامل الأصيل المستقل مع دراساتهم الغربية، ولتوجيه رسائلهم العلمية الى القضايا التي تهم الأمة الاسلامية، وتعين على تجلية رؤيتها . ولتكون وسيلة لعرض اسهامها الخلاق خدمة للانسانية ، ولاقتراح البدائل العلمية التي تمثل الرؤية الاسلامية لحل المعضلات التي تعاني منها ، ولتكون هذه الرسائل العلمية أيضاً وسيلة للاسهام في تناول قضايا الفكر الاسلامي ومعضلاته وتحقيق اسلامية المعرفة بدل ان تنحرف هذه الدراسات والرسائل لتكون وسيلة في

صياغة العقل المسلم صياغة غربية أجنبية بحتة ، وتطويع العقل المسلم للمصالح والغايات الأجنبية ، وتوفير المعلومات والاحصاءات لأصحاب الأغراض من الدارسين والهيئات الأجنبية.

والثاني: تقديم الدعم المادي للمتفوقين النابهين وأصحاب القدرات الابداعية من أبناء المسلمين الذين هم في فصول الدراسة أو الذين يتم اختيارهم للدراسة في المجالات ذات الأولوية لتحقيق أهداف الأمة والمعهد في اصلاح الفكر ودفع عجلة اسلامية المعرفة ، وتقديم البدائل الأصيلة في حل معضلات الأمة وقضاياها الهامة، أو توفير تخصصات بعينها يحتاجها بلد مسلم أو جالية مسلمة تتعثر مسيرتها وتتضاعف معاناتها لعدم وجود هؤلاء المتخصصين من أبنائها.

الفصل السادس

في الاحتياجات المالية

الوقف والاستثمار:

لاشك ان قصر المساهمة والعطاء في مجال الأعمال الخيريــة والخدمات العامة على الحكومات وعلى الجهود الرسمية بما لها من قيود سياسية وادارية وروتينية قد يحرم الأمة من مصدر هام من مصادر المبادرة والابداع ، وهذا المصدر هو مصدر المبادرات الخاصة لأعمال الخير والبر والاصلاح العام.

فالمؤسسات الخيرية التي تتصدى لأداء خدمة عامة وتصدر عن مبادرة خاصة أو فردية من أهم أنواع المؤسسات الاجتماعية التي تتحلى بها المجتمعات المستقرة المتقدمة وتتميز بها ساحاتها وترعى وجودها وتشجعه وتفسح لها المجالات كافة.

ونلحظ هذه الظاهرة واضحة في عصور ازدهار الأمة الاسلامية والحضارة الاسلامية ، فقد كانت الأوقاف الخيرية هي الصورة التي تتحقق هذه المبادرات الفردية من خلالها والتي يتم بها رعاية هذه المؤسسات الخاصة وتمويلها ودعمها.

والأوقاف لهذا السبب كان لها في الاسلام صفة مقدسة لا يصح المساس بها أو تحويلها عن غاياتها الخيرة . وكان المسلمون أفراداً وهيئات وحكاماً يسعون الى دعم هذه الأوقاف ورعايتها ورعاية

المؤسسات التي تخدمها بالتبرع السخي المستمر لها ، وكانت نفقة المؤسسات والخدمات التي قامت من أجلها يتم أداؤها من ريع هذه الأوقاف ، ولذلك بقيت هذه المؤسسات والخدمات التي قامت لرعاية العلم والصحة واليتامى والمساجد وسواها قروناً كثيرة في مختلف أصقاع العالم الاسلامي .

وبتدهور الأمة أخذت فكرة المبادرة الخاصة وتوفير الأوقاف الخيرية لهذا النوع من المبادرات تتراجع وتنهار وتتعدد السبل العامة والخاصة للعدوان عليها حتى اذا سيطر الاستعمار على بلاد العالم الاسلامي وانبثقت عنه عقليات وتصورات غربية معادية لقيم الأمة وتراثها كانت السطوة العارمة على تلك المؤسسات الاسلامية ونهب أوقافها والاستيلاء عليها بصور ومسميات متعددة أمراً لم يترك من هذه المؤسسات الا القدر الضئيل في كثير من بلاد العالم الاسلامي.

وتقف الأمة الاسلامية اليوم محرومة من هذا القطاع الهام وهذه المبادرات الابداعية المخلصة لتعاني من تآكل متزايد في بنيتها الحضارية بتزايد السطوة البيروقراطية البليدة المستبدة للادارات الحكومية عليها.

ولذلك لابد من تجديد رؤية الأمة في مجال الخدمة العامة وتشجيع المبادرات الخاصة وتنظيم الأطر الشرعية الوقفية بحيث تعود وسيلة للبذل والعطاء والرعاية لهذه المؤسسات من قبل كافة أبناء الأمة ورجالاتها.

والمعهد العالمي للفكر الاسلامي ما كان له ان يتجنب المعاناة التي تعاني منها كثير من هذه المؤسسات والمبادرات والخدمات الاسلامية وذلك لصعوبة الحصول على الموارد اللازمة لتمويل مبادراته ومشاريعه وخدماته.

وقد كان الدرس الذي استقاه رجال المعهد من طول معاناتهم في بناء المؤسسات الاسلامية التي شاركوا في بنائها أو سعوا الى عونها أن قصور الموارد المالية يجني على هذه المؤسسات أكبر الجناية اذا ما قام بناؤها ثم سعت لتسيير اعمالها من خلال التبرعات المطلوبة فقط، عاماً أثر عام لتغذية هذه الجهود.

فالتبرعات في عالم اليوم أصبحت محدودة وغير منتظمة، تستهلك جهوداً كثيرة من العاملين وتؤثر على نوعية النشاطات التي يقومون بها وكميتها وذلك لأنها تشغلهم بالأسفار الطويلة لجمع التبرعات لمؤسساتهم. اضافة الى ما يتبع تلك الأسفار عادة من بعثرة للجهود، وتبديد للطاقات القليلة النادرة .

ولقد أخذ رجال المعهد أنفسهم منذ البداية بسياسة جديدة في هذا المجال يتلافون بها تلك العقبات والآفات مستفيدين من الفرص المتاحة في هذه البيئة، والدعم الذي تقدمه القوانين والأنظمة للمبادرات الخاصة لتشجيعها على المساهمة في مجال الأعمال العامة الخيرية.

ولذلك فقد رأى رجال المعهد وكثير من المؤيدين لمهمته طرق مجال جمع التبرعات لاستثمارها وتوظيف مكاسبها الخيرية في أمريكا، لمشاريع المعهد المختلفة.

إنّ المعهد بهذه المناسبة ليدعو المسلمين المقيمين في أمريكا وخارجها من ذوي الأموال ، يسيرة كانت أو كبيرة ، ان يستفيدوا من تسهيلات الاعفاء الضريبي ، وان يتبرعوا بما يستطيعون من أموالهم الى الهيئات الاسلامية الخيرية كالمعهد والمساجد والمدارس والمراكز الاسلامية وغيرها من المؤسسات الضرورية للمسلمين في البيئة الأمريكية، فان معظم تلك التبرعات تحسم من ضرائبهم.

ان على الحكومات المسلمة والمستثمرين المسلمين في أمريكا أن يدركوا هذا الأمر ، وان يعملوا على تحويل ضرائبهم أو الجزء الممكن منها لخدمة دينهم وأبناء جلدتهم ومؤسسات المسلمين وفي مقدمتها هذا المعهد من أن تذهب تلك الأموال الى مؤسسات معادية للاسلام وتكون عوناً على المسلمين ووسيلة لانتهاك مؤسساتهم وحرماتهم ومقدساتهم.

الفصل السابع

ايضاحات لابد منها

في ختام هذه الرسالة عن رؤية المعهد في أزمة الأمة ، والوجوه اللازم إضافتها الى قائمة الأولويات الاسلامية ، وتوفير الجهود والمؤسسات اللازمة لها ، نود ان نوجز بعض الأمور وأن نركز القول حول عدد من القضايا الهامة التي تتعلق بهذه الرؤية وذلك كي يسهل توحيد التصورات وتضافر الجهود بين سائر المخلصين من رجال الأمة وعلمائها ومفكريها ومثقفيها، وذلك فيما يلي:

١ ــ الاسلامية:

إن من يدرك حال الأمة اليوم يعلم أنه دون تكامل الرؤية لن تحل أزمة الأمة ، وأنه لا يكفي التركيز على جانب من حياتها وقضاياها الهامة واهمال الجوانب الأخرى أياً كانت الرؤية أو الأسباب ، وانه علينا ان نتحلى بالذكاء والشجاعة وأن نتغلب في النهاية على الأسباب التي تمنعنا من استكمال عدتنا وتأهيلنا لبناء فرد ومجتمع وأنظمة حضارية اسلامية قويمة ، مادية كانت تلك الأسباب أو معنوية.

لقد ارتفعت في سماء الأمة لقرون عديدة شعارات كثيرة دخيلة لعل أهمها شعار ''التغريب'' وشعار ''التحديث''، وقد آن لنا أن نرفع اليوم شعار ''الاسلامية''.

هذا الشعار ينبعث من ضمير الأمة ومن صميم كيانها ولذلك يجب أن يكون شعار ''الاسلامية'' هو شعار الأمة وأبنائها وأن يكون رائد الأمة ودليلها المرشد ونجمها الساطع الوضاء. يجب ان تختفي نهائياً شعارات ''التغريب'' و ''التحديث'' ، لأن الأمة اسلامية العقيدة والنفسية والغاية والتاريخ ، ولأن شعار ''الاسلامية'' يحتوي ''المعاصرة'' و ''التحديث'' ولكنه يختلف عنها في أنه شعار مرشد يحدد الوجهة ولا يترك غبشاً في الرؤية أو مجالا للدس والتضليل. ''فالاسلامية'' لمن يفهمها ويعيها ويفهم الاسلام ويعيه في حقيقة هديه واصلاحه وسماحته وشموله يعلم ــ دون أدنى شك ــ أن ''الاسلامية'' هي بالضرورة ''المعاصرة'' و ''التحديث'' الدائب المستمر ولكن باتجاه اسلامي وغاية اسلامية وقيم اسلامية وهداية ربانية.

يجب أن يكون واضحاً أن ''الاسلامية'' هي شعار حق وعدل واعمار واصلاح لا يخص المسلم وحده ولكنه يمد ظلاله بالرعاية لكل كائن مخلوق وبالكرامة لكل انسان يمشي على وجه البسيطة.

إن ''الاسلامية'' هي نداء حضارة ربانية لهذا العالم الممزق المتناحر المهدد بالدمار، والمسلم الحق من خلال رسالته وتكوينه القيم الحامل للراية، وهو النموذج الفردي الشمولي الحق لحضارة الحق والعدل والأمن والسلام، حضارة العصر الجديد ، العصر الذي يتطلع اليه منذ أمد بعيد الحكماء والعقلاء وأصحاب البصائر والضمائر.

٢ ــ اسلامية المعرفة:

يجب أن يكون واضحاً ان ''اسلامية المعرفة'' هي جانب من جوانب ''الاسلامية''، ''فالاسلامية'' هي اطار قيمي حضاري

شامل للفرد والمجتمع ، للفكر والعمل ، للتعلم والممارسة ، للمعرفة والتنظيم ، للراعي والرعية ، للدنيا والآخرة ، يبتغي بها الانسان المسلم مرضاة الله سبحانه وتعالى بالحق والعدل والاعمار والاصلاح رضاً وسلاماً وأمناً ونعيماً في الدنيا والآخرة.

ان ''اسلامية المعرفة'' هي جانب أساسي وأولي في بناء ''الاسلامية'' يختص بالفكر والتصور والمحتوى الانساني القيمي والفلسفي وكيفية بنائه وتركيبه وعلاقاته في العقل والنفس والضمير. ولذلك ''فاسلامية المعرفة'' شرط أساسي مسبق لنجاح بناء الأمة الاسلامية ومفهومها في الحياة الاجتماعية في كل صورها الفردية والجماعية ، الفكرية والعملية ، العلمية والحركية على حد سواء ، ولذلك يجب ان لا تهمل ''اسلامية المعرفة'' وأولوية اداء حقها في زحمة معاناة الأمة على الصعيد السياسي والاقتصادي والعسكري. في الوقت الذي لا مفر فيه من الدفاع على المستويات السياسية والاقتصادية والعسكرية الا ان هذه المعارك هي مزيد من استنزاف طاقة الأمة اذا لم تقم الأمة ببذل المجهود والمطلوب لتطوير قاعدة طاقتها وهي طاقة الفكر واسلامية المعرفة، ولذلك يجب بذل جهود البناء والاصلاح لقواعد ''العقلية الاسلامية'' القويمة ومتطلبات وجودها ونمائها وذلك ببذل الجهود اللازمة لاقامة صرح ''المعرفة الاسلامية''.

و ''المعرفة الاسلامية'' أو ''اسلامية المعرفة'' تعني منهجية اسلامية قويمة شاملة تلتزم توجيه الوحي ولا تعطل دور العقل بل تتمثل مقاصد الوحي وقيمه وغاياته وتدرس وتدرك وتتمثل موضوع اهتمام الوحي وارشاده وهو الفرد والمجتمع الانساني والبناء والاعمار الحضاري وما أودع الله في هذه الكائنات والعلاقات من فطرة ومن

طبع وكيف توجه تلك الطبائع وتتفاعل وكيف تطوع وتستخدم وكل ذلك من أجل تفهم هذه الكائنات وعلاقاتها حتى يمكن تسخيرها لتوجيه الاسلام وغاياته .

''المعرفة الاسلامية'' تعني وتتمثل بالضرورة القدرات والانجازات العلمية والحضارية الصحيحة كافة ، تلك التي توارثتها البشرية وأنتجتها بعد أن تمحصها وتزنها بميزان الاسلام وشمولية قيمه وتوجيهه وغايته.

''المعرفة الاسلامية'' تعني معرفة ناقدة بصيرة تتمثل وتتمكن من كل معرفة صحيحة.

''المعرفة الاسلامية'' تعني معرفة تصدر عن قيم الوحي وغايات الرسالة وتتصل بكل صحيح ونفيس من تراث الأمة وفكر علمائها ومفكريها على مر العصور والقرون.

''المعرفة الاسلامية'' ليست ''قيماً وغايات'' فقط وليست ''تأملات فردية'' ، و ليست ''تاريخاً وتراثاً'' فحسب ولكنها سبيل لتكوين عقلية علمية منهجية في وجوه العلم والمعرفة الاجتماعية والانسانية والطبيعية والتطبيقية كافة.

''المعرفة الاسلامية'' هي معرفة علمية منهجية ، هي معرفة ربانية القيم والغايات في مصدرها ، عقلية في فهمها وبحثها ودرسها ونظرها في قضايا الحياة والنفس والمجتمع والبيئة والطبيعة والفطرة والسنن.

''اسلامية المعرفة'' هي اليوم على سلم أولوية الأمة أولوية آنية ، أولوية تستهدف تطوير منهجية الفكر الاسلامي وتطهيره مما اعتوره على مر العصور بعد الصدر الأول من انحرافات وفساد وعزلة وجزئية وجمود ، وأولوية تستهدف اعداد الفكر الاسلامي ومنهجيته بتراث

الأمة السليم ووصل شرايينه به كما تهدف الى تمكين الفكر الاسلامي من كل وجوه القدرة والمعرفة الانسانية السليمة في كافة مجالات الفكر والمعرفة أياً كانت اجتماعية وانسانية أو طبيعية وتطبيقية وذلك لتكوين أساس اسلامي معاصر سليم للعمل والجهاد في كافة المجالات الحياتية والحضارية.

أولوية ''اسلامية المعرفة'' واصلاح الفكر والمنهجية وتمثل التراث والمعارف المعاصرة لا تعني ايقاف العمل في مجالات العمل والاصلاح الحياتية الأخرى، ولكنها تعني اعطاء الاهتمام والموارد العقلية والبشرية والمادية اللازمة لكي يتم الاصلاح المطلوب في هذا المجال ليواكب الجهود والتضحيات والموارد الميسرة لجوانب البناء والاصلاح الأخرى والتي لن يستقيم أمرها ولن تتصاعد الطاقة التي تمدها اذا لم يصلح الفكر الاسلامي ومنهجيته.

المقصود بـ ''اسلامية المعرفة'': أن تواكب قدرة العقل والفكر والمنهج المسلم حاجة الأمة والتحديات التي تواجهها ، وأن تقدم لها الطاقة والزاد الفكري والرؤية والمناهج الفكرية والحضارية اللازمة لإنجاح مسيرة جهود بناء مرافقها وأنظمتها. فالأمة لاينقصها الاخلاص ولا القيم ولا الامكانات البشرية أو المادية ولكنها تحتاج إلى فكر سليم ومنهج متكامل قويم ورؤية واضحة تسير على هداها وتسعى إلى تحقيقها وتنشىء أبناءها على مقتضاها.

من المهم ان نتذكر وأن نتيقن أنه دون اصلاح الفكر والمنهج وتحقيق رؤية أصيلة واضحة فلن يستقيم جهد ولن ينجح عمل ولن تفيد تضحية . هذا ما نشأت عليه حضارة الاسلام ، وما قامت عليه الحضارات من قبل . وتاريخ المواجهة الأوروبية الاسلامية وكيف

واجهت فيها ضعفها وهزائمها أمام هجمة المسلمين العثمانيين وذلك بانطلاقها في أحلك ساعات المواجهة الى اصلاح فكرها وتمثل انجازات المسلمين الحضارية من خلال قيمها وغاياتها وتراثها هو تاريخ معلوم لنا ماثلة نتائجه أمامنا.

واذا كان لا يصح للمرء المسلم ان يتكرر عليه الدرس فلا يتعظ ولا يرعوي فقد تكررت الدروس والعظات والتجارب ، وآن لنا أن ندرك أولوياتنا وتكاملاتنا ، وان لا نهمل الأسس مهما كان الحاح الأحداث وهجمات التصدي التي تصرفنا عن اعادة بناء الطاقة التي يتولد عنها الجهد الصحيح بالقدر الصحيح في الاتجاه الصحيح.

ولوضوح الرؤية وسلامة المسيرة وقطع دابر سوء الفهم وقصور الادراك نود ان نؤكد لكل مخلص حكيم أن أولوية جهود ''اسلامية المعرفة'' لا تعني بحال من الأحوال تناقضاً أو الغاءاً لجهود الأمة الاسلامية في المجالات الحياتية المختلفة بل تعني التكامل معها والتداخل في أدائها وعلاقاتها يقوي بعضها بعضاً ويدعم بعضها بعضاً، ويستكمل بعضها متطلبات البعض الآخر.

ان المقصود بـ ''اسلامية المعرفة'' انما هو استكمال أدوات مسيرة الأمة في عملها الاسلامي وتوفير الطاقات والقدرات اللازمة لتسديد مسيرته وبلورة رؤيته ومنهجيته وعمله وجهاده في واقع الحياة المعاصرة بمتغيراتها وطاقاتها وامكاناتها وطموحاتها وتحدياتها المتعاظمة المتنامية.

''الاسلامية'' بمفهومها الشامل إطارٌ للحياة الانسانية والحضارة والاعمار البشري، وغاية كل نشاط وجهاد وعمل وتنظيم اجتماعي اسلامي ، غاية واحدة ومسيرة واحدة ولا يصح اهمال أي جانب منها أو التقليل من شأنه ، ولكن المطلوب اعطاء كل أولوية ما تستحقه من الرؤية والاهتمام ومن حاجات البناء والنمو وفق حاجات

كل مرحلة من المراحل وكل مهمة من المهمات التي تواجه الأمة.

فأولوية ''اسلامية المعرفة'' لا تلغي الأولويات الأخرى ولا الجهود الأخرى أياً كانت جهوداً سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو علمية أو عسكرية ، ولكنها تعني أن ''اسلامية المعرفة'' أولوية ماسة وحاجة ملحة يجب أداؤها في مقدمة الأولويات والحاجات وذلك استكمالاً للعدة ، وتبصيراً للرؤية وتجديداً للطاقة في البناء والقدرة في اللقاء.

٣ ــ أولويات عمل الأمة في انجاز خطة اسلامية المعرفة:

لكي تتحقق ''اسلامية المعرفة'' كاملة وتؤتي ثمارها يانعة هناك قواعد لابد أن ترسي وجوانب لابد أن تتم وتستكمل قبل أن نستطيع أن نقول : إن ''اسلامية المعرفة'' قد قامت وأصبحت فعلاً مؤسسة من مؤسسات المجتمع الاسلامي، تستطيع أن تمد الأمة بحاجتها من الفكر الأصيل والمعرفة المبدعة.

وقاعدة بناء ''المعرفة الاسلامية'': التمكن والاحاطة بمادة الأصول والنفائس التراثية والمعلومات الاجتماعية والتطبيقية المعاصرة ، كما يشمل التمكن من الرؤية الاسلامية ومنطلقاتها ومفاهيمها الفلسفية والمنهجية، ثم تتبع ''مرحلة العطاء والابداع'' وفيها تظهر وتزدهر مادة العلوم والمعرفة الاسلامية الحضارية ، وهذا معناه أن اسلامية المعرفة في مسيرة حياة الأمة ستمر بمرحلتين أساسيتين على النحو التالي:

أ ــ المرحلة الأولى:

أولاً: اتقان العلوم الحديثة:

واتقان العلوم الحديثة يعني أن الدارسين المسلمين للعلوم الحديثة

يجب أن يتقنوا هذه العلوم في قضاياها ومناهجها ، وأن تقدم اليهم بشكل شمولي يدركون به غايات هذه العلوم وظروف نشأتها وتطورها ونموها التاريخي ووجوه النقد التحليلي الموضوعي لهذه العلوم في اطارها الغربي وفقاً للمنظور الاسلامي الصحيح.

هذا الاتقان سيمكن المسلمين من القدرات والمعلومات التي أفرزتها الحضارة الانسانية حتى اليوم من جانب ، كما سيمد من ناحية أخرى الدارس المسلم بمعلومات ومناهج هامة لاقامة قاعدة فكره الاسلامي وتأصيله في الجوانب الحياتية الاجتماعية التي تمثل جوانب الفطرة الانسانية والواقع الحياتي والاجتماعي الذي هو موضوع الدراسة والتأمل والتوجيه والترشيد ، ومن ناحية ثالثة سيقضي التمكن الشمولي على الانبهار ويهدم أسوار التقليد ويفسح المجال أمام الانطلاق والابداع.

ثانياً: التمكن من التراث الاسلامي :

واذا كان القصد من اتقان العلوم الحديثة هو الاستفادة من هذا التراث الانساني وهضمه وتمثله بالاسلوب الصحيح لكي تكون العلوم ومعارفها في خدمة الفكر الاسلامي وفي خدمة الرؤية والغاية الاسلامية في هذا العصر، لذلك لابد للدارس أيضاً من أن يتمكن من أصول الاسلام الأساسية وهي القرآن والسنة، بأن يحيط بسائر النصوص المتعلقة بتخصصه ثم التمكن من التراث الاسلامي وذلك بعد غربلة هذا التراث واستخلاص الصحيح المفيد من عيونه وما يحتويه من الفكر الذي صدر عن روح الاسلام وغاياته لا عن الخرافات أو الانحرافات أو السفسطات الوافدة أو الأعراض والأمراض التي ألمت

بروح الأمة وفكرها على مر العصور، ويتحقق التمكن باستخلاص المختارات التراثية في كل مجالات العلوم والفنون والقضايا الحياتية المعاصرة وتيسير هذه المختارات وتحليلها ليتمكن الباحثون من ادراك وفهم أفضل لرؤية السلف الاسلامية، وكيف حرك ذلك الفهم نفوسهم فحولوا تلك الرؤية الى مناهج قويمة قادرة تنعكس في الأفعال وفي السلوك، مكنتهم من حل ما واجههم من قضايا وصعوبات حياتية، وفتحوا بها للحضارة والاعمار البشري على عصورهم آفاقاً جديدة ومجالات واسعة.

ب ــ المرحلة الثانية:

أولاً: تحديد المشاكل الهامة:

وقبل أن يتمكن العقل من الانطلاق والابداع لابد له من تحديد القضايا والتحديات التي يهدف الى مواجهتها وحل معضلاتها.

ولذلك يجب على العقل المسلم والمفكر المسلم ، حتى يتمكن من الابداع والمبادرة والعطاء ، أن يحدد في مطالع مسيرته طبيعة المشاكل والقضايا والتحديات التي تواجهها الأمة أو التي تواجهها البشرية ويطمع العقل الاسلامي في التصدي لها وحل معضلاتها.

وحتى يتم اطلاق عقال الابداع الاسلامي على هدى يجب أن يبدأ العقل المسلم بتحديد قضايا الأمة وأوليات هذه القضايا حتى تعطي رؤيته ثمارها الصحيحة، ومن المهم أن يدرك العقل الاسلامي ان مشاكل الأمة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ــ وهي مشاكل هامة بكل المقاييس ــ ليست في الحقيقة الا نتيجة والا جانباً يسيراً لمرض الأمة الكامن وهو غبش الرؤية الاسلامية المعاصرة وضمور أسس الفكر الاسلامي وتدهور مناهجه وما ترتب على كل ذلك من أمراض

ومن فساد وانحطاط وضعف في أداء الأنظمة وتأثير التربية والتزام الأخلاق.

كما أن على العقل المسلم تحديد المشاكل والتحديات التي تواجه الانسانية لأن المسلم وحده ـــ رغم تخلفه الحضاري اليوم ـــ هو الذي ينتمي الى الاسلام ولذلك فهو وحده الذي يملك القدرة على تقديم الاسلام الى الناس والتعبير عنه ، وابلاغ رسالته ، فالاسلام وحده الذي يمثل الأساس المؤدي الى الازدهار الديني والخلقي والمادي للبشرية في آن واحد ، وهو الذي يملك القدرة على اعادة بناء البشرية على الوجه الصحيح الذي اراده الله لها خلافة بالحق والاصلاح على هذه الأرض.

إن العقل المسلم والفكر المسلم مطالب بالتصدي للمشاكل التي تواجه العالم اليوم والعمل على حلها طبقاً للرؤية الاسلامية . ان الأمة التي تحمل الرؤية الاسلامية هي المتحدث الحق والوحيد في الأرض باسم البشرية البائسة التي ضاعت قضيتها بين الاستعماريين والثوريين وهي تسعى للتخلص من نيرهم. إن التعصب العنصري في كل مكان يدمر العلاقات التي تربط البشر بعضهم ببعض. أما البقية الباقية من الخير فقد تكفلت بالقضاء عليها الخمور والمخدرات والفوضى في العلاقات الجنسية والتدهور في اخلاقيات الأسرة والأمية والخمول والحكومات المستبدة وتكديس الأسلحة والعدوان الظالم على الطبيعة وتهديد التوازن البيئي على الأرض ، كل ذلك وغيره تستفحل شروره دونما رادع فعال من اي مصدر. ومن المؤكد انه ليس الا الاسلام والرؤية الاسلامية سبيلا الى حل هذه المشاكل فكراً وتخطيطاً وتنفيذاً. وفي تصدي الأمة لرسالتها وحمل مسؤوليتها تكون سعادة الأمة وسعادة البشرية ايضاً . ان حل هذه المشاكل ومواجهة هذه

التحديات والسير بالبشرية الى السعادة والازدهار في اطار من العدل والكرامة هو جوهر رسالة الأمة الاسلامية وأساس رؤيتها ومصدر التخطيط السليم لمسيرة الأمة في هذا العصر ومواجهة التحديات.

ثانياً: الابداع والمبادرة الاسلامية:

و ''الابداع الاسلامي'' و ''المبادرة الاسلامية'' أو تحقق ''الاسلامية'' في كيان الأمة ومسيرتها الحضارية في صورته الكاملة انما هو ثمرة التمكن و الاتقان ''للأصول و التراث و العلوم الحديثة بمنهج علمي تحليلي ناقد متكامل يقيم العلاقة الخاصة الصحيحة بين الرؤية الاسلامية و المنطلقات الاسلامية الصحيحة وبين الواقع الحياتي المعاصر بكل قضاياه ومشاكله التي حددها الفكر الاسلامي هدفاً لجهوده ومسيرته في الاصلاح والاعمار.

هذا الاعداد سوف يؤدي بالفكر الاسلامي الى ''المبادرة'' و ''الابداع'' وتقديم البدائل في واقع الأمة وواقع الانسانية الحياتي وما يواجهه من مخاطر وتحديات وبذلك يصبح الفكر الاسلامي في الموضع الصحيح قائداً ومعلماً في جميع مجالات الفكر والبناء الحضاري لسائر أمم الأرض ويكون محرراً ومصلحاً على صراط مستقيم.

إن على ''العقل المسلم'' المبدع والفكر المسلم الأصيل أن يستحث خطوات اعداده لكي يقوم بسد الفجوة التي ألمت بالبناء الحضاري الاسلامي عبر قرون التخلف ، ولكي يدفع بالعلوم والمعارف والاعمار والحضارة الى آفاق أبعد وأرحب مما بلغته الانسانية والمعارف الحديثة حتى اليوم.

على ''العقل المسلم'' ان يقدم الحلول والبدائل المبدعة وأن يحدد

المعايير الصحيحة التي تعبر عن الاسلام في شريعته وأخلاقه وثقافته وروحه ومقاصده ، وأن يتملك ''العقل المسلم'' و ''الفكر المسلم'' الوسائل التي تناسب كفاءة تلك المعايير في أداء المهام وأن يمارس استخدامها فلا يرتد الفكر الاسلامي انطوائياً خيالياً عشوائياً لا يملك القدرة الصحيحة على حل المشاكل والتصدي للتحديات وربط القيم والغايات الاسلامية بالواقع والممارسات والامكانات الحياتية.

وحين يكتمل الاعداد ويبلغ فكر الأمة مرحلة الابداع ، فلن تكون هناك نماذج من الكتب المنهجية الجامعية المجردة والكوادر والبرامج الدراسية فقط ، ولكن ستكون مسيرة عريضة وعطاءاً مدراراً يصدر عن الأمة بكل طاقاتها وعقولها وفي كل مجالات حياتها ، يمثل منهج أمة في العطاء والأداء ، لا فلتات أفذاذ تعجز الأمة قروناً عن انجاب أمثالهم.

٤ ــ أولويات خطة عمل المعهد:

من المعلوم ان مسيرة ''اسلامية المعرفة'' على مستوى الأمة في صورتها الكاملة لابد لها أن تمر بشكل أساسي في مرحلتين تشمل أربع جوانب كما سبق أن أوضحنا ذلك في الفقرة السابقة تحت عنوان: ''أولويات عمل الأمة في انجاز خطة اسلامية المعرفة'' وهذه المراحل هي ''مرحلة التمكن والاتقان'' و ''مرحلة الاستقلال والابداع''، وتتكون مرحلة التمكن والاتقان من جانبين هما جانب التراث وجانب العلوم المعاصرة. وتبتدىء ''مرحلة الابداع والاستقلال'' في تكامل الرؤية والمفاهيم والمناهج ثم تلقي عند ذلك ثمراً من الفكر النير والعلم النافع والعمل الجاد والبناء الشامخ والحضاري.

وما يصدق في أمر هذه المراحل بشأن الأمم يصدق أيضاً بشأن

طبيعة الأفراد والكوادر العلمية وفي بناء المناهج التعليمية وبناء أسس ''المعرفة الاسلامية'' . فلابد من تحلي الفرد والأمة بمؤهلات الابداع بالتمكن من التراث والمعارف الحديثة قبل ان يستطيع الفرد أو تستطيع الأمة أن تتحصل على ثمار العقل المبدع.

ولذلك يأمل المعهد أن تتكامل جهود العلماء المخلصين وجهود مؤسسات الأمة العلمية نحو إنجاز مرحلة التمكن والاتقان من الأصول ونفائس التراث وتبويبهما وتيسيرهما للدارسين وتقديم كل ما يتعلق بهما من الأدوات والوسائل التي تيسر التمكن من التراث والوصول اليه وهضمه وكذلك اتقان المعارف والعلوم الحديثة والتمكن منها في دراسات صور ونماذج ناقدة شمولية تعينهم على اتقانها وادراكها لا في حرفها وتفاصيلها فقط ولكن تمكنهم من ادراك كلياتها ومبانيها وغاياتها ومصادرها الأساسية بحيث تأتي دراستهم لها نافعة استقلالية مبصرة.

ويجب ألا تقتصر جهود اتقان العلوم الحديثة على الفئة المحدودة من المبعوثين الدارسين في البلاد الأجنبية الذين يجيدون بشكل محدود اللغات الأجنبية بل يجب أن يشمل الاتقان كافة كوادر الأمة العلمية والثقافية وذلك بتوفير الترجمة العلمية بالقدر المطلوب بحيث تصبح المعرفة العلمية متوفرة في أفضل صورها وأحدثها لجميع الدارسين والمثقفين باللغة العربية ولغات الشعوب الاسلامية، وكل ما يحتاجه ذلك هو قيام عدد محدود من مدارس تعليم الترجمة ومؤسسات الطبع والتوزيع بحيث توالي الترجمة العلمية كل جديد في كل حقل من حقول المعرفة، كما يجب تشجيع المبادرات الخاصة والتجارية في هذه المجالات حتى يتم استكمال شروط التمكن والتهيأة الصحيحة للابداع والعطاء على مستوى الأمة لا مستوى المصادفات اليتيمة لأفراد أفذاذ

لا يبقى من بعدهم من أثر بعد أن يطويهم التاريخ الا ذكر في قاعات الذكر والدرس وصفحات التاريخ والشمائل وعبارات المواساة والفخر.

وللاعداد لكل هذا والعون عليه والتمهيد له فان خطة عمل المعهد في الواقع لا تحد نفسها بهذا الترتيب في العمل ولا بتلك المراحل في السير.

فالمعهد يتصدى منذ الوهلة الأولى في خطته الى ارساء قواعد المفاهيم والمنطلقات والمناهج الأساسية للرؤية الاسلامية في ذات الوقت الذي يعمل فيه المعهد على الدعوة الى ''الاسلامية'' و ''اسلامية المعرفة'' والعمل على تحقيق الاتقان والتمكن في ميدان التراث والعلوم الحديثة وتهيأة الوسائل اللازمة لهذا التمكن.

وهدف المعهد من عمله في ميدان الاستكتاب ''المبدع'' هو ارساء قواعد المفاهيم والمناهج الأساسية للرؤية الاسلامية وذلك بالتفرغ واستكتاب الأفذاذ الذين كونتهم المبادرة الشخصية ومكنتهم في ذات الوقت من التراث ومن العلوم الحديثة، وهذه الكتابات والاسهامات الرائدة تمثل الضوء الهادي للجهود الفكرية لمسيرة بناء قواعد المعرفة الاسلامية نحو تحقيق الاستقلال والابداع وقطف ثمار الانجاز والعطاء.

وفي الوقت الذي يقدم فيه الأسس والعلاقات الهادية في مجال الرؤية الاسلامية ومناهجها فانه يعمل على انجاز الدراسات الأساسية المساعدة لجهود الاتقان والتمكن وتقديم النماذج الجيدة لتيسير الاصول والتراث ، والعروض الناقدة الشمولية للمعارف الحديثة وذلك حتى ينسج علماء الأمة ومفكروها ومثقفوها على منوالها في استقصاء المواد

والاعمال التي يجب تيسيرها وعرضها بالاسلوب الصحيح وبالقدر الصحيح حتى تصبح تلك الأعمال والوسائل في متناول يد العلماء والمفكرين والكوادر العلمية وجزءاً لا يتجزأ من ثقافة الأمة وحصيلة علمائها ومثقفيها وكوادرها العلمية.

والمعهد يعلم حقَ العلم أنه لن يستطيع وليس مطلوباً منه استقصاء كل تلك الأعمال فهي أعمال مناطها الأمة ومؤسساتها العلمية الخاص منها والعام، ومجال للمشاركة والمساهمة من كل فرد له باع في العلم والمعرفة وانما كل ما يقصد اليه المعهد هو تهيئة الأذهان وتمهيد الطريق وتقديم النماذج الملموسة الضرورية حتى يمكن أن تنطلق الأمة الى انجاز هذه الأولوية في اعادة تكوين بناء عقلية الأمة وتوفير الشرط المسبق اللازم لنجاح خطط رجالها ومؤسساتها وجهودهم وحتى يمكن جني ثمار ما يتحلون به من الايمان والاخلاص والكفاح والبذل والعطاء.

والمعهد ـــ لانجاز هذه الغاية ـــ يدعو ويحاور ويستكتب وينشر ويعلم وينسق ويتعاون وهو يتطلع الى كل عون ونصح ويرجو في كل ذلك من كل معنى مخلص أن يعينه على حمل أمانته وأداء رسالته .

ان المعهد يرجو من كل فرد ومن كل مؤسسة خاصة أوعامة ، أن تمد يدها للتعاون وان تأخذ زمام المبادرة للاتصال والمراسلة والزيارة ، واقامة جسور المعرفة والتعاون وتنسيق الجهود في سبيل تحقيق الغاية المشتركة في سبيل نصرة الحق واعلاء كلمة الله.

هذه هي رسالة المعهد ، وهذه هي غاية المعهد ، وان المعهد ورجاله على ثقة من عون الله ، وعلى ثقة من استجابة اخوانهم العاملين على نصرة الاسلام ، وعلى امل وطيد في استجابتهم للنداء وتعاونهم

بالجهد المخلص بما يحقق الغاية ، ويتم به التغلب على كل العقبات والصعاب باذن الله.

والله سبحانه وتعالى نسأل العون والهداية والتوفيق والسداد انه سميع مجيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الملاحق

من المهم أن نتبع هذه الرسالة عن تصورات المعهد الأساسية لمهمته ولخطة عمله بنبذة عما قام به المعهد في خطته الخمسية الأولى منذ تأسيسه القانوني عام ١٤٠١هـ الموافق ١٩٨١م ، وخلال العامين الأولين من بناء كيانه وفتح أبواب مكاتبه الدائمة للعمل ١٤٠٤ — ١٤٠٦هـ (١٩٨٤ — ١٩٨٦م) ، وذلك لمساعدة القارىء على تصور أكمل لمسيرة المعهد ومساعدة كل مخلص على أن يجد مكانه المناسب في العمل والتعاون والتنسيق والافادة والاستفادة نحو انجاز الغاية المشتركة في اصلاح الفكر الاسلامي وتطوير منهجيته العلمية تجديداً لطاقة الأمة وتمكيناً لها من وسائل الابداع والنجاح والبناء.

بالإضافة الى الملحق بمنجزات المعهد فان من المفيد الحاق أوراق العمل الخاصة باللقاءات العالمية الفكرية لاسلامية المعرفة التي دعى اليها المعهد أو الأجزاء الخاصة منها بالقضايا الفكرية المطروحة للبحث في اللقاءات لأن تلك القضايا المطروحة انما تمثل قضايا فكرية وعلمية ومنهجية هامة يرى المعهد أهمية معالجتها والكتابة العلمية فيها وحل معضلاتها وابداء رؤية اسلامية معاصرة فيها، وهذه القضايا بالضرورة ليس مما تحل في ندوة أو بحث واحد ولكنها تحتاج الى تقليب النظر ومزيد من موالاة البحث والدراسة فيكون الحاقها بهذه الرسالة فرصة متجددة للقارىء والباحث لموالاة الدراسة والنظر في تلك القضايا لمزيد من المساهمة ولمزيد من العمل على دراسة تلك القضايا وحل تلك المعضلات.

الملحق الأول

ورقة عمل اللقاء العالمي الثاني

ورقة عمل اللقاء العالمي الثاني

اقتبسنا من ورقة عمل اللقاء العالمي الثاني لاسلامية المعرفة المنعقد بالتعاون مع الجامعة الاسلامية باسلام آباد ــ باكستان للفترة من التاسع حتى الثاني عشر من ربيع الأول ١٤٠٢هـ الموافق الخامس حتى الثامن من شهر يناير عام ١٩٨٢ ما يلي:

١ ــ مقدمة ورقة الدعوة:

يدور موضوع المؤتمر حول محاور ثلاث ، الأول : توضيح المنظور الاسلامي الذي ستتم اسلامية العلوم من خلاله. والثاني : وضع استراتيجية وخطة عمل. والثالث : البدء في اختيار بعض العلوم ودراسة مناهجها من وجهة نظر الاسلام.

انك لمدعو لطرح ومناقشة أفكارك حول هذه المواضيع الثلاثة، اضافة الى ذلك فاننا نرجو منك أن تعد (بحثاً) في اسلامية العلم الذي تخصصت فيه اجابة عن الأسئلة المثارة في المفكرة المرفقة . اننا نفترض ان قضية اسلامية المعرفة كانت دائماً في ذهنك ولذلك فاننا نتوقع منك ان تجمع أفكارك حول المسألة وأن تكتبها وذلك لعرضها على اخوانك الأساتذة والمفكرين باذن الله . وبالطبع فانه بامكانك اعادة صياغة وكتابة بحثك وتقديمه للطباعة والنشر بعد المؤتمر ان شاء الله.

٢ ـــ ورقة العمل:

خطة متصورة للمساهمات الممكنة في مجالات العلوم

''الوضع الراهن للعلم'' ، ''تصميم المحتويات'' ، ''تحليلات نقدية'':

أعد بحثاً موجزاً عن المنهجية القائمة في مجال تخصصك متناولاً النقاط التالية بالمناقشة:

١ ـــ التاريخ:

كيف انتهى هذا الفرع الى تبني المنهج الذي يتبعه الآن؟ ما المؤثرات التي اثرت فيه وساعدته على الوصول الى المنهج الحالي أو تبنيه ؟ من هم المفكرون الكبار الذين حددوا الطرق المنهجية المتبعة في تخصصك ؟ ماذا قدم كل منهم مما يعتبر ذا اهمية للتخصص؟ وما المؤثرات التصورية أو الظروف التي أدت بأفكارهم الى أن تصبح جزءاً من المنهج ؟ هل هناك ما يمكن أن يستفاد به من تاريخ منهج البحث في تخصصك لرسم مستقبل هذا العلم ؟ اذا كان الجواب بالايجاب ، فما هو ؟ وكيف ؟ ولماذا ؟

٢ ـــ الطريقة:

ما التصنيفات الجوهرية لتخصصك ؟ كيف يحدد هذا التخصص قضاياه الأولية ؟ ما المواد التي تبنى منها تلك القضايا ؟ ما الذي يريد التخصص عمله في هذه القضايا ؟ كيف ؟ ما الذي يريد أن يحققه؟ مم تتكون أهدافه ؟ الى كم مدرسة من مدارس الفكر المنهجي ينقسم

تخصصك ؟ هل تختلف كل منها عن الأخرى ؟ وما وجوه الشبه بينها؟

٣ ــ المضمون والمشاكل:

كيف تسرد قوائم المحتويات لستة من الكتب الدراسية الأساسية الممثلة لهذا العلم ؟ (ونعني بها الكتب الدراسية التي يجب أن يبدأ بدراستها كل متخرج متخصص في هذا المجال) وكيف تفسر تنوعها أو وحدتها وتشابهها ؟ ما طبيعة مشاكل هذا العلم ؟ أعني مشاكله الدائمة فيما يتصل بالمؤلفين والموضوعات والقضايا الأولية والمجتمعات والقيم ؟ أهي مشاكل قابلة للحل ؟ وهل هذا رأي جميع المتخصصين؟ ما الحد الذي يرى هذا العلم انه ينتهي عنده ؟ وهل ذلك الحد هو حد للمعرفة الانسانية ؟

٤ ــ علاقة الاسلام بتخصصك:

اذا افترضنا انك قد فكرت طويلاً في الاسلام وكيف يتلاءم مع مجال تخصصك ؛ ففي أي اطار يمكن أن تضع أو تصنف هذه العلاقة؟ وأين يمكن أن نبحث عن هذا التلاؤم في غير المصدرين المثاليين : الكتاب والسنة ؟ هل علاقة الاسلام بهذا العلم موزعة بالعدل على تاريخه ومناهجه ومحتوياته ومشاكله ؟ أم أنها تختلف من جانب الى آخر؟ ما الأفكار الغالبة على هذا التلاؤم بحيث تعتبر شيئاً يتميز به تخصصك ؟ هل يمكنك ان تقدم بعض الأمثلة التي تراها نماذج واضحة في مجالي الملاءمة الاسلامية وفرع التخصص ؟ هل يعتبر تخصصك الآن فناً ؟ أم علماً ؟ أم ثقافة عامة ؟ ما الذي تتوقع من تخصصك أن يسهم به في سعادة البشرية على الأرض وكيف ؟ وهل هو كفء لأداء هذا على وضعه الراهن؟

الملحق الثاني

ورقة عمل اللقاء العالمي الثالث

ورقة عمل اللقاء العالمي الثالث

اقتبسنا من ورقة العمل للقاء العالمي الثالث في قضايا الفكر الاسلامي المنعقد بالتعاون مع وزارة الثقافة والشباب الماليزية في الفترة ما بين الخامس والعشرين من شوال حتى الأول من شهر ذي القعدة عام ١٤٠٤هـ الموافق الرابع عشر من شهر تموز (يولية) عام ١٩٨٤م ما يلي:

١ ــ من مقدمة ورقة الدعوة:

''إن ما تعانيه أمتنا الاسلامية من أزمات شملت سائر جوانب حياتها ، وتفاقم هذه الأزمات وتكاثرها على الرغم من المحاولات المختلفة لمعالجتها ، صار يفرض على العقلاء مزيداً من التدبر والنظر والمعاناة لتحديد الأسباب الحقيقية الكامنة وراء تلك الأزمات الخانقة المهلكة. وان الدراسة الجادة لطبيعة الأزمات ، وأساليب الحلول التي طرحت للمعالجة واستلهام وقائع التاريخ وعبر أحداثه لتشير بشكل واضح الى أن أزمة الأزمات ، وعلة العلل هي الأزمة الفكرية التي جعلت أمتنا تتخبط في المتاهات ، وكان هذا هو الحافز لاخوانكم لعقد جملة اللقاءات العالمية لمجموعة من المفكرين المسلمين للنظر في هذه الأزمة ، والعمل على وضع الحلول اللازمة للبدء بمعالجتها.

والذي نطمع ان يتحقق في هذا اللقاء العلمي هو الامور

الأساسية التالية:

١ ــ وضع خطط الاصلاح لأسس العمل الفكري ومناهجه وأولوياته المقبلة.

٢ ــ دراسة وتمحيص الجهود والأبحاث التي أنجزت ، أو التي سيعدها المشاركون في هذه الندوة وتقويم المراحل التي تم التوصل اليها في مجال ''اسلامية المعرفة'' ومعالجة ''الأزمة الفكرية '' من خلال تقديم أبحاث ومرئيات مبدعة.

٣ ــ وضع خطط تفصيلية لعمل المعهد خلال الخمس سنوات المقبلة.

٢ ــ ورقة العمل :

خطة الاصلاح في مجال العمل الفكري الاسلامي

ان الحاجة ماسة الى مزيد من العمل لاعطاء الرؤية الواضحة في هذا المجال ليكون الاطار والأساس الذي يبنى عليه أي عمل في مجال البحث العلمي وخطط البناء الاجتماعي.

ان العمل في اسلامية المعرفة اذا بني على منطلقات خاطئة من المبادىء والقيم العقيدية أو التصورات والمفاهيم الفكرية أو في منهج المعرفة لابد أن ينتهي الى جهود فاشلة وثمار مرة. فالمطلوب اذن تقديم بحوث أساسية في قاعدة فكر الأمة وهو ''جانب العقائد'' تجيب عن التساؤلات التالية:

ــ هل يعتبر الادراك الاسلامي المعاصر في هذا المجال صحيحاً؟

ــ هل يعد التمثل الاسلامي المعاصر للقيم الاسلامية في

كلياتها وتفاصيلها وعلاقاتها القرآنية وتناسبها صحيحاً؟

ـ هل يعتبر اسلوب تقديمها كما هي بين أيدينا اليوم في مختلف المجالات صحيحاً يمكن من البناء ، ويعطي النتائج المتوقعة المرجوة من مجمل هذه القيم والمبادىء؟

ـ هل تعتبر التطبيقات المبنية على أساس من هذه القيم والمبادىء صحيحة؟

ـ هل يعتبر فهمنا للتاريخ الاسلامي ودلالاته ومؤسساته من الناحيتين الايجابية والسلبية صحيحاً؟

ـ ما هي الأسباب التاريخية والمعاصرة للقصور والانحراف في فكر الأمة الاسلامية ؟ وكيف يمكن التغلب عليها؟ وما هو المطلوب الممكن في هذا المجال؟

ـ هل يعتبر قصور الدراسة الفنية في المجالات المختلفة للدارسين الاسلاميين مسؤولاً عن معاناة القصور في التطبيق؟

ـ هل يوجد ضعف في ادراك العلاقات العضوية بين الفرد والمجتمع وبين مختلف مؤسسات ومكونات المجتمع وتأثيرها المتبادل في حركة المجتمع؟

لو كانت اجاباتنا عن هذه التساؤلات صحيحة لكان لدينا اليوم كل المقومات اللازمة لقيام مجتمع اسلامي حضاري كامل متكامل ولما أصبح واقع الأمة على هذا الحال الذي نعيشه . ومن هذا المنطلق لابد أن ينصرف الجهد الى اعادة النظر العلمي في كل هذه المجالات واعادة فحص كثير من المسلمات حتى نتمكن من تلافي القصور ، واصلاح الانحراف بشكل يؤدى الى تمثل صحيح للقيم.

فلابد من اعادة النظر في منهج نقل القيم ودلالاتها وعلاقاتها وأسلوب عرضها وتقديمها والآثار المطلوبة منها.

الأبحاث في اسلامية المعرفة

ان العلوم المقترح التركيز عليها في الأبحاث التي تعد لهذا اللقاء هي:

١ ــ الاقتصاد
٢ ــ الاجتماع
٣ ــ علم النفس
٤ ــ الفلسفة
٥ ــ التربية.
٦ ــ العلوم السياسية والعلاقات الدولية
٧ ــ علم الانسان

وينتظر ممن يتقدم للندوة ان يجيب عن الأسئلة التالية كل في مجال تخصصه:

أ ــ كيف يمكن تطبيق المبادىء العامة لاسلامية المعرفة على مجال تخصصكم والمضمنة في كتاب المعهد باللغة الانكليزية والذي أرسل اليكم بالبريد البحري (اسلامية المعرفة: المبادىء العامة وخطة العمل ، واشنطن دي سي ١٤٠٢/١٩٨٢ ، ص ٢٢ ــ ٣٨).

ب ــ كيف يؤثر تطبيقها على المستوى النظري وطرق البحث في مجال تخصصكم ؟

ج ــ ما هي النتائج المتوقعة لتطبيقها من حيث تحجيم أو توسيع المعرفة ؟

د ــ ما امكانية اسهامها في تكامل المعرفة الاسلامية ؟

هـ ــ ما هي الثمار المتوقعة للثورة المعرفية الحالية في التخصص المعني ؟

و ــ ما هي الخطط المنظورة التي تم وضعها (لفترة خمس الى عشر سنوات) لتحريك تخصصكم في اتجاه المعرفة؟

بالاضافة لذلك فاننا نود ان نستعرض الموضوعات التالية في ندوة عام ١٩٨٤م وذلك لأهميتها الاستراتيجية في اسلامية المعرفة بصورة عامة، والمطلوب تقديم بحوث ومساهمات فيها:

١ ــ ما هي اسهامات الفكر الاسلامي في فرع المعرفة المذكور خلال المائة سنة الأخيرة؟ تتطلب الاجابة على هذا السؤال استعراض جميع الأعمال (مقالات ، بحوث ، كتب) وتصنيفها موضوعياً وتقويم محتواها واسهاماتها تقويماً ناقداً يقود الى معرفة الوضع الراهن في الصالح الاسلامي.

٢ ــ ماذا قدم التراث الاسلامي الفكري لذلك القطاع من المعرفة الانسانية أو الجوانب التي يسعى الآن فرع تخصصكم الحديث لتغطيتها ؟ علماً بصعوبة استقصاء التراث الاسلامي، هل يمكنك ذكر بعض الأبواب الهامة التي يمكن اعتبارها ضرورية للفرع المعين ؟ هل يمكنك تصنيف وتقويم محتوياتها تقويماً نقدياً؟

٣ ــ على اعتبار ان الانجازات التي تمت في مجال الفقه وأصول الفقه هي أعظم تعبير عن الروح الاسلامية في تاريخ الأمة ، لذلك فان الشرح والتوضيح المطلوب من فرع المعرفة المعين لا يمكن أن يتم الا بالاعتماد على التراث الاسلامي والذي تمثل فيه انجازات الفقه وأصول الفقه مكان القلب من الجسد. ما هو نظام الفهرسية أو التصنيف أو البرمجة الآلية التي تمكن الباحث من الاستعراض أو الاسترجاع السريع للمعلومات المضمنة فيها ؟ هل تم استحداث أو اتباع أي نظام في هذا المجال؟ وما هي حصيلته من النجاح؟

الملحق الثالث

ورقة عمل اللقاء العالمي الرابع

ورقة عمل اللقاء العالمي الرابع

مختصر لورقة عمل اللقاء العالمي الرابع لاسلامية المعرفة المزمع عقده باذن الله في الفترة الواقعة ما بين ٢٥ ذي القعدة الى ١ ذي الحجة ١٤٠٦هـ الموافق ١ ـــ ٦ أغسطس ١٩٨٦م.

كان المعهد قد أعد ورقة عمل فكرية شاملة تناولت أهم اشكاليات وقضايا المنهج والعلوم السلوكية والتربوية بيّن فيها المنطلقات الأساسية والقضايا الجوهرية التي يستهدف معالجتها في حلقات دراسية محلية ومؤتمرات وندوات علمية.

كما أوضح فيها المنطلق الفكري لخطة العمل في معالجة الأزمة الفكرية واسلامية المعرفة كأبرز انعكاس لها. ولما كانت الورقة المذكورة قد نشرت مستقلة وضمن مجلة المعهد (المجلة الأمريكية للعلوم الاجتماعية الاسلامية) باللغتين العربية والانجليزية. كما نشرت ملخصات لها في كثير من المجلات الاسلامية ، وأرسلت ضمن بطاقات الدعوة والاستكتاب لآلاف من العلماء، لذلك فاننا نقتصر على الموضوعات الأساسية التي لخصت القضايا والنماذج لينحو العلماء نحوها ويعالجون ان شاءوا أية موضوعات ذات علاقة بجوهريات هذا البحث ، وفيما يلي بعض العناوين والقضايا التي اقترحت الورقة عرضها وبحثها في ميدان المنهجية الاسلامية والعلوم السلوكية والتربوية:

أولاً: المنهجية الإسلامية

الفحوى والوسائل والتطور التاريخي وسبل الاصلاح

١ ــ منهجية الصدر الأول : دراسة مقارنة في الشكل والفحوى

عناصرها ، فحواها ، سماتها ، مدى ملائمتها لعصرها وأسبابها، نتائجها، ايجابياتها وسلبياتها ، مدى ملائمتها للعصر الحاضر ، وجوه التطور المطلوب لملاءمة الحاجة الى التنظير لتطورات وإمكانات وقضايا العصر، مفهوم مقاصد الشريعة وتطبيقاته في منهجية الصدر الأول، استخدامات النصوص بين منهج الصدر الأول والمنهجية المدرسية في العصور اللاحقة.

٢ ــ القيم والمسلمات والفرضيات الأساسية للمنهجية العلمية الإسلامية:

فحواها ، طبيعتها ، مدارسها ، تطورها ، التأثير الكلامي عليها، ايجابياتها وسلبياتها ، الحاجة الى تطويرها وأسبابه ، وجوه التطوير المطلوب ، شروط التطوير المطلوب ، آثار التطوير المطلوب ، تأثير التقدم العلمي المعاصر على فهمها وصياغتها ، أسلوب تقديمها التربوي والتعليمي وشروطه وآثاره ، طرق قياس سلامة أدائها.

٣ ــ وسائل المنهجية الإسلامية : دراسة مقارنة

وسائل المنهجية في العصور المختلفة وتطوراتها ومدارسها، دورها في التقدم العلمي والحضاري ، مواكبتها للتغيرات والتطورات، علاقتها بالجمود العلمي والعزلة والمحدودية العلمية للمدرسة الشرعية المعاصرة، امكانات عطائها ومساهماتها ، الوسائل العلمية والمنهجيات العلمية

الحديثة ووجوه الاستفادة منها في تطوير المنهجية الإسلامية الحديثة، وجوه تأصيل التطور المطلوب من آفاق المنهجية الإسلامية وتطبيقاتها العلمية ، وجوه تأثير المنهجية الإسلامية على المعرفة والبحث العلمي المعاصر والتعليم الاسلامي، مسئولية تطوير المنهجية والخطوات المطلوبة، وجوه وأساليب التوعية على الآثار المترتبة على المنهجية، منطلقات ووسائل وآثار ذلك على المعرفة والعلم والتنظيم الاجتماعي، وسائل تقريب وجهات نظر الشرعيين والمدنيين في قضايا المنهجية الاسلامية وآفاقها وميادين عملها وتطبيقها وأساليب صياغتها وتطويرها .

٤ ـ المنهجية الاسلامية : الشمولية والتنظير والتنظيم الاجتماعي

المنهجية الاسلامية وتحقيق الشمولية الحياتية ، العلاقة المنهجية لعلم الكلام (العقيدة) وعلم الفقه وعلم السياسة والامامة (لتنظيم الاجتماعي) وأثر ضعف العلاقة المنهجية لعلوم العقيدة وعلوم التنظيم الاجتماعي على التنظير الشمولي والفكر التنظيمي والمبادرات التنظيمية الاجتماعية، المنهجية الاسلامية ووسائلها في تحقيق التنظير الشمولي والتطور المطلوب لتحقيق التنظير والشمولية لضوابط المنهجية للخلافات الفكرية، العلاقة المنهجية والاطار المنهجي بين الرأي والفتيا والتقنين والشريعة.

٥ ـ المنهجية الاسلامية والمبادرة والمعرفة العلمية :

البحث عن مصادر المعرفة الاسلامية وعلاقتها بالواقع الانساني، الوحي كمصدر للتنظيم الاجتماعي ، العلاقة بين الوحي والعقل ، وسائل المنهجية لتأصيل توجيه الوحي من الوعي المعرفي الانساني ،

الوحي كمحرك للعقل لتفهم المعرفة الالهية والحصول على المعرفة العملية التطبيقية ، دور المنهجية الاسلامية في توليد فكر المبادرات التنظيمية الاجتماعية، العلاقة التطبيقية بين الوحي والعقل في المنهجية الاسلامية ، طبيعة العلاقة الذاتية التبادلية في المنهجية الاسلامية بين الوحي والعقل وبين الثابت والمتغير، بين القيم والمبادىء والتنظيم الاجتماعي والمنهجية الاسلامية وضوابط سلامة المعرفة المستقاة من الاستنباط الشرعي والاستقراء العقلي، المنهجية الاسلامية والتطور والتجديد الحضاري.

ثانياً: في العلوم السلوكية:

١ ــ دراسة مقارنة في الفرضيات والمفاهيم الأساسية عن الانسان وطبيعته بين شمولية الاسلام وجزئية المذاهب الفلسفية الانسانية الكبرى وأثر ذلك على ميادين الدراسات السلوكية والاجتماعية المعاصرة ونتائج دراساتها.

٢ ــ دراسة مسحية لنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية وتوجيهاتها في مفهوم الانسان وطبيعته وعلاقاته وتنظيماته الاجتماعية.

٣ ــ دراسات علمية ميدانية وتجريبية اسلامية بشأن المفاهيم الاسلامية في بعض القضايا الكبرى السلوكية وتقويم آثار التوجيه الاسلامي عملياً وضبط الوسائل العملية الاسلامية في تلك المجالات.

٤ ــ العقل والدراسات التطبيقية العلمية في خدمة فهم الوحي وتوجيهاته بشأن الإنسان وطبيعته وعلاقاته الاجتماعية.

٥ ــ أهمية المنهج العقلي وتكامله مع المنهج الشرعي اللغوي

في فهم النصوص وتوجيهاته في مجال العلاقات الانسانية وتطبيقاتها.

٦ ــ دراسة علمية لآثار الوراثة والبيئة والثقافة والإرادة الانسانية على الفرد والجماعة والمجتمع والتطور الانساني الحضاري في ضوء القيم والمفاهيم والمبادىء الاسلامية.

٧ ــ دراسة مقارنة لنظام الأسرة ووجوه تفوق المفهوم الاسلامي وعلاقة ذلك بقصور المفاهيم الأساسية للعلوم السلوكية ومناهجها في ضوء الفكر والمبادىء الغربية والشرقية.

٨ ــ الأساليب التحليلية والوسائل الكمية والتجريبية متكاملة مع الأسلوب اللغوي لخدمة فهم فحوى القضايا التي يتناولها الوحي بالتوجيه ولأفراز فكر عملى تطبيقي وأثر ذلك على الديناميكية الاجتماعية والتطور الحضاري الاسلامي.

٩ ــ دراسة مقارنة في علاقات العمل والتكامل الاجتماعي نظرياً وعملياً والوسائل المطلوبة للتحقيق العملي للغايات الاسلامية .

١٠ ــ المرأة: دراسة ديناميكية شمولية تطبيقية مقارنة بين القيم الاسلامية والعادات والتقاليد ووجوه الاصلاح العملي وحدوده وضوابطه.

١١ ــ الأخلاق: دراسة تطبيقية مقارنة للمفهوم الاسلامي ومفاهيم العلوم السلوكية وجوانب العطاء الاسلامي في هذا المجال ودعم الوسائل والنظم الاسلامية في هذا المجال.

ثالثاً: في التربية والتعليم

١ ــ دراسة مسحية لنصوص القرآن الكريم والسنة في القضايا التربوية والتعليمية .

٢ ــ دراسة مقارنة لأساليب التربية والتعليم قبل الاسلام وبعد الاسلام وأهم التغييرات التي جاء بها الاسلام.

٣ ــ دراسة مقارنة لغايات التربية في الصدر الأول والعصور اللاحقة وأهم التغييرات في الغايات والأساليب التربوية.

٤ ــ دراسة مقارنة لغايات التربية الاسلامية وأساليبها مع غايات وأساليب الأمم المتقدمة وأسباب القصور التطبيقي للمدرسة التربوية الاسلامية المعاصرة.

٥ ــ الآثار الايجابية والسلبية للمفاهيم الكلامية والشكلية القانونية على علاقة الأساليب التربوية الاسلامية وآثارها العملية على الغايات الاسلامية التربوية.

٦ ــ غياب الدراسات النفسية والاجتماعية وآثارها على قصور أساليب ووسائل التربية الاسلامية في توجيه الناشئة وقصور الأداء والوسائل في التفرقة بين اطوار النمو المختلفة للفرد.

٧ ــ مفاهيم الحب والرغبة والخوف والرهبة المادية والمعنوية ودورها في تحقيق الغايات الاسلامية التربوية وبناء الشخصية الاسلامية القوية وأهمية ذلك في تربية الصغار.

٨ ــ نحو نظرية ومنهجية اسلامية عملية للتربية الاسلامية في الأساليب والوسائل المطلوبة لبناء المدرسة العملية الاسلامية المتميزة.

٩ ــ اسلامية المناهج الدراسية والطريق الى وحدة المعرفة الاسلامية في التعليم وأثر ذلك على الشخصية الاسلامية والبناء الاجتماعي الاسلامي.

١٠ ــ التكرار والمبالغة في سرد الغايات الاسلامية، وضعف الوسائل والضوابط الضرورية لتحقيق الغايات المطلوبة.

١١ ــ العلاقة بين التربية والعلوم السلوكية وأهمية اسلامية العلوم السلوكية لتحقيق الغايات الاسلامية التربوية والتعليمية.

وقد ختمت الورقة في ايضاح الاسلوب العلمي ، والطريقة المنهاجية التي لابد من اتباعها في اعداد أي بحث من هذه البحوث لتكون دراسات تحليلية ناقدة ايجابية أصيلة مبدعة لا تتسم بالوصفية أو العاطفية ، وتكون باذن الله جزءاً من تراكمات علمية تدعم الفكر الاسلامي ومنطلقاته الحضارية الأصيلة وتوفر الشرط المسبق لسلامة منطلقات العمل والانجاز الحضاري الاسلامي الصحيح باذن الله.

وعلى الله قصد السبيل ونسأله الهداية والرشاد والتوفيق انه سميع مجيب الدعاء.

الملحق الرابع

إنجازات المعهد

إنجازات المعهد:

فيما يلي خلاصة عن أهم إنجازات المعهد للفترة ما بين ١٤٠١ ــ ١٤٠٥هـ الموافق ١٩٨١ ــ ١٩٨٥م التي تعتبر انجازات الخطة الخمسية الأولى للمعهد.

هذه الفترة تنقسم الى قسمين ، في الأول منهما لم يكن للمعهد مكاتب أو موظفون متفرغون بل كان رجاله يعملون كل في موضعه، وفي الثاني (١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م) افتتح المعهد مكاتب دائمة له وبدأ يمارس نشاطه بامكاناته المحدودة ولكن بشكل منظم بفضل الله تعالى، وفيما يلي أهم ما تم انجازه من أعمال وما تم اتخاذه من خطوات نحو تحقيق خطة عمل المعهد وخدمة اسلامية المعرفة:

١ ــ مشروع دراسة الفكر الحضاري الغربي ونقده:

سبق أن نوهنا في خطة أعمال المعهد ان من اهم مستلزمات البعث الحضاري الاسلامي احداث نهضة فكرية حقيقية شاملة لدى المثقفين من شباب وعلماء الأمة حتى تعي وتفهم ذاتها وتراثها وحضارتها ، وليكون المثقفون على وعي وتفهم شمولي للحضارة الغربية يعرفون من خلاله ايجابيات هذه الحضارة وسلبياتها. ولذلك أخذ المعهد على عاتقه اصدار سلسلة من الكتب توضح بشمولية واعية ناقدة جوانب الحضارة الغربية حسب الخطة التالية:

أولاً: الكتابة الى خمسة من العلماء والأساتذة الغربيين المتخصصين في كل فرع من الفروع التالية: علم النفس ، علم الاجتماع ، علم الانسان ، العلوم السياسية ، علم الاقتصاد والفلسفة ، وطلب من هؤلاء العلماء ان يقدموا قائمة بكتب ومقالات وبحوث تمثل بتركيز واختصار ما عليه علومهم اليوم وانجازاتها وتطورها من الأصل ومنهجيتها وما يصبون اليه فيها ، مع بيان نقائص هذه العلوم وسلبياتها، والى أين تتجه الان وما لها وما عليها ، وما الذي يرونه لتطوير تلك العلوم وتقدمها ، ومدارسها ونظرياتها وانعكاساتها على الحياة البشرية. وقدرت حصيلة هذه الخلاصات من هؤلاء العلماء جميعاً فيما بين ٥٠٠٠ و ١٠٠٠٠ صفحة في كل علم من هذه العلوم.

ثانياً: تعرض هذه المواد على عالم مسلم متخصص آخر في كل فرع من هذه الفروع لحذف التكرار واختصار عدد الصفحات الى حوالي ألف صفحة فقط في كل علم من العلوم المذكورة ، وتعتبر هذه الخلاصة مرجعاً دراسياً أكاديمياً شمولياً للدارسين في ذلك الفرع.

ثالثاً: تتكون لجنة من ثلاثة علماء مسلمين متخصصين في كل فرع لدراسة تلك الخلاصات (الالف صفحة) ومناقشتها والخروج بحوالي (١٥٠) صفحة مركزة في كل علم تمثل خلاصة حقيقية مركزة شمولية لهذا العلم في الحضارة الغربية. وذلك لكي يكون تقويم وجهة النظر الاسلامية تقويماً متقناً متكاملاً.

هذا ويؤمل من نشر السلسلة وترجمتها الى اللغة العربية والى اللغات المهمة في العالم الاسلامي مثل (الأردية والتركية والملاوية والفارسية والسواحلية وغيرها) ، ان يتفهم المسلمون المثقفون

الحضارة الغربية تفهماً شمولياً دقيقاً من غير اعجاب وانبهار وذوبان فيها ، أو اتهام وإدانة واعراض عن عجز أو جهل. وعندها فقط تستطيع الأمة أن تتعامل مع نتاج الغرب بالطريقة البناءة الهادفة فتقتبس ما يفيدها وتترك ما يضرها وتصحح ما هو خاطيء.

وعند الانتهاء من هذه العلوم الستة سوف يشرع المعهد في العمل في اعداد مادة مجموعة اخرى من العلوم الى أن تكتمل سلسلة العلوم الاجتماعية الانسانية كلها ان شاء الله تعالى.

وسوف يكون هذا الجهد الهام خطوة ولبنة أساسية في سبيل انجاز مهمة ''اسلامية العلوم الاجتماعية والانسانية'' التي قام المعهد من أجل تحقيقها ـــ ان شاء الله ـــ والله الموفق.

ولقد تم الانتهاء من المرحلة الأولى لثلاثة علوم اجتماعية وعرضت المادة العلمية في ''ندوة اسلامية المعرفة'' التي عقدها المعهد في ماليزيا في شهر شوال عام ١٤٠٤هـ وبدأ العمل بالمرحلة الثانية لهذه المادة العلمية باذن الله.

٢ ـــ مشروع احياء التراث الاسلامي:

هذه هي الخطوة الثانية الموازية لخطوة دراسة الفكر الغربي ونقده في سبيل العمل على استكمال قدرات المثقف والعالم المسلم وأدواته العلمية. وقد بدأ المعهد خطواته لتحقيق هذا المشروع بعقد ندوات متخصصة في عدد من الحواضر العلمية الاسلامية حضرها عدد كبير من العلماء في مختلف التخصصات في العلوم الاسلامية واستعرجت الآراء لمعرفة أفضل الطرق لاحياء تراثنا العلمي الاسلامي العظيم. ولقد تم خلال هاتين الندوتين حصر عدد من أهم المراجع والمصادر

التراثية لتبويبها وتفريغها وتيسير مصطلحاتها ، وذلك تحت المسميات والاصطلاحات الحديثة المتداولة في مختلف العلوم الاجتماعية والانسانية اليوم، ووقع الاختيار على حوالي عشرين مصدراً من امهات كتب التراث للبدء بتكشيفها وذلك بأن يستقصي عدد من المتخصصين في فروع المعرفة المختلفة جميع هذه المصادر ويستخلصون جميع ما ورد فيها تحت عناوين اختصاصهم ويجمعونه في بطاقات تصنف بحسب التصنيف الحديث للعلوم الانسانية وبذلك يمكن ان نعيد الاستفادة مما في تراثنا في هذه العلوم كلها بدءاً بالعلوم الستة التي اختار المعهد أسلمتها وهي: علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الانسان وعلم الفلسفة والعلوم السياسية وعلم الاقتصاد ، ثم تفرغ هذه البطاقات في كتب او على برنامج الحاسب الآلي لتكون المادة الأساسية الأولية للباحثين المسلمين في هذه العلوم.

كما بدأ المعهد خطوات تيسير استخدام الحاسب الآلي في مجال تيسير التراث وذلك بالبدء بانشاء برنامج مفاتيح للعلوم التراثية ، كما قام المعهد بابرام اتفاق مع أحد شركات الحاسب الآلي لتطوير النظام العربي حتى يمكنه استخدام التصوير الالكتروني في تخزين المادة التراثية ليصبح استخدام الحاسب الآلي في اعمال تبويب التراث يسيراً من ناحية الوقت والكلفة المادية .

وباستكمال هذه الخطوات نكون قد بدأنا فعلاً تيسير أمر التراث الاسلامي للمفكر وللباحث وللمثقف ثقافة عصرية أو شرعية بأيسر الطرق وأفضلها مما ييسر الاستفادة التامة منه بسهولة وبلا عناء كبير ان شاء الله ، وعند ذلك ستسهل الدراسة كما ستسهل المقارنة العلمية مع ما عليه العلم البشري في هذا الفرع اليوم . ويتوقع ان ينجز هذا المشروع ــ ان شاء الله ــ خلال خمس سنوات إذا تكاتفت الجهود

و توافرت الإمكانات المطلوبة لاخراج المشروع كاملاً الى حيز الوجود والذي تصل تكلفته الكاملة إلى عدة ملايين من الدولارات.

وفي مجال أعمال التبويب تم الاتفاق مع احد المكاتب الثقافية العربية الاسلامية على الاشراف على عمل عدد من العلماء لانفاذ المرحلة الأولى من المشروع وبالبدء بعدد من الأمهات التراثية الاسلامية وفقاً للخطة التي يعمل المعهد على الانتهاء من تفاصيلها خلال هذا العام ان شاء الله للبدء باعمال تبويب التراث وفهرسته وتقريبه للمثقفين على نفقة المعهد.

٣ ــ الندوات الفكرية العالمية:

انبثقت فكرة المعهد باعتباره مؤسسة تعنى بالفكر أساساً من أول ندوة عالمية فكرية عقدت في لوجانو بسويسرا سنة ١٩٧٧م دعي اليها عدد من المفكرين المسلمين وكان عدد من حضرها ثلاثين عالماً ومفكراً مسلماً من مختلف أنحاء العالم. واتفقت كلمة العلماء الثلاثين المشاركين في تلك الندوة مع كلمة رجال المعهد على أساس ان أزمة الأمة الاسلامية ــ اليوم ــ هي ازمة فكرية قبل كل شيء ، يترتب عليها اختلال الآداء في كل مجال ، كما اتفقت كلمتهم على ضرورة قيام مؤسسة خاصة تأخذ على عاتقها مهمة معالجة الأزمة الفكرية لدى الأمة.

وهكذا أنشيء المعهد العالمي للفكر الاسلامي وسجل رسمياً في أمريكا (عام ١٤٠١هـ) ، وأول ما قام به المعهد بعد انشائه الدعوة الى ''ندوة اسلامية المعرفة'' التي عقدت في اسلام آباد (١٤٠٢هـ) في ضيافة الجامعة الاسلامية . وقد انبثقت عنها خطة عمل نشرت في كتاب ''اسلامية المعرفة'' بالإنجليزية وهذه الترجمة العربية حيث

عرض المعهد مجمل غايته واهتماماته وأهدافه وخطته في أسلمة العلوم عامة والانسانية والاجتماعية خاصة.

وأقام المعهد ــ بفضل الله ــ الندوة الفكرية العالمية الثالثة في ٢٧ شوال ١٤٠٤هـ في كوالا لامبور باستضافة من وزارة الثقافة والشباب الماليزية، وللاعداد لهذه الندوة أرسل المعهد الى خمسة آلاف عالم ومفكر ومؤسسة علمية في العالم ورقة عمل تبين وتحلل واقع الفكر الاسلامي وأزمته وضرورة اعادة النظر في كثير من القضايا للبدء بوضع ثقافة وفكر الأمة على المسار الصحيح. وطلب المعهد تقديم البحوث في مواضيع العلوم الاجتماعية الستة وطلب من المفكرين تقديم آرائهم ومشاريعهم في مسح واقع هذه العلوم وبيان طرق إسلامية هذه العلوم والخطوات العلمية اللازمة لذلك ، وقد تسلم المعهد حوالي (١٥٠) بحثاً اختار المحكمون منها أربعين بحثاً فقط تتوفر فيها المقاييس العلمية المطلوبة وتناسب بعض جوانب الموضوعات المطروحة للبحث في الندوة . والقيت هذه البحوث في الندوة ونوقشت ثم طلب من العلماء الحاضرين في كل علم من هذه العلوم الستة ان يعملوا على وضع برنامج عمل مفصل لاسلامية فرعهم واضعين البرنامج الزمني والبشري والميزانية اللازمة للانجاز. ووقائع تلك الندوة وأبحاثها قد تم اعدادها وهي تحت الطبع وفي طريقها قريباً الى ايدي القراء ان شاء الله ، كما سيتم ترجمتها باذن الله الى اللغات الاسلامية الكبرى والى اللغات الحية.

وكانت هذه الندوات في باكستان وماليزيا نموذجاً للتعاون بين المعهد وبين الحكومات الاسلامية المهتمة بالمعرفة الاسلامية، قدم المعهد فيها تكاليف السفر الدولي ومكافآت العلماء عن الأوراق العلمية البالغ عددهم الأربعين عالما. أما تكاليف الضيافة والاقامة

فقدمتها مشكورة الجامعة الاسلامية والحكومة الماليزية بالتوالي كاملة.

وخلال هذا العام بدأ المعهد برنامجه للحلقات الدراسية في اسلامية العلوم الاجتماعية ، وكانت دار ضيافة المعهد مقراً لأول سلسلة في هذه الحلقات ، وكانت الحلقة الأولى في اسلامية التربية للفترة (٣ـــ٤ نوفمبر ١٩٨٤) والثانية في اسلامية العلوم السياسية للفترة (٩ـــ١٠ فبراير ١٩٨٥) والحلقة الثالثة في اسلامية العلوم السلوكية للفترة من ٢ـــ٥/٨/١٩٨٥م ، والحلقة الرابعة في منهجية الفكر الاسلامي للفترة من ٢٦ـــ٢٩/٩/١٩٨٥م.

كما بدأ المعهد بالاعداد للندوة العالمية الرابعة لاسلامية المعرفة لمتابعة الجهود وطرح مختلف قضايا اسلامية المعرفة أمام المفكرين والباحثين ، وقد ارسل المعهد الى هؤلاء العلماء والى المؤسسات العلمية ورقة عمل موسعة عن قضايا اسلامية المعرفة في مجالات منهجية الفكر الاسلامي وقضايا واسس العلوم السلوكية والتربوية ، وما زالت استجابات العلماء والمفكرين المشجعة تتوالى على ادارة الأبحاث العلمية بالمعهد ، وسيتم انعقاد المؤتمر باذن الله في الأول من شهر أغسطس ١٩٨٦م.

ويقوم المعهد بالاتصال بالعلماء والمؤسسات العلمية لارساء نظام الحلقات الدراسية في مجالات اسلامية المعرفة في مختلف الحواضر العلمية في أنحاء العالم الاسلامي لتمثل قواعد للعمل والتعاون والانطلاق العلمي للعلماء والمفكرين والمثقفين المسلمين ومجالات لتبادل الخبرة والنقد البناء باذن الله وتوفيقه.

٤ ــ الطبع والنشر والتوزيع:

بدأ عمل المعهد في مجال النشر العلمي حيث قام المعهد حتى عام ١٩٨٥م بطبع ونشر وتوزيع الكتب التالية في مختلف أنحاء العالم:

1) ISLAMIZATION OF KNOWLEDGE, PRINCIPLES AND WORKPLAN.

ــ باللغتين العربية والانجليزية (عشرة آلاف نسخة)

2) TAWHID: PRINCIPLES AND IMPLICATIONS.

ــ بالانجليزية (خمسة آلاف نسخة)

3) TRIALOGUE OF ABRAHAMIC FAITHS.

ــ بالانجليزية (خمسة آلاف نسخة)

4) ESSAYS ON ISLAM 1 ــ بالانجليزية (عشرة آلاف نسخة)

5) ESSAYS ON ISLAM 11 ــ بالانجليزية (خمسة آلاف نسخة)

٦ ــ ترجمة معاني القرآن الكريم للعلامة يوسف علي (بالانجليزية (مائتا ألف نسخة).

٧ ــ طبعة خاصة بالمعهد من كتاب الصحوة الاسلامية بين الجحود والتطرف للشيخ يوسف القرضاوي باللغة العربية (أربعة آلاف نسخة) لتوزيعه على الشباب العربي في أمريكا مجاناً وقد تم توزيع عدد كبير من هذه الطبعة على الشباب المسلم الأعضاء في مؤتمر رابطة الشباب المسلم العربي.

٨ ــ دليل مكتبة الأسرة المسلمة باللغة العربية (سبعة آلاف نسخة). وقد قام المعهد ايضاً باصدار طبعة معانة خاصة برابطة الشباب المسلم العربي من هذا الكتاب وزعت على الشباب المسلم أعضاء مؤتمر الرابطة.

٩ ــ حياة الصحابة للشيخ كاندهلوي باللغة العربية (خمسة وعشرون الف نسخة).

١٠ ــ مختصر تفسير ابن كثير.

١١ ــ صفوة التفاسير.

قام المعهد بتوزيع ثلاثة آلاف نسخة من كل من هذين التفسيرين على مختلف المراكز والمدارس والمؤسسات الاسلامية في الولايات المتحدة وكندا.

١٢ ــ أدب الاختلاف للدكتور طه جابر العلواني وقد قامت دار الأمة بقطر بنشر الكتاب ضمن سلسلة كتاب الأمة.

١٣ ــ كتب تحت الطبع والاعداد منها بالعربية:

ــ الفكر الاسلامي المعاصر : الأزمة والحل ، للدكتور عبد الحميد أحمد أبو سليمان ، وقد عرضت دار الأمة بقطر نشره ضمن سلسلة كتاب الأمة.

ــ وبالانجليزية:

- TOWARD ISLAMIZATION OF ANTHROPOLOGY: DR. AKBAR AHMAD
- FOUNDATIONS FOR ISLAMIC KNOWLEDGE: PROCEEDINGS OF THE SECOND AND THIRD INTERNATIONAL SEMINARS OF ISLAMIZATION OF KNOWLEDGE

٥ ــ مشروع المنح:

قدم المعهد في سنة ١٩٨٣م عشر منح دراسية لنيل درجة الدكتوراه لطلاب ينتمون الى مختلف بلاد العالم للدراسة في أمريكا في الفروع الانسانية والدراسات الاسلامية والاعلام والفروع

الاجتماعية الأخرى.

كما ان المعهد يقدم ما يزيد على المئة منحة دراسية لطلاب الدراسات العليا الذين يبلغ عددهم عدة مئات من الشباب ، ويأمل برنامج المنح بالمعهد أن تتوفر له الموارد اللازمة لمساعدة الطلاب النابهين ولاستقطاب جهودهم للعمل في مسيرة اسلامية المعرفة باذن الله.

وسوف تتزايد حاجة المعهد ابتداء من العام القادم ١٤٠٦هـ (١٩٨٦م) الى الموارد اللازمة للمنح وذلك لتقديم تلك المنح الى الطلاب المسلمين النابهين وغير القادرين والراغبين في الانضمام الى المعهد الاسلامي للدراسات العليا الذي قام المعهد العالمي للفكر الاسلامي بانشائه بغرض اعداد الكوادر الاسلامية العلمية في مجال ''اسلامية المعرفة''.

٦ ـ المكتبة العلمية الاسلامية بالمعهد:

تعتبر المكتبة ضرورية للباحثين تتوفر فيها الكتب والمراجع الأساسية المنتقاة لخدمة الثقافة والمعرفة الاسلامية. ولهذا يزمع المعهد تنمية المكتبة الى مائة ألف كتاب تكون مكتبة مركزية في مقره توفر الكتب التي تخدم الباحث المسلم في قضايا الأمة وقضايا اسلامية المعرفة. وقد قام حتى الان باختيار خمسة وعشرين ألف كتاب شرع بتصنيفها وتبويبها وفقاً لنظام مكتبة الكونجرس الأمريكي وكذلك سوف يتم ادخالها في الكمبيوتر تسهيلاً للاستعمال واقتصاداً في النفقات .

كما ان خطة عمل المعهد مبنية على اساس التعاون لخدمة اسلامية المعرفة مع الجامعات القريبة منه في واشنطن لكي يكون من حق جميع

العلماء الاستفادة من هذه المكتبات دون الحاجة الى تكرار الكتب في جميع المكتبات. وسوف يخصص المعهد ابتداء من خريف عام ١٩٨٦م طابقاً كاملاً في مقره الجديد بمساحة حوالي ١٥٠٠ متراً مربعاً باذن الله.

٧ ــ توجيه الطلاب:

ان آلاف الطلبة المسلمين الموجودين في جامعات أمريكا للدراسات العليا يحتاجون الى من يوجههم لاختيار مواضيع البحث المفيدة والدراسات ذات العلاقات بقضايا الأمة الاسلامية المهمة والمباشرة، ولذلك فان المعهد جعل من أهدافه توجيه هؤلاء الطلبة والتنسيق معهم بشأن مخططات أبحاثهم وموضوعاتهم ويعمل المعهد على اعداد قائمة بمائة موضوع مختارة صالحة للبحث تمثل جزءاً من الخارطة الفكرية للعالم الاسلامي التي يعنى بها المعهد وبذلك تكون جهود هؤلاء الطلبة ضمن خطة هادفة ونيرة لحل الأزمة الفكرية للأمة وخدمة قضايا الأمة الاسلامية ، كما ان أساتذة المعهد سوف يسهمون في اعانة هؤلاء الطلاب بالاشراف المباشر وغير المباشر ومساعدتهم لاعداد رسائل الماجستير والدكتوراه على أفضل الأسس العلمية في مختلف الجامعات في امريكا وذلك بالتعاون مع مشرفيهم الذين تحددهم الجامعات.

والمعهد على أتم الاستعداد لعون أي طالب في تحديد موضوع بحثه وتقديم المشورة بشأن خطته ومراجعة وترشيد جهوده العلمية في اعداد البحث وانضاج نتائجه العلمية.

٨ ــ مؤتمر الحضارة الاسلامية في ماليزيا:

قام المعهد بدعوة من وزير الشباب والرياضة في ماليزيا باقامة

مؤتمر عن الحضارة الاسلامية في مايو ١٩٨٤م قدمت فيه البحوث المتخصصة في موضوع الحضارة الاسلامية وتأثيرها في منطقة شرق آسيا وذلك ضمن خطة الحكومة الماليزية التي تستهدف توعية الشعب الماليزي اسلامياً وتعريف الأمة وشبابها بالاسلام وتشويقهم لحضارته، الى جانب تفهم غير المسلمين في ماليزيا لطبيعة الحضارة الاسلامية ونوعية العلاقات للمجتمع الاسلامي مع غير المسلمين ، حيث ان غير المسلمين في ماليزيا يشكلون عدداً كبيراً من السكان ، وحضر الندوة عدد كبير من الوزراء والموظفين وتكلم فيها اضافة الى العلماء المتحدثين كبار موظفي الدولة من غير المسلمين وساهموا في ادارة اجتماعاتها.

وقد احدث المؤتمر نوعاً من الوعي لدى الماليزيين بشقيهم المسلم وغير المسلم بأهمية انتماء ماليزيا الى الاسلام ، وفوائد التوجه الاسلامي وتطبيق الشريعة الاسلامية التي لا تخص المسلمين — وحدهم — بل ستعم مزاياها كافة الماليزيين من مسلمين وغير مسلمين.

٩ — مشروع التعاون بين المعهد وجامعة تمبل في فيلادلفيا:

تشكلت لجنة تعاون مشترك من خمسة أعضاء ، ثلاثة من المعهد واثنين من جامعة تمبل وتحددت أوجه التعاون في الوقت الحاضر كالآتي:

أ — الاشراف على (٣٥) طالباً مسلماً من طلبة الدراسات العليا للماجستير ثم الدكتوراه في فروع الدراسات الاسلامية والانسانية والعلوم الاجتماعية.

ب — قيام بعض اساتذة المعهد بالقاء محاضرات وعقد ندوات

في الجامعة في الدراسات الاسلامية والعلوم الاجتماعية.

ج ــ اعطاء ستة منح لطلبة (مسلمين) على حساب المعهد يدرسون الدكتوراه في جامعة تمبل.

د ــ التعاون بين المعهد والجامعة لتأهيل طلبة الدراسات الاجتماعية الاسلامية في الجامعة بتدريس وجهة النظر الاسلامية السليمة وذلك بتعيين أستاذ مسلم للعام الدراسي ٨٤ــ١٩٨٥م ، وتكفل المعهد بتحمل النفقات كافة.

والأمل ان يستمر هذا التعاون وان يحقق الغاية منه في خدمة جهود اسلامية المعرفة وتوجيه دراسات طلاب الدراسات العليا ورسائلهم العلمية لخدمة قضايا الأمة.

كما ان الأمل ان تتوسع دائرة التعاون بين المعهد والجامعات الأمريكية وسواها في رعاية الطلبة المسلمين وتحقيق غايتهم في خدمة الأمة والمعرفة الاسلامية.

١٠ ــ مشاريع مستقبلية:

إضافة الى ما سبق ذكره من انجازات المعهد في السنتين الماضيتين فان من خطط المعهد العالمي للفكر الاسلامي:

أ ــ أن يكون مركزاً للمعلومات للأساتذة والمفكرين والباحثين في حقل اسلامية المعرفة خاصة وحقول الدراسات الشرعية والعلوم الاجتماعية والانسانية ومنهجية المعرفة بشكل عام ، وفي شتى الأقطار الاسلامية ، وان يؤسس قاعدة تمكن هؤلاء جميعاً من أن يتعارفوا بينهم عن طريقها لتقوم بينهم الصلات اللازمة للتعاون المثمر فيما هو لصالح الأمة الاسلامية.

ب ــ عملاً بخطة المعهد ومبادئه العامة : قام المعهد بدعوة عدد من المفكرين الاسلاميين الى ندواته المحلية والعالمية لتأليف الرسائل والكتب المحققة لخطة المعهد في جانب أو أكثر. ويقوم المعهد بنشر ما ينتجه هؤلاء العلماء اذا توفرت فيه الشروط الموضوعية المطلوبة والعمق وحسن الآداء.

ج ــ قام رجال المعهد بزيارة عدد من الكليات الناشئة في ماليزيا واندونيسيا ونيجيريا لتفقد مستوياتهم الأكاديمية ومحاولة رفعها الى المستوى المطلوب وقد طلب اليهم عمداء ومديرو هذه الكليات ان يتولوا فحص المستويات الدراسية وتقويمها بشكل دائم والتعاون معها في برامج لادخال مواد دراسات الحضارة الاسلامية في برامجها التعليمية والتدريبية.

١١ ــ مقر جديد للمعهد ودار للضيافة:

وتعمل ادارة المعهد في الوقت الحاضر في مكاتب مساحتها ثمانية آلاف قدم مربع لتسيير أعمال المعهد ريثما يتم الانتهاء من المبنى المصمم خصيصاً لأعمال المعهد العلمية والدراسية والادارية.

كذلك للمعهد دارٌ لضيافة العلماء والزوار ، وتتخذ هذه الدار ايضاً مقراً للندوات والحلقات العلمية التي يقوم المعهد بعقدها في الولايات المتحدة في قضايا ''اسلامية المعرفة'' .

ويجري العمل حالياً في بناء مقر خاص بالمعهد يضم في جنباته ادارة المعهد العلمية ومكتبته الخاصة بالبحوث والدراسات الاجتماعية الاسلامية كما يضم القاعات والخدمات الخاصة ببرامج التدريب العلمي والمؤتمرات والندوات والحلقات العلمية التي تجمع العلماء والمفكرين

والباحثين في قضايا ''اسلامية المعرفة''.

وكذلك يجري العمل حالياً في مشروع لاسكان العاملين في المعهد يوفر للعاملين وأسرهم الخدمات والجو الاسلامي المطلوب لاقامة حياة اسلامية في هذه البلاد.

كما يجري العمل لاقامة مركز اسلامي للجالية الاسلامية في شمال فرجينيا يوفر للجالية الاسلامية النامية بسرعة كبيرة الخدمات الاسلامية اللازمة لها لاقامة الصلوات وعقد الاجتماعات واللقاءات الثقافية وتقديم الفصول الدراسية لتعليم أصول الدين ومبادىء اللغة العربية لأبناء وشباب الجالية الاسلامية.

١٢ ــ المجلة الأمريكية للعلوم الاجتماعية الاسلامية:

يصدر المعهد بالتعاون مع جمعية علماء الاجتماعيات المسلمين بالولايات المتحدة وكندا مجلة علمية اسلامية بعنوان ''المجلة الأمريكية للعلوم الاجتماعية الاسلامية''، والغاية منها ان تكون نواة لتطوير الاسهام الاسلامي في مجالات المعرفة عامة والاجتماعية الانسانية بوجه خاص في أسس علمية تخرج بالمساهمة الاسلامية من مجرد الاجتهادات والتأملات الشخصية الى مجال الانجاز العلمي المنتظم المدقق وفقاً لمنهجية علمية اسلامية صحيحة تستند الى مصدرى المعرفة الاسلامية (الوحي والعقل) وتستفيد من كافة الوسائل العلمية والفكرية المتاحة لتعميق النظرة الاسلامية الفكرية وتوسيع دائرتها لتسجيل كافة النشاطات الانسانية.

كما ستخدم هذه المجلة العلماء والأساتذة المسلمين في نشر انتاجهم العلمي الرصين على أعلى المستويات وايصاله الى كافة الدوائر العلمية

المعنية بهذا الفكر ان شاء الله.

وستكون هذه المجلة مقدمة لدوريات وموسوعات علمية مما يعتبر لازماً وضرورياً لخدمة العالم والمفكر والمثقف المسلم باذن الله.

١٣ ـ مشروع اقامة ندوات توعية لمدرسي الاجتماعيات في المدارس الثانوية الأمريكية:

تعاني سمعة العرب والمسلمين في أمريكا من حملة اعلامية ضارية يشنها عليهم أعداء الاسلام والمسلمين ، وذلك من خلال وسائل الاعلام المختلفة بالاضافة الى المناهج المدرسية. وبعد دراسة وبحث لمعرفة أفضل الوسائل الموصلة الى العقلية الأمريكية وتصحيح تصوراتها ومفاهيمها عن العرب والمسلمين، وجد المعهد ان مخاطبة مدرسي الاجتماع ، والتاريخ ، والجغرافيا ، والأديان من أحسن الوسائل ، وذلك لصلتهم المباشرة بشرائح كبيرة من المجتمع ، وهم الشباب في سن التلقي والتأثر.

وانطلاقاً من هذه القناعة تبنى المعهد مشروعاً لعقد ندوات تستمر يوماً أو يومين ، يجتمع فيها أكبر عدد ممكن من مدرسي العلوم الانسانية في الثانويات الأمريكية يتلقون فيها برنامجاً هادفاً مركزاً حافلاً بالمعلومات الصحيحة والجوانب المشرقة عن العرب المسلمين يقدمها أساتذة مختصون ، ويضم البرنامج محاضرات ، وعرض أفلام وشرائح ومصورات . وتقدم كتب ، ويزود المشاركون بما يمكن من مواد تعينهم في تدريسهم ، ثم تؤخذ أسماء وعناوين المشتركين لمتابعة الصلة وامدادهم بالنشرات والدوريات المناسبة وما اليها..

وقد قام المعهد على سبيل التجربة بعقد ثلاث ندوات من هذا

النوع في ثلاث ولايات مختلفة ، كان لها بفضل الله أثر فاق ما هو متوقع منها ، حتى ان المشاركين احتملوا تكاليف انتقالهم ودفعوا رسوم تسجيل اسمية (عشرة دولارات عن المشترك).

وتقضي خطة المعهد ان تقام ندوة واحدة على الأقل في كل ولاية من الولايات الخمسين الأمريكية خلال السنوات الثلاثة القادمة ان شاء الله.

خاتمة

وبعد أخي المسلم هذه هي اسلامية المعرفة كمبادىء وخطة عمل وانجازات نقدمها اليك آملين ان تبادر بدراستها وتفهمها وتحديد دورك فيها للنهوض بأمتك ،.واقالتها من عثرتها ، ومداواة جراحها، راجين أن تكون على يقين بأن أي عون منك مهما كان صغيراً فان اخوانك في حاجة اليه ، فبادر بالعون بأي شيء تستطيعه وبأي فضل تطيقه ، لا تقف غارقاً في الأحلام ترقب المسيرة تتعثر وأنت في مواضع المتفرجين على جانب الطريق ، قدم ما تستطيعه من دعم مادي أو معنوي ، تبرع بدولار أو دينار أو جنيه أو روبية أو ليرة أو ريال، لا تظن ان ما تبخل به قد يجود به غيرك ، فتهلك وتترك أمتك في براثن الضياع ، تحمل مسؤوليتك وأد أمانتك ، فان حاجة المعهد لا تقتصر على الموارد المالية والمعونات المادية ، بل تمتد الحاجة الى تعاون الأخوة الأساتذة والعلماء والمفكرين بالرأي أو النصيحة أو التوجيه اضافة الى ما نأمله منهم من المساعدة بالكتابة والتأليف والبحث والتنظير وتربية الكوادر العلمية والاشراف العلمي بالحضور أو بالمراسلة أو بتطبيق بعض هذه البرامج في مواقعهم التي هم فيها ولفت النظر الى هذه المهمة الجليلة لتتضافر الجهود على أدائها وتتحول قضايا اسلامية المعرفة ومنهاجية الفكر الاسلامي ومواجهة المعضلات الفكرية الى الشغل الشاغل لعقول قيادات الأمة ومفكريها والمثقفين من أبنائها، فانه اذا تضافرت الجهود وجاء الله سبحانه وتعالى بالعون والتسديد فلن تقف أمام الجهود المحاطة بعناية الله عقبة ان شاء الله تعالى.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.